

مجلة ثقافية شهرية - العدد ٣١٢ - جمادى الآخرة ١٤٢٣ هـ - أغسطس/ سبتمبر ٢٠٠٢م
ALFAISAL MAGAZINE - No. 312 AUG. / SEP. 2002

ندوة العلاقات السعودية البولندية

ابتداء من زيارة الملك فيصل لوارسو (١٩٢٤م)

يلاند الأخرى

كافحة الإغراق
ي النظام التجاري العالمي

صراع الهويات والمصالح
عدد الدولة في الغرب

للغة العربية والمسيرة
لتعليمية في الوطن العربي!!

حروب..
حظية أمير الأندلس
عبدالرحمن الأوسط

صورة المرأة الفرنجيّة في
النثر العربي زمن الحروب
الصليبيّة

لسموم
يف تؤثر في صحة الإنسان
حياته؟

إرساء معايير جديدة للاهتمام بك

سيارات مستعملة مضمونة
خدمة سريعة

فنيي سمكرة ودهان محترفين
مهندسي صيانة متخصصين
قطع غيار أصلية

الآن أمامكم أرحب الخيارات لانتقاء ما شاء لكم من بين أكثر من ١٠٠٠ سيارة مضمونة وحديثة بعمر ما بين ثلاثة شهور وثلاث سنوات ومن أشهر الموديلات والماركات الأمريكية واليابانية والأوروبية والكورية. وقد خضعت جميع هذه السيارات لفحوصات وإعادة تأهيل وتجهيز كاملة على أيدي فنيي ومهندسي الصيانة المتخصصين مما جعلها تكون وكأنها جديدة. مع إمكانية استبدال السيارة خلال ٥ أيام أو قبل قطع مسافة ٣٠٠كم

كذلك تقدم لكم مراكز أوتوستار خدمات الصيانة الراقية بما فيها أعمال الميكانيك والكهرباء والسمكرة والدهان إلى جانب توفيرها مختلف قطع الغيار الأصلية لكافة موديلات وأنواع السيارات.

أوتوستار.. الجودة بسعر منافس

راحة البال مع ...





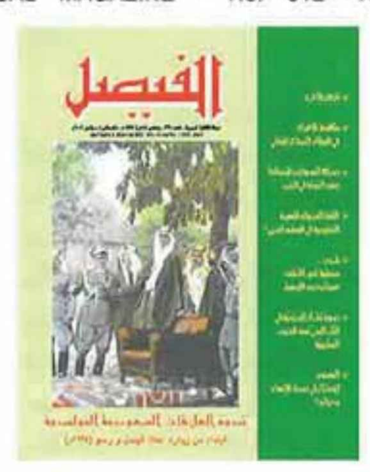
مجموعة عبداللطيف العيسى

الرياض : ٢٣٢٨٨٠٠ (٠١) جدة : ٦٧٦٠٦٧٦ (٠٢) الخبر : ٨٥٨٧٩١٩ (٠٣) بريدة : ٣٨١٩٤٩٤ (٠٦)



الناشر: دار الفيصل الثقافية

المحتويات



ندوة العلاقات السعودية البولندية

للملك فيصل بن عبدالعزيز - رحمه الله - دور كبير في بلورة الدبلوماسية السعودية، فقد كان في وقت مبكر من حياته سفيراً للملك عبدالعزيز - رحمه الله - إلى كثير من الدول في مناسبات متعددة، وتولى مسؤولية وزارة الخارجية منذ تأسيسها في عام ١٩٣٠م حتى استشهاده في عام ١٩٧٥م.
وتعد زيارته بولندا عام ١٩٣٢م نموذجًا لما قام به من جهود واضحة لتوثيق علاقات المملكة العربية السعودية مع دول العالم وفق سياسة واضحة وضع أسسها الملك عبدالعزيز. ونظمت السفارة السعودية في بولندا بالتنسيق مع مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ندوة عن العلاقات السعودية البولندية بمناسبة مرور ٧٠ عاماً على هذه الزيارة.

إدارة التحرير:

رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد
مدير التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

المراسلات للتحرير والإدارة:

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ -
المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ - ٤٦٥٢٢٥٥
ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي:

١٥٠ ريال سعودي للأفراد، ٢٥٠ ريال سعودي للمؤسسات،
أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات:

هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ - ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤/٠٥٤٢
ردمد ١١٤٠ - ٠٢٥٨

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
- في حال إرسال قصة مترجمة، يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدراً من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض يشمل: عنوانه واسم مؤلفه ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.
- الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل النشر.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي «رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:
  - يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.
  - يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.
  - التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.
  - تشكيل الشعر ما أمكن، وخصوصاً القديم منه.
  - ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي تنشر في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

السعودية ٨ ريالات - الكويت ٦٥٠ فلس - الإمارات ٧ دراهم - قطر ٧ ريالات - البحرين ٧٥٠ فلس - عُمان ٧٥٠ بيسة - الأردن ٥٠٠ فلس - اليمن ٦٠ ريالاً - مصر جنيهان - السودان ٧٠ ديناراً - المغرب ٨ دراهم - تونس دينار واحد - الجزائر ٨٠ ديناراً - العراق ٤٠٠ فلس - سورية ٣٠ ليرة - ليبيا ٨٠٠ درهم - موريتانيا ١٠٠ أوقية - الصومال ٢٠٠٠ شلن - جيبوتي ١٥٠ فرنك - لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية - الباكستان ٢٠ روبية - المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية - الشركة السعودية للتوزيع - هاتف ٦٥٣٠٩٠٩(٠٢)، فاكس ٦٥٣٣١٩١(٠٢)، مصر - مؤسسة توزيع الأهرام - شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥ - فاكس ٣٣٩١٠٩٦ - ٢٠٢..، سورية - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ١٢٠٣٥ هاتف ٢١٢٨٢٤٨، فاكس ٢١٢٢٥٣٢ - ١١، ٩٦٣..، تونس - الشركة التونسية للصحافة - ٣نهج المغرب - ص.ب ٧١٩، فاكس ٧١٣٢٣٠٠٤/ هاتف ٣٢٢٤٩٩ - ٧١ - ٢١٦..، قطر - دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع - ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢ - فاكس ٤٦٦١٨٦٥ - ٩٧٤..، الأردن - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ - فاكس ٤٦٣٥١٥٢ - ٦، ٩٦٢..، البحرين - مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ - فاكس ٥٣١٢٨١ - ٩٧٣..، الإمارات العربية المتحدة - مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس ٢٦٦٩٨٢٧ - ٤ - ٩٧١..، الكويت - شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢ - فاكس ٢٤١٧٨٠٩ - ٩٦٥..، المغرب - الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٢٢٤٠٠٣١/٣٢ - ٢١٢..، ت: ٢٢٤٠٠٢٣، الجمهورية اليمنية - القائد للنشر والتوزيع ت: ٢٠١٩٠١/٢ - ٣ - ٩٦٧.. فاكس: ٢٠١٩٠٩/٧





لا تعدلوا المسابقة

مازالت المجلة تتأخر في وصولها إلينا في مدينة تعز، فهي تصل في الأسبوع الأخير من الشهر، وأحياناً في نهاية الشهر تماماً.

بالنسبة إلى المسابقة، فإنها متفردة ودقيقة وشاملة لكل التخصصات. أتمنى أن تبقى المسابقة بهذا الشكل ودون تعديل، فإنها في رأيي أفضل مسابقة تقدمها مجلة رائدة من بين عدد من المجلات العربية.

والمسابقة في الأساس تدفع المشارك إلى البحث في المراجع والمكتبات، ولا تكفي الوسائط الحديثة، ولا تغني عن الكتاب.

لهذا؛ فإنني دائماً أشكو من تأخر المجلة، ذلك لأن وصولها متأخرة، يجعلنا لا نجد الوقت الكافي للبحث عن إجابات المسابقة، وإذا أرسلنا الإجابات متأخرة فقد لا تصل في الموعد المحدد.

يمكن أن تمددوا مدة تسلم الإجابات مثلاً إلى نهاية الشهر التالي لصدور العدد.

لا أدري كيف أكتب العنوان. هل أكتبه هكذا:

الرياض ١١٤١١ - ص.ب ٣

أم أكتبه هكذا:

الرياض

ص.ب ٣ - الرمز البريدي ١١٤١١

منصور سليمان عبدالله
ص.ب ٥٥٦٩٩ - تعز - اليمن.

التحرير:

نحرص على حل مشكلة تأخر وصول المجلة إلى مراكز التوزيع في الدول المختلفة، ولكن تظل هناك عقبات كثيرة تحول دون تحقيق الهدف على نحو يرضينا أو يرضي الإخوة القراء، ومنها على سبيل المثال اجراءات الجمارك، الرقابة، الشحن.. إلخ وهي إجراءات لها علاقة بأطراف أخرى، وما علينا إلا العمل على تفادي هذه المشكلة وحلها من جذورها، وخطابات القراء تمثل نبض المجلة، وهي تكشف لنا الحقائق، فنأمل معاونتهم من أجل تلمس وسائل التطوير وتخطي المشكلات.

ونشكر لك رأيك في المسابقة، ولكننا حريصون على تطوير كل أبواب المجلة اعتماداً على دراسة آراء الإخوة القراء، وسندرس تمديد فترة تلقي الإجابات، وإن كنا نراها كافية.

أما طريقة كتابة العنوان، فهي صحيحة في الحالتين.

الإعلامية!

تحية حارة إلى أعضاء القسم الإداري بمجلة «الفيصل»، وإني أشكر لكم حسن التبويب الذي يخص البحوث والدراسات والموضوعات التي تجلب الاهتمام.. ولكن لماذا لا يقع التطرّق إلى موضوع «الإعلامية» وذلك بأن يخصص ركن في الإعلامية كالحاسوب: تعريفه.. مكوّناته.. خصائصه.. ذاكرته.. كيفية التسجيل.. والخزن.. والمراجعة.. وما طرق التشغيل.. وما إلى ذلك، وتكون الدراسة من طرف أستاذ مختص في الإعلامية يكتبها بلغة مبسطة مفهومة للجميع حتى يتسنى للقراء استيعاب هذه التقنية الجديدة.. تقنية الإعلامية..

ما أحوجنا إلى هذه الدروس التطبيقية، ثم إن اللغة العربية غنية بالمصطلحات العلمية في هذا المجال، ولا بدّ أن تواكب عصر التقنيات الجديدة،

وفي الختام تقبلوا فائق احتراماتي وجزيل تشكراتي لما تبذلونه من جهود في سبيل الثقافة واكتساح ميدان العلم.. وشكراً على حسن عنايتكم.. ووفقكم الله في أعمالكم.

عبدالفتاح بن يحيى
مهندس متقاعد بالإذاعة والتلفزة التونسية.

التحرير:

تهتم المجلة كثيراً بالموضوعات التي تتناول تقنية المعلومات، بل إن هناك من القراء من يرى هذا الاهتمام زائداً على الحد، وإذا راجعت بعض الأعداد الأخيرة من المجلة، فسوف تجد أكثر من موضوع حول الإعلامية.

وبما أنك مختص في هذا الميدان، نأمل تلقي مشاركاتك، وستأخذ طريقها إن شاء الله إلى النشر وفقاً للشروط والقواعد المتبعة في المجلة.

الأم الرؤوم

أكتب لكم أول مرة من خلال سنين طويلة عشتها مع مجلتنا الغالية «الفيصل» التي واكبتها منذ بداياتها حتى الآن، وأدعو الله لي ولكم ولها بدوام الازدهار وطول البقاء.

الفيصل رسمت، وبكل جلال، معالم عبر أعدادها

التي اجتازت الثلاثمئة، فأضحت موسوعة أرجع إليها ويرجع إليها كل من جال بخاطره العلم والمعرفة.. ومن أحس بفراغ فكري سببه له عدم المعرفة.. فيجد فيها ضالته.. فهي كالأم الرؤوم في أحلك الظروف.. وتجديدكم المستمر لأبوابها هو دليلٌ على حنكتكم العلمية والمعرفية أنتم السادة الذين حملتم على عاتقكم مهمة الصعود بنا معشر القراء إلى ذرا التطور والنور.

واقبلوا مني فائق التقدير.

يوسف محمد حمّاد

ص.ب ٥٢٠٨٠٤ مخيم الوحدات - عمان - الأردن

التحرير:

نشكر لك هذا الإطراء.. ونأمل أن تكون المجلة دومًا عند حسن ظنّ قرّائها بها، وهي تستمد أسباب استمراريتها منهم. ويسرّها تلقي كلّ الآراء التي تدفع إلى آفاق أرحب من التطور والتجديد.

تجاوز الحدود

فإنني - ومن خلال متابعتي لمجلتكم الغراء - قد أعجبت بها كثيرًا لما رأيت فيها ما يروي ظمئي إلى المعرفة الواسعة هذا من جهة، ومن جهة أخرى فهي صلة الوصل بين مغرب الوطن العربي ومشرقه، كما هي أيضًا صلة بين العرب والمسلمين جميعًا، وهي بذلك تجتاز كل الحواجز المصطنعة التي تفصل بين تلك الأجزاء. فشكرًا للمجهود الكبير الذي تبذلونه في تحطيم هذه العزلة، وهذه الأسوار التي أقامها الغرب بين سائر أقطار العالم العربي والإسلامي، فمجلتكم هذه تعني أننا نحتفظ بها كأعز ما نعتز به مجلة مسؤولة أولاً. وثانيًا، إن نطاق تأثير المجلة تعدى حدود الوطن العربي إلى سائر أرجاء العالم كله.

ختامًا أستودعكم الله وأشد على أياديكم الكريمة مشيدًا بجهودكم وبارك الله في مساعيكم الحميدة هذه.

أبو ذر الغفاري

ص.ب ١٩١١٥ - حلب - سورية

التحرير:

نشكر لك اعتزازك بمجلتك ونتمنى أن يكون تأثيرها على النحو الذي ذكرته.

ردود سريعة

الأخت نورة غرمول - مدنيز - تونس:

نشكر لك إطراءك، ورأيك بأن المجلة سائرة من حسن إلى أحسن، وبخصوص المسابقة، فقد جاءتنا رسائل كثيرة يطلب أصحابها مدّ فترة قبول إجابات المسابقة لتكون أكثر من ٤٥ يومًا، وسوف ندرس هذا الاقتراح، وإن كانت الإجابات التي تأتي إلى المجلة تؤكد أن هذه المدة كافية، بل إن رسالتك وصلت خلال الفترة المقررة على الرغم من تخوفك من عدم وصولها.

الأخ عماري النعاس بن محمد، الأخت فدفاد بلخير - الجلفة - الجزائر:

بداية نحيي الأخ عمار على الخط الجميل الذي كتب به رسالته، كما نحيي الأخت فدفاد على حرصها على قيم دينها، وجهدها في الاستزادة من العلم، وكنا نأمل تلبية طلبكما، إلا أن ذلك خارج نطاق قدرة المجلة، ولعلكما تراسلان المؤسسات المعنية مباشرة، وستجدان منها كل ترحاب واستعداد لتلبية طلبكما.

الأخ عمار إبراهيم - الخرطوم - السودان:

نرحب بمقالات الإخوة الكتّاب من أي مكان في هذا العالم الفسيح، ويسرنا نشر استطلاعات مصورة عن مناطق السودان، وسبق للمجلة أن نشرت كثيرًا من المقالات لكتّاب سودانيين، فمرحبًا بمشاركاتك.

الإخوة الكتّاب الذين يستفسرون عن مقالات:

نفيدكم أن المجلة ترسل ردًا باستلام المقالة، وذلك فور وصولها، ثم يتم تقويم المقالات من خلال محكمين مختصين، ومن ثم تتم مخاطبة الكتّاب لتوضيح موقف مقالاتهم من النشر، ونأسف لحدوث تأخير في الرد أحيانًا لأن عملية التقويم تحتاج إلى وقت طويل بعض الشيء، لكثرة ما يرد إلى المجلة من مقالات فمرحبًا بمشاركاتكم، وحرصكم على التفاعل مع مجلتكم.

تايلاند الأخرى

كامل يوسف حسين
دبي - الإمارات



مجمع المعابد والقصور في بانكوك

على الرغم من أن السيّاح القادمين إلى تايلاند من الشرق الأوسط لا يشكلون إلا ١٪ من إجمالي عدد السيّاح الذين يتدفقون من شتى أرجاء العالم قاصدين بانكوك، إلا أن هذه النسبة مهمة لأنها تنتمي إلى إجمالي هائل قدر في عام ٢٠٠٠ بنحو تسعة ملايين ونصف المليون سائح، ثم إن هذه النسبة تنتمي في الغالب إلى فئة السياح المتعددي الزيارات، وذوي المصادر المالية الكبيرة والإنفاق الواسع النطاق.



مسجد فطاني الجامع

ربما لهذا، بالضبط، وافق براديش فايا كيفتشين، رئيس هيئة ترويج السياحة التايلاندية، على أن ينتزع من وقته الحافل بالمهام والاجتماعات ما يتيح لنا الحوار معه، حول عدد من القضايا التي تهمه، والتي تهمنا أيضاً.

فيما يتعلق بما يهمه أشار إلى الاهتمام الكبير من جانب الحكومة التايلاندية والقطاع الخاص التايلاندي على السواء بالسياحة، وخصوصاً أنه منذ عام ١٩٨٢م يأتي العائد من قطاع السياحة في المرتبة الأولى من القطاعات التي تشكل مصادر إجمالي الدخل القومي في تايلاند. وهناك الكثير من مصادر الجذب التي تحمل السائح على

القدوم إلى تايلاند، في مقدمتها عناصر التاريخ، والثقافة، والمباني، والشواطئ، والجزر، والغابات، وعناصر الترفيه المنوّعة، التسوق.

وتفاصيل هذا الحوار الشائق مع رئيس هيئة ترويج السياحة التايلاندية نسوقها في غير هذا المقام لكننا نحرص على إلقاء الضوء على ما يهمنا، وهو في هذا الجانب يقول: إن التايلانديين أساساً بوذيون، لكنَّ هناك أيضًا مسيحيين ومسلمين، وهناك تسامح في ما يتعلق بالأديان والمعتقدات في تايلاند، التي عرفت باسم سيام.

وهو يشير إلى أن المناطق التي يمكن أن تخاطب السائح العربي المسلم في تايلاند موجودة في الجنوب، حيث يتركز معظم أبناء الجالية الإسلامية في تايلاند، وأن الهيئة، إدراكًا منها لهذه الحقيقة، قامت بالفعل بتطوير سبع مناطق سياحية جديدة لاجتذاب السائح العربي إلى تايلاند، وخاصة نحو الجنوب، وفي إطار السياحة العائلية.

وما يهمنا هنا هو تايلاند الأخرى، تايلاند التي لا تجدها في كتيبات الدعاية المتألقة، ولا في الإعلانات، ولا في حملات الترويج، تايلاند الغارقة في الصمت، الغارقة في الوحشة، التي لا يسأل عنها أحد، فلماذا لا نسأل نحن عنها؟

أنت إذا فتحت كتاب «صورة تايلاند» لديفيد ديفوس، الذي يقع في ١٤٤ صفحة من القطع الكبير، والذي يعد المرجع التقليدي عن اليابان، والذي استريت نسخة باهظة الثمن من خلال جولة في إحدى كبرى مكتبات بانكوك، فلن تجد سطراً واحدًا عن تايلاند المسلمة، تايلاند المسكوت عنها، ولن تجد صورة واحدة لمسجد ولا لأثر إسلامي واحد.

دعنا، إذن، نبدأ رحلة البحث عن تايلاند المسلمة، تايلاند القابضة على الجمر، المتمسكة بالإسلام، وبالصبر، في زمن الأزمات الاقتصادية الطاحنة، وفي وقت يبدو الأمل فيه نقطة



المقبرة خارج أسوار المسجد



منظر عام لجزء من مدينة بانكوك

نور صغيرة جداً، بعيدة جداً، ضائعة جداً في نهاية الأفق.

يلزمك الكثير من الجهد والدأب والإلحاح في السؤال، ومطاردة المصادر، لكي تعرف أن الإحصاءات الرسمية التايلاندية تشير إلى أن عدد المسلمين في تايلاند يشكل نحو ٥ر٢٪ من إجمالي عدد السكان الذي يصل إلى ٦٠ مليوناً، ووفقاً لأحدث إحصاء يعود لعام ١٩٩٩م فإن عدد المسلمين في تايلاند يبلغ ٩٥٩ر٢٢٢ر٣ نسمة، وهم يتركزون في خمس مقاطعات في جنوب تايلاند، هي سونكلا، وستول، ونراتيوات وفطاني، وجالا، التي يبلغ عدد المسلمين فيها ٧٤٠ر٨٠٥ نسمة والباقي منتشر في ربوع تايلاند.

تحرص المطبوعات الرسمية التايلاندية على أن تشير إلى أنه بما أن الأغلبية في هذه المقاطعات الإسلامية الخمس مسلمة وبحدود ٣٦ر٧٨٪ من إجمالي السكان فإن الحكومة التايلاندية وافقت على تطبيق الشريعة الإسلامية في الأحوال الشخصية منذ عام ١٩٤٦م، وذلك بتعيين قاضيين للنظر في المنازعات في كل محكمة من كل مقاطعة على مستوى القاضي الرسمي في الحكومة.

تحرص المطبوعات نفسها على التشديد على أن للمسلمين في تايلاند الحرية التامة في الحياة السياسية مثل السكان الآخرين، ولهم حق التصويت في الانتخابات، وحق الترشيح للمجالس السياسية المحلية والوطنية، وعدد أعضاء البرلمان في الوقت الحالي ٣٦٦ عضواً، منهم ١٦ عضواً من المسلمين.

وفي الوقت الحالي ليس هناك حاكم مقاطعة أو محافظ من المسلمين، ومرة أخرى فإن المطبوعات الرسمية التايلاندية تتوقع أن يتم شغل هذه الوظيفة في المستقبل بالانتخابات، كما هي الحال الآن في العاصمة التايلاندية، بانكوك، ومن ثم قد يبرز محافظون من المسلمين في المقاطعات ذات الأغلبية المسلمة.

على ذمة هذه المطبوعات نفسها، فإنه يوجد نحو ٣١٩٢ مسجداً مسجلاً رسمياً في تايلاند، وأكبر عدد منها موجود

في الجنوب، كما قد يتوقع المرء، ففي المنطقة الوسطى وبانكوك يوجد ٣٤٨ مسجداً، وفي المنطقة الشرقية مئة ومسجدان. وفي منطقة شمال شرق تايلاند هناك ١٤٣ مسجداً، وفي المنطقة الشمالية ٢٩ مسجداً، وفي المحافظات الخمس الواقعة في جنوب تايلاند ٢٠٤٠ مسجداً.

هذا كله على ذمة المطبوعات الرسمية الصادرة عن وزارة الخارجية التايلاندية، وإن شئت المزيد من التحديد قلت على وجه الدقة الصادرة عن الإدارة العامة لشؤون جنوب آسيا والشرق الأوسط وإفريقية.

على ذمتي أقول: إن الكثير من البلدان والقرى التي يتجمع بها مسلمو جنوب تايلاند في حاجة ماسة إلى كل ما يمكن أن يقدمه لها المسلمون في قلب العالم العربي والإسلامي، سواء في مجال بناء المساجد أو ترميمها، أو بناء المدارس، أو مراكز الرعاية الصحية. وعلى الرغم من حماسة الشباب هناك للإسلام والشريعة الإسلامية، فإن أعداداً قليلةً منهم هي التي أتيحت لها الفرصة للتخرج في الأزهر ومعاهد العلم المماثلة في العالم الإسلامي.

يكفي، بصدد هذا، أن نتذكر أنه في عام ١٩٩٨م توجه للحج من مسلمي تايلاند عشرة آلاف حاج، وهو رقم يعود تواضعه - موازنة بإجمالي عدد المسلمين التايلانديين - إلى أن حملات الحج تتقاضى ٨٠ ألف بات من الحاج الواحد، وهو رقم أقل ما يقال فيه إنه مبلغ رهيب بمعايير متوسط دخل الفرد في تايلاند.

ومن يدري لعل كل الكلمات الكبيرة والأرقام الوردية التي تشير إليها المطبوعات التايلاندية الرسمية تتحقق إذا وجد مسلمو تايلاند من يمد إليهم، من قلب العالم العربي والإسلامي، يد العون والغوث والتراحم، وهي يد يؤكد شهود العيان أنّ مسلمي الجنوب التايلاندي في أمسّ الحاجة إليها.

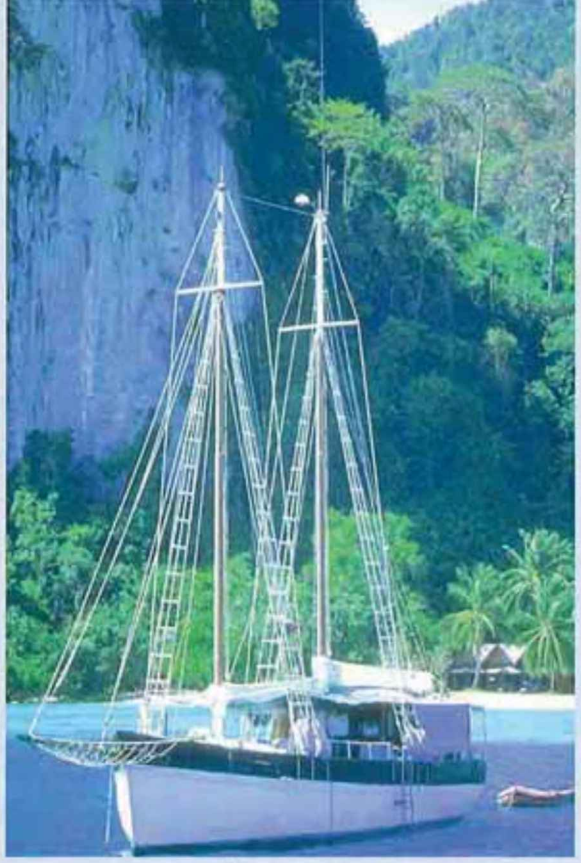
في غضون ذلك يمكنني القول، على ذمتي: إن كل شيء في بانكوك يدفعك إلى زيارة مجمع القصور والمعابد في بانكوك، يستوي في ذلك الأدلاء والوكالات السياحية والكتيبات الدعائية وسائقو سيارات الأجرة.

غير أنه ما من أحد، ما من شيء، ما من مطبوعة، ما من سائق (تاكسي)، ما من عابر سبيل سيقول لك: إنه على مرمى حجر من القصر الملكي الكبير والميدان المعروف بسنام لوانج، يقع مسجد شاكفونج الذي يعرف أيضاً باسم مسجد تونج بو، وأيضاً باسم بانج لامبو، وهو يعد من المساجد القديمة في تايلاند، وهو المسجد الوحيد في قلب بانكوك في داخل سورها التاريخي.

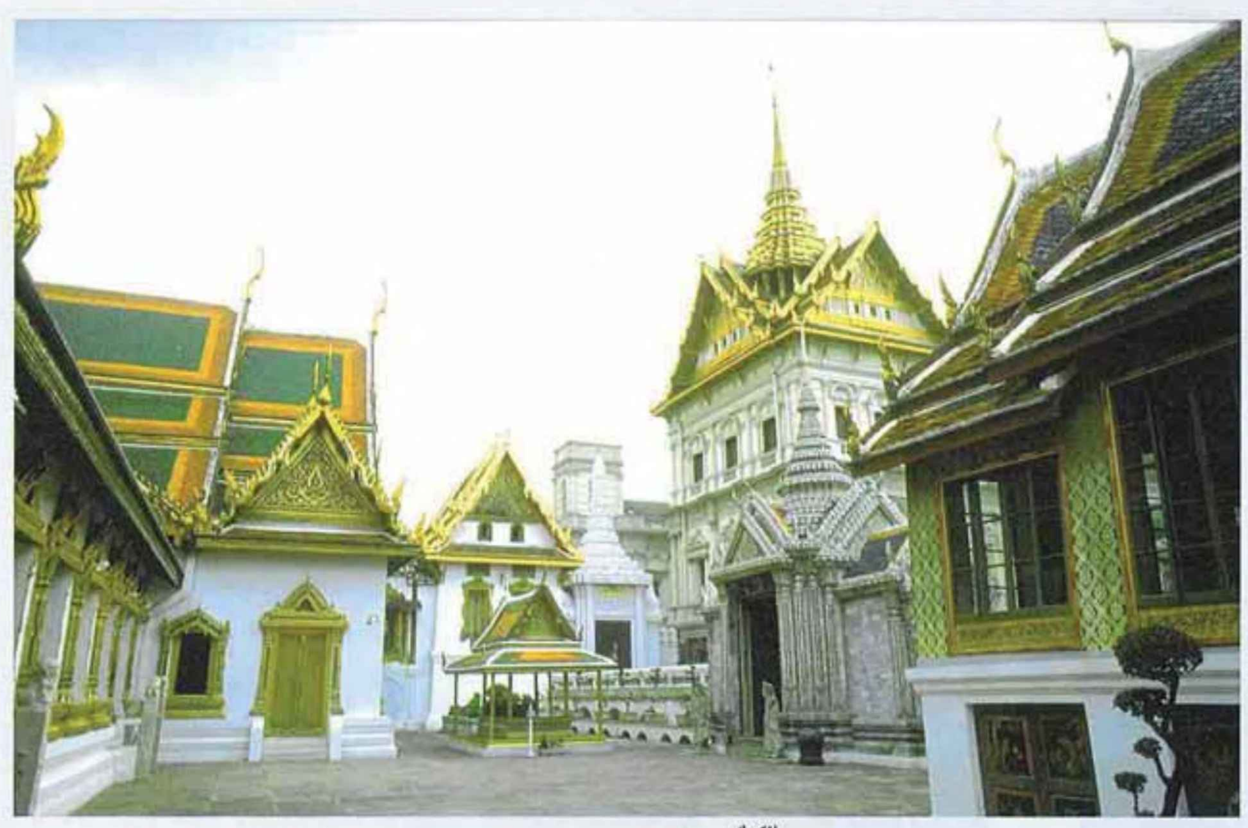
ومن المعروف تاريخياً أن هذا المسجد قد أنشئ عام ١٨٧٩م، وقد تم تجديد عمارته في عام ١٩٦٦م بالإسمنت المسلح ليأخذ شكله الحالي المؤلف من طابقين، وغيرت أرضيته الخشبية لتحل محلها أرضية من الحجر.

ويلفت النظر فيه بصفة خاصة التوظيف الجميل للزجاج في النوافذ، وتزيين المحراب بالقوس والزخارف النمطية فوق المنبر.

وأنت بحاجة إلى الكثير من الجهد لتحقق الحد الأدنى من الإطلالة المعقولة على المساجد القديمة في بانكوك، وأيّاً كان نجاحك في مثل هذه الجولة، وهو نجاح لا أحسبه يتحقق بسهولة، فلابد لي من أن أنصحك بأن تمضي إلى



تايلاند التي تحتكر الأضواء



بانكوك...

مسجد لوانج كوشا، ويعرف أيضًا باسم وات كو، وقد شيِّد منذ مئتي عام، وهو يقع على شاطئ نهر تشاو برايا الذي يشق بانكوك، وعلى وجه التحديد في منطقة سام بانتا وونج التي تعد الحي الذي تغلب عليه الجالية الصينية.

ومن الناحية التاريخية، يمكن القول: إن هذا المسجد قد أسسه لوانج كوشا إسحق، الذي تولى منصب مراقب التجارة البحرية في عهد الملك راما الأول، الذي ارتبط، بحكم عمله، باتصالات وثيقة بالتجار المسلمين الآتين من ماليزيا وإندونيسيا. وقد كانت المنطقة التي أقيم فيها المسجد يغلب عليها الصينيون، وقد تعذر على المسلمين فيها إقامة صلاة الجماعة بسبب الافتقار إلى التسهيلات المناسبة في المنطقة، وقد تشاور التجار المسلمون في هذا الشأن، وقرروا تفويض لوانج كوشا في شراء قطعة أرض، هي التي شيِّد المسجد عليها. ويلاحظ وجود مقبرة غير بعيدة من المسجد، وهي تضم قبر برايا يومراج، الذي كان وزيرًا للملك تاكسين العظيم، وهو ما يدل على أن عمر المسجد يتجاوز مئتي عام، وقد تم ترميمه ثلاث مرات، جرت خلالها جميعها الاستعانة بمعماريين من ايوتيا في شمال تايلاند.

ربما كان أبرز ما يلفت النظر في هذا المسجد صرامة التصميم الخارجي الموحي بالتركيز في الأبعاد الوظيفية للمبنى، فلا قُبَّة هناك، ولا وجود لمئذنة، ولولا الأقواس القائمة على صفوف الأعمدة في بيت الصلاة، والمنبر والمحراب لما أمكن تمييزه عن أي مبنى في الحي. غير أن العين لا يمكن إلا أن تتوقف طويلاً عند القوس المزخرف البديع الذي يعلو المنبر ويبدو منقوشًا بالزهور المذهبة. ويلاحظ وجود المنبر داخل المحراب في صورة ثلاث درجات بسيطة تعلوها (كتفية) مزخرفة بأشكال نباتية بديعة. وفي خارج المسجد، وغير بعيد من سوره الخارجي القصير تلوح للعيان المقبرة التي أشرنا إليها، والتي توجد بها قبور كبار الموظفين في عصر أيوتيا، مما يدل على قدَمها.

أما إذا أردت قبابًا ومساجد ترتفع مآذنها عاليًا لتملأ

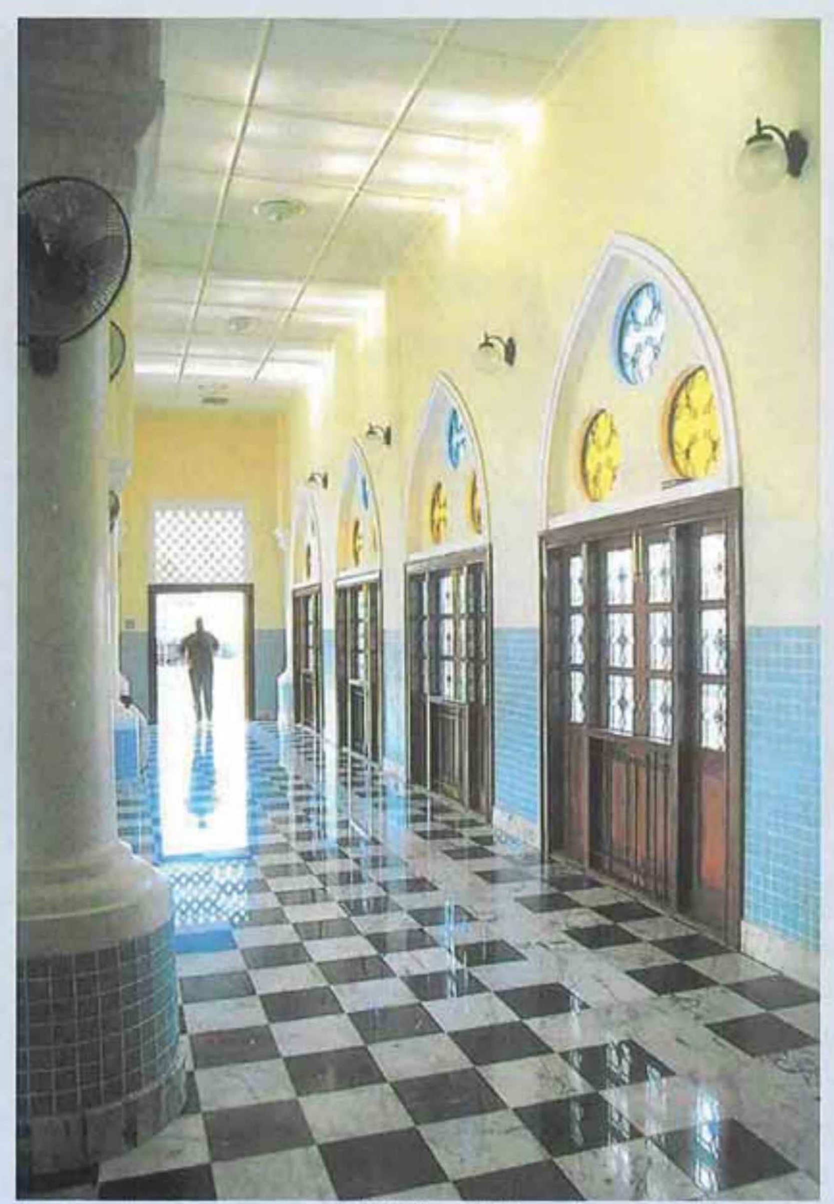
الوجـدان قـبل الأفق، فـمـا عـليك إلا الانطـلاق إلى الجـنوب التـــايـلانـدي، حيث يوجـد أكثر من ألفي مـسـجد، كـمـا سبقت الإشارة.

ومـا دمـت تنشـد، مـثلي، تـايلاند الأخـرى، تايلاند المسكوت عنهـا، فـإن عليك أن تبـتعـد عن تايلاند المنشـورات السـياحيـة البراقـة، فلا مكان لما تنشده في أشهـر جزيرتين يقصدهما السـياح الأوربيـــون في الجنوب التـايـلاندي، وهما: فوكيت، وساموي.

الواقع أنك، في سـعـيك وراء تايلاند الأخـرى، يصـعـب عليك أن تـضل طريقك، فـالجنوب التـايـلاندي الذي يضم أغلبية من المسلمين يمتد أكثر من ألف كيلومتر باتجاه ماليزيا. ومنذ القرن السـابع حتى القرن الثالث عـشر كـان الجنوب التــــايـلاندي جـــزءاً مـن إمبراطوريـة سيرفيجـايا في سومطرة، وعندما انحلت عـرا هذه الإمبراطورية المسلمة، ظل النفوذ الإسلامي قائماً من خلال السلاطين المسلمين الذين حكموا هذه المناطق، وحـرصـوا على ضـمـان تطبيق الشريعة الإسلامية فيها.

ومـن المـهم أن نـلاحـظ أنـه لم يـكـن هنـاك مـــا يـربط هـؤلاء الســـلاطين المسلمـين بملوك سـوكـوتـاي أو ايوتيـا البوذيين، ومن ثمّ فقد ظل السلاطـين مستقلين ببلادهم، إلى أن تغيرت الأحـوال، وانقلبت الأمـور رأساً على عـقب مع قـدوم حكام أقـاليم الجنوب الـذين عـينهم ملوك التـشـاكـرى الذين لايزالون على عرش تايلاند حتى اليوم.

لئن سـألتني عن أهم مـسـاجد تايـلاند وأجملهـا لبادرت على الفـور إلى القول: إنه مسجد الفطاني الجـامع، وترجع أهميته إلى أنه أقرب إلى أن يكون جسراً تلتقي عليه التقاليد التـايلاندية في عـمـارة المسـاجد ومـا يعـرف بالطراز العـام

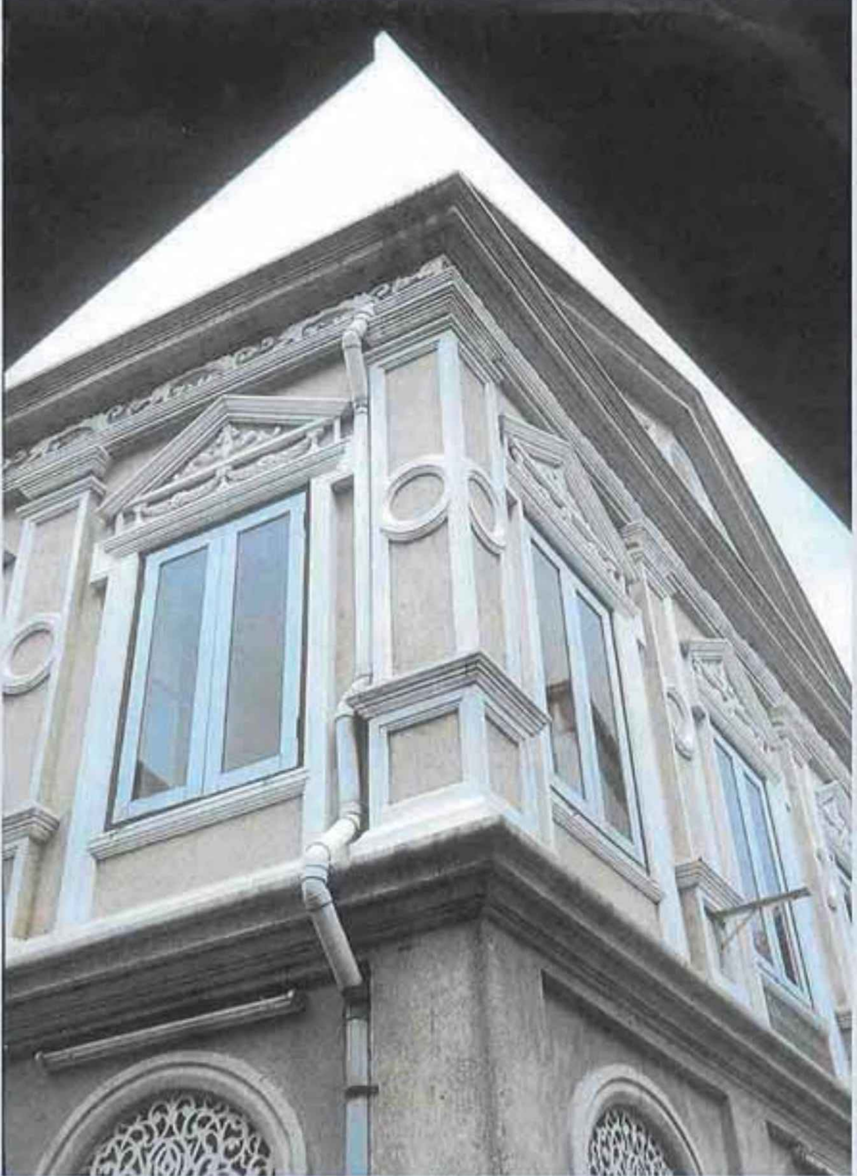


ملمح من داخل مسجد فطاني الجامع

الإسـلامي، وقد افـتـتـحه الجنرال سـاريت تنارات في عـام ١٩٦٣م.

يلفت نظرنا لقاء المؤثرات الهندية والفارسـية في تصميم المسجـد الذي يعد بناءً كبيراً نسبياً، ويبدو هذا واضحاً في العـقـد المقوّس الكبـير الذي يـسـتـقـبل داخل المسـجـد، وفي المئذنتين اللتين تأخذان بأكناف المسجد، وفي القباب المختلفة الأحجام التي تعلو سقف المسجد.

في داخل بيت الصلاة نتوقف طويـلاً عند التوظيف البديع


ملمح خارجي لمسجد لوانج كوشا إسحق

للزجاج الملون في الأبواب والشبابيك، واستخدام الرخام الأبيض في الأرضية بالتعاقب مع الرخام الأسود. ونلاحظ هنا أيضاً ما سبق لنا ملاحظته من وجود المنبر داخل المحراب، ولكن هذه المرة مع وجود سبع درجات للمنبر الذي يعلوه نصف قبة بديعة التذهيب والتضليع.

والجنوب التايلاندي يجمع في مساجده بين الحديث والقديم، ويتجلى القديم في أبرز أشكاله وأكثرها تأثيراً في النفس في مسجد السلطان مظفر شاه العريق الذي تشير لافتة صغيرة إلى أنه شيد أصلاً في سنة ٨٧٧هـ، أي عام ١٤٧٢م، وهو ما يعني أنه قديم قدم ولاية فطاني، ومعاصر لعهد سومديش برامها شاكبار في عصر أيوتيا.

ويجسّد المسجد جوانب من تاريخ الجنوب التايلاندي المسكوت عنه، فنتيجة للحرب التي نشبت بين مسلمي فطاني ومملكة سيام تعرض المسجد للحرق على يد القوات السيامية إلى أن غدا أطلالاً يكسوها السواد. غير أن أبناء فطاني ما كانوا ليتركوا المسجد الذي يرمز إلى صميم وجودهم وهويته يأكله التراب والنسيان، فناضلوا من أجل إعادة بنائه، والعودة إلى إقامة الصلاة فيه، ورفع نداء الحق تحت آفاقه، وهو ما تحقق لهم بعد طول عناء ومعاناة.

هذا المسجد، الذي يعرف أيضاً باسم مسجد فينتو كريج كرسيك تبدو فيه بوضوح التأثيرات المعمارية الفارسية، وبخاصة في عقوده المقوسة المحملة على أعمدة قصيرة عند مدخله.

وإذا انتقلنا إلى مسجد وادي الحسين الواقع في مقاطعة نراتيوات الجنوبية، لوجدنا أنفسنا أمام مسجد هو نسيجُ وحده حقّاً، فهذا المسجد، الذي يعرف أيضاً باسم مسجد تالو مانو، عمره ٣٩٠ عاماً وهو مشيد بكامله من خشب الساج الهندي الثمين والنادر، ويمتد طوله ٢٤ متراً، ويصل عرضه إلى ١٠ أمتار. وهو خال من المسامير الحديدية، ويستخدم فيه أسلوب العوارض الخشبية المألوف في الخليج في صناعة السفن التقليدية.

ويلفت نظرنا في هذا المسجد الفريد، السقف المكون


منبر ومحراب مسجد لوانج كوشا إسحق

وأعمدة هذا المسجد منفذة من الخشب أيضًا، وتأخذ شكلاً مربّعًا، وليس دائريًا، كما هو مألوف، والأرضية متخذة من الخشب بسمك الكف. وعلى الرغم من سيطرة مؤثرات الفن المعماري التايلاندي على المسجد فإنه لا سبيل إلى تجاهل مؤثرات فنون الملايو والصين فيه.

هنا من حق القارئ أن يتساءل: ماذا عن شمال تايلاند؟ هل يخلو من المساجد؟ حقًا إنه أبعد المناطق عن معاقل تركز المسلمين في الجنوب، ولكن هل هذا يعني خلوه من المآذن التي ترفع كلمة الحق عالية إلى عنان السماء؟

سبق لنا إيضاح أن منطقة شمال شرق تايلاند تضم ١٣ مسجدًا، والمنطقة الشمالية ٢٩ مسجدًا.

وربما كان أبرز مساجد الشمال التايلاندي مسجد هداية الإسلام المعروف أيضًا باسم مسجد بان هاو، والذي شيّد في عام ١٩١٦م بالخشب، ثم جددت عمارته في عام ١٩٦٦م، ويعد أكبر المساجد في مقاطعة شنمات المعروفة باستقطابها أعدادًا كبيرة من السيّاح.

معظم رواد هذا المسجد هم من المسلمين الصينيين، وعلى وجه التحديد، من أبناء إقليم يونان من الأحناف، أي المنتمين إلى المذهب الحنفي. ويجمع معمار المسجد بين مؤثرات الفنون العربية والصينية.

واللمحة الأولى للمسجد تلفت النظر إلى أصداء الإبداع المعماري في المغرب العربي. ونلاحظ أن لافتة المسجد مكونة من آية من آيات الذكر الحكيم مكتوبة بثلاث لغات هي: العربية، والتايلاندية، والصينية، كما هو مألوف في شتى أرجاء الشمال التايلاندي.

من طبقتين على شكل (جملون) حسب المعمار التايلاندي، والمستوى الأول من السقف مكسو بالفخار، والطبقة الثانية أو المستوى الثاني يأخذ شكل قبة مستطيلة حسب تصميم المبنى، إذا جاز لنا هذا التعبير.

ولابد لنا من التوقف طويلاً عند جدار المدخل المنقوش بروائع الفن الصيني، وعند الزخرفة الجصية الموجودة بالأركان والتي تأخذ شكل تفريعات نباتية ممتدة على نحو بديع، والنوافذ المشغولة بأسلوب التثقيب والتخريم، كما تلاحظ النفوس المستلهمة من الأزهار على اختلاف أشكالها.

الهوامش والمراجع

١. حوار أجراه الكاتب مع براديش فايا كيفتشين رئيس هيئة ترويج السياحة التايلاندية.
٢. جولات ميدانية للكاتب في أرجاء تايلاند.

3 - Muslim Worship Sites in Thailand - Tourism Authority of Thailand - Bankok - 2001.
4 - De voss, Dauid - Portrait of Thailand - Todri Production Ltd - N.Y. 1994.

الإبداع الثقافي والفكر التسويقي

هل للتفاعل من ضرورة؟

حمدي محمد مسعد الجمل
بورسعيد - مصر

ما من شك في أن الذي يسمّى المبدع ليس هو نفسه، ولكنْ ما يُحدثه من آثار في نفوس الآخرين، ويشعرون بأنه يمثل قيمة مضافة إلى وجدانهم من خلال زخم التجربة. يعني هذا أن الإبداع الثقافي ليس مجرد طرح لمشروع، أو اشتراك في مسابقة، بل ليس مجرد إنتاج لعمل أدبي أو فني أو غيرهما، وكذلك فهو ليس ردّ فعلٍ لأمر تنظيمي، أو استجابة لنص قانوني، إنما هو (مبادرة) تحمل في غضونها ريادة تستثير وتساهم في إدراك الحقائق، وإعادة صياغة رؤيةٍ لواقع بحاجة إلى ذلك، وتوقع لمسار الحركة التطورية للإنسان. ولقد باتت قضية تفعيل الإبداع الثقافي أحد أهم ما يشغل المجتمعات المختلفة في ظل متغيرات العولمة.

ويوضح ذلك نبيل علي في كتابه «الثقافة العربية وعصر المعلومات» بما نصه: «وكما كان شاغلنا في الماضي هو العلاقة بين التنمية والبيئة، وكيف نحمي التنوع البيولوجي من الانقراض بسبب التطبيع الأعمى لتكنولوجيا الصناعة، دون مراعاة لآثارها الجانبية، أصبح شاغلنا الآن هو كيف نحمي التنوع الثقافي هو الآخر من الانقراض، بسبب إساءة استخدام (تكنولوجيا) المعلومات، وهيمنة القطب المعلوماتي - الثقافي الأوحد»(١).

والثقافة، بكونها تواصلاً لأنماط العلاقات والمفهومات والخبرات خلال الأجيال، تمثل مفتاحاً لشخصية الجماعة/المجتمع الذي تنتمي إليه. ولعله، في إطار هذه الأهمية للثقافة، ظهرت اتجاهات حديثة في أوربا تربط حركة الثقافة بحركة التاريخ بصفته أحداثًا، وذلك في إطار ما يعرف بالنظرية الثقافية فيما يشير إليه رايموند ويليامز ١٩٩٩م: بقوله: «والحقيقة أن مشكلة العلاقات بين ما ندعوه اليوم بالفنون والعمل الثقافي من ناحية، وعمومية النشاط الإنساني الذي نصفه على نحو فضفاض بالمجتمع، من الناحية الأخرى، إنما تقوم فقط... حيث تحدث تغيرات تاريخية خاصة وذات

دلالة لكليهما»(٢). وتنتظم حركة الإبداع الثقافي خلال دورة تتضمن المبدع والمستفيد (المتلقي) وموضوع الإبداع.

ولأن تناول جوانب العلاقات الديناميكية كافة فيما بين عناصر هذه الدورة الثلاثية يخضع لمعالجات كثيرة تتشابك فيها الأبعاد النفسية والاجتماعية واللغوية، وما تتطلبه من بنية اتصالات تكنولوجية يوجهها فكر تسويقي لا يخلو هو أيضا من الإبداع، فإن حسبنا هنا التركيز في طبيعة العلاقة التبادلية بين المبدع والمستفيد وقوفا على ما قد ينشأ من تفاعل بين الإبداع الثقافي والفكر التسويقي. آخذين في الحسبان ما إذا كانت دورة الإبداع الثقافي تكتمل باكتمال عملية الاتصال (رسالة)، أم تتجاوز ذلك إلى استمرار أثرها فيما بعد الاتصال (تفاعل).

وإذا كان الفكر الثقافي المعاصر يشتمل على مجموعة من العلوم المتكاملة في صياغة ما أشار إليه (نبيل علي) بعلم الثقافة، فحسبنا هنا أيضا، مما قصدناه بالإبداع الثقافي، تلك المشتقات الثقافية التي لا تحدها نظريات العلم ومناهجه المعرفة إجرائيا، بل تبادر محلقة في أفقها الرحب إلى ما يجد فيه الإشباع الوجداني للإنسان قيمة. فلا ننظر إلى قصيدة الشعر بوصفها مجرد مهارة، ولا إلى القصاص بصفته مؤرخا أو طبيبا نفسيا، ولا إلى المحاور التلفازي/الإذاعي بكونه محققا قانونيا. وقد تفاوتت وجهات نظر بعض النقاد إلى منشئ الأثر الأدبي: بين من رآه منتجا، ومن رآه مبدعا.

لا بد من الانتباه إلى ضرورة التوازن، وإن كان نسبيا، بين إشباع العقل «بالعلم والمعرفة» وإشباع الوجدان «بالأدب والفن»، ذلك ما نعني به التوازن الثقافي


إدجار آلان بو

منتج أم مبدع؟

إذا تناولنا الظواهر الثقافية من أدب وفن وغيرهما، منطلقين من إعادة هندسة المفهوم Reengineering Concept فستكون البداية هي هذا السؤال: ما طبيعة نشاط المشتقات الثقافية من أدب وفن وغيرهما؟ هل هي صناعة؟ هل هي رؤية؟ هل هي صيغة جمالية؟ إن لهذا السؤال أهمية تتجاوز مدى ارتباطه بموضوع المقال، فهو يرتبط كذلك بالتحديات المعاصرة التي تواجه جميع الثقافات، التي طرحتها آليات التغيير، ومن أهمها تحديات العلاقات التبادلية بين ضغوط العولمة ونزعات الهوية، وحوار الثقافات، وإعلام الفضاءات المفتوحة، وتطور وسائط المعلومات (الأنفوميديا).

وسعيا إلى محاولة الإجابة، لو سلمنا بأن الإبداع الثقافي صناعة، لأمكن لكل من تعلم اللغة والعروض وأحاط بأصولهما أن يصبح شاعرا مبدعا، ولأصبحت الفنون مهنة يجيدها كل من تدرب عليها، كما أن مخرجات الإنتاج الصناعي تستهلك خلال مدى زمني معين، وبطريقة ملموسة، وتشبع حاجات مادية أو عضوية، كما أن قيمة الإشباع عادة تكون واحدة أو متقاربة، بينما تتميز مخرجات الإبداع الثقافي بأنها لا تستهلك خلال مدى زمني معين، وهي تحس أو تستشعر، أما قيمة الإشباع الوجداني أو العاطفي فليست عند المستفيدين سواء، إذ يتوقف مستوى هذه القيمة على مدى استعداد المستفيد لمزيد من الإشباع، ومدى قدرة كل منهم على تعاطي هذا الإشباع، ومدى توافر خاصية (الإشعاعية) اللازمة لاحتفاظ مشتقات الإبداع الثقافي بقدرة على الإشباع طويلة المدى، متجددة القيمة، متنوعة المذاق.

فالإبداع الأدبي - على سبيل المثال - مبادرة لمبدع اكتشف قيمة وجدانية أو عاطفية معينة، فصاغها منطلقا من بيئته الشخصية، مستهدفا إشباعا صريحا أو كامنا لدى المستفيدين من هذه القيمة. هذه المبادرة من منشئ الأثر الأدبي هي مناط تصنيفه منتجا أو مبدعا، ولعل الإشارة إلى المبادرة في سياق تفسير الإبداع الأدبي تتضمن معاني الاكتشاف والجدة وإشباع حاجة، وهو ما نراه لازما لمفهوم الإبداع، ويكفينا مفهوم المبادرة بإشباع قيمة وجدانية أو عاطفية مواجهة التحديات التي واجهت مداخل مختلفة ربما لم تخل واحدة منها من بعض التناقضات. وحري بنا الوقوف على أهم هذه المداخل، وإن أوجزنا، فيما يأتي:

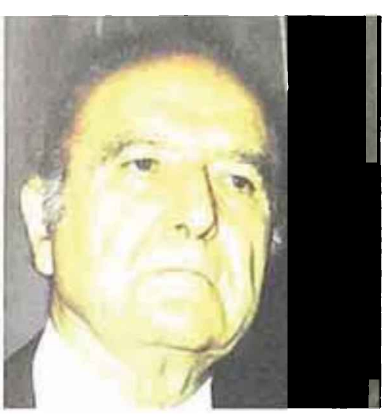
- في إطار مفهوم الأسلوبية الذاتية انطلق فوسلار

K.Vossler من الملاحظة اللغوية في النص إلى ما يسميه بروح الروائي، بينما اختزل بيفون Buffon ذلك في قوله: «الأسلوب هو الرجل»، بينما رأى رولان بارت R.Barthrs الخطاب الشعري الكلاسيكي كتابة أو فنَّ تعبير، أما الخطاب الشعري الحديث فهو أسلوب(٣).

ـ عدّت نظرية الإنتاج الأدبي الكتابة إنتاجاً لأشياء مادية وملموسة واقعة في الواقع، وأن الإنتاج يسبق التسويق، بل ويقوده، أي إنه يطرح إنتاجه، وعلى المتلقي أن يكيّف نفسه مع الإنتاج ليتقبله.

ـ أما مدخل جمالية النصوص فقد ركز في الخصائص التي صبغ النص بها، وليس في سياق النص، وكل ما يهم النص الأدبي كامن فيه ملازم له، ولقد ربط بعضهم بين هذه النصوص وسياقاتها التاريخية، بينما فصل غيرهم بينهما.

لو سلمنا بأن الإبداع الثقافي صناعة، لأمكن لكل من تعلم اللغة والعروض وأحاط بأصولهما أن يصبح شاعراً مبدعاً، ولأصبحت الفنون مهنة يجيدها كل من تدرب عليها


روجيه جارودي

ليس من الصعب الآن، باستخدام مفهوم المبادرة باكتشاف قيمة تبيّن أن منشئ الأثر الأدبي (الإبداع) هو أقرب إلى كونه مبدعاً منه منتجاً.

متلقٍ أم متفاعل؟

ما دام الإبداع الثقافي ليس إنتاجاً يستهلك، فنحن بصدد خاصية مهمة لهذا الإبداع هي استمرار قيمة الإشباع الممتد، تلك التي أشار إليها حسين الواد بقول: «إننا إذا قلنا: إن الأثر الأدبي الجميل يظل دائماً وأبداً جميلاً، أشرنا إلى ظاهرة ولم نفسرها»(٤).

ويستمر محاولاً التفسير بقوله: «هنا كان الاتجاه الحديث لحل المشكلة هو الاعتماد على القارئ مفتاحاً للبحث في الآثار الأدبية؛ فالآثار الأدبية التي تستمر وتخلد إنما تستمر وتخلد؛ لأنها تظل قادرة على تحريك السواكن، على إحداث ردّ الفعل، وعلى اقتراح التأويل»(٥). وعلى الرغم من البساطة البادية في القول بأن الإبداع إنما تقدر قيمته بما يلاقيه من استحسان لدى المستفيدين، وأن ميلاد العمل الأدبي يبدأ بنشره، فيقول حسين الواد: «ومما يبرهن على أن الكاتب يرمي بالإنشاء الأدبي إلى ربط الصلة بالقارئ أنه يعمد إلى نشر أعماله، فالنشر في ذاته، خروج بالأثر الأدبي إلى القراء. ومن هنا رأى اسكاربيت أن حياة الأعمال الأدبية تبدأ منذ اللحظة التي تنشر فيها، إذ هي في ذلك الحين تقطع صلتها بكاتبها لتبدأ رحلتها مع القراء»(٦)، فإن وراء هذه البساطة محاولات فكرية كثيرة؛ إن المسؤولية أمام الذات تختلف عنها أمام الآخرين، فالأخيرة أكثر عبئاً وتقويماً وأهمية، وأكثر جدوى معنوية وأدبية، إلى حد جعل إدجار آلان بو Edgar Alan Poe الذي يراه الكثيرون رائداً في التركيز في القارئ من بين النظريات الأدبية ـ يذهب إلى أن الأدب يتطلب الدقة والتحري ما تتطلبه الرياضيات نفسها من تفكير منطقي ودقة هندسية. إن الدقة المطلوبة هنا قد تم تطوير مفهومها حتى أصبحت تمثل المسافة الجمالية، وهي ذلك المدى بين ظهور الإبداع الأدبي نفسه، وأفق انتظاره، والذي تحدده قوة الاستجابة التفاعلية للمستفيدين من هذا الإبداع. ويتفق هذا المفهوم مع نظرية جمالية التقبل التي نشأت في ألمانيا (ألمانيا الغربية سابقاً)، كما يتقاطع في مساره الفكري مع ما تسميه المدرسة الأمريكية عدم إشباع التوقع، إذ ترى هذه المدرسة أن الإنسان في خلال تجربته مع اللغة يتكون لديه مستوى أو مدى متوقع في ذهنه، وما لم يقع في إطار هذا المدى الذي يمثل معياراً لما هو خارج نطاق التوقع، يعدّ فجوة في الإشباع.

لقد تبنت اتجاهات ما بعد الحداثة جانب شعبية الثقافة، وفي ذلك يقول رايموند ويليامز مناقشاً أنواع الثقافة الشعبية التي يقدمها التلفاز: «في هذا الشكل الشعبي بالضرورة، فإن الأساس الاجتماعي للرواية هو ما يجب أن يكون شعبياً، والحياة يجب أن تتم رؤيتها ومعايشتها من الداخل، لا من جانب زائرين محترفين»(٧). وعملية الإبداع الثقافي ليست كما يظنها بعضهم طرحاً موجباً وتلقياً سالباً، إنما هي عملية تتم في بيئة من الوعي، وعي المبدع ووعي المستفيد، ويشير روجيه جارودي إلى ذلك بقوله: «لم تعد عملية الإبداع مجرد انفعال أو

أوهام، بل عملية واعية تقصد إلى خلق صورة جديدة للواقع. إن مهمة المبدع الفني أن ينجز فنّاً يساهم في صنع المعرفة، ويفجر الطاقة الخلاقة لدى متلقيه، ويعاونه على إدراك حقائق واقعة، ويدعوه إلى المساهمة في العملية الإبداعية، ويستحثه على المشاركة في العمل الجماعي والنضالي. ويأتي عصر المعلومات، وعولمته، ليلقي أعباء إضافية على كاهل المبدع الفني»(٨).

التسويق إبداع للإشباع الثقافي

يقابل الإشباع حاجات إنسانية، قد تكون صريحة نشيطة نستدعيها مثل الحاجة الوجدانية إلى استشعار المواساة في أوقات المحن، أو الحاجة إلى استنفار الحماسة الوطنية في أوقات الحرب، وقد تكون كامنة دفينة لا تستدعينا إليها إلا خلال استثارة، من ذلك إذا كنا في صحراء نسير لمهمة تحيط بها المخاطر، وتموج فيها الهواجس، ثم وجدنا أنفسنا في أثناء البحث أمام قصاصة ورق بها أبيات من الشعر لم نتوقع مصادفتها، فبهرتنا روعتها وأخذت جاذبيتها الخلابة تستثير فينا أحاسيس وجدانية مست عاطفة الوفاء للأصدقاء، ففاضت مشاعر الألفة، وذابت مظاهر الفردية في روح الفريق، وشحذت الهمم والطاقات. إن مصدر النوعين من الحاجات الوجدانية هو النفس ذاتها، وهذا - بالطبع - مدعاة لمعرفة طبيعة هذا المصدر، وما يرتبط بذلك من معرفة: كيف يستشعر الناس أو مجموعة منهم قيمةً أو جمالاً في مشتق ما من الإبداع الثقافي على اختلافهم في الكثير من السمات الشخصية. تكاد جميع الإجابات هنا تتراجع لمصلحة إجابة تفرض ذاتها بقوة هي ذلك الموجود في النفس البشرية الذي يهديها إلى المعايير الأصلية الكاشفة عن مواطن الجمال والإحساس بالقيمة، إنها الفطرة، مصدر المعيار الثابت للإشباع، والذي يقوّم ذلك الإشباع تقويماً طبيعياً ما لم يتدخل الهوى ليحول دون الانتفاع به. فالمبدع حين يقوم بالكشف عن حاجة كامنة في الوجدان الإنساني، فيضفي عليها غنى وقوة في الصياغة والتعبير والصدق، تظل ذات قيمة مشعة تنفذ إلى المستفيدين مثيرة فيهم الإحساس بالإشباع، ويقابل ذلك أن يقوم المستفيد بإعادة اكتشاف قيمة الإبداع محققاً قيمة مضافة إلى الإبداع الثقافي خلال التفاعل والوعي. وتكفل الفطرة تأميناً للإبداع ضد الزيف أو الافتعال.

إن ذلك الارتباط بين الإشباع كرغبة للمستفيد وقدرة من جانب المبدع، وواقع في عملية الإبداع إنما يتوافق مع الفكر التسويقي الذي يعنى بتفضيلات المستفيدين والعمل على إشباعها، والبحث الدؤوب لتجويد هذا الإشباع وفقاً لمفهومات المستفيدين أنفسهم واتجاهاتهم. وثمة ضرورة تفرض نفسها على الواقع العربي تدعونا لتأمين إبداعنا الثقافي باستخدام نظم تسويق تتسم هي أيضاً بالإبداع، ذلك أن الإنسان العربي، شأنه شأن أي إنسان في العالم، أصبح مستهدفاً بفعل خطط الإعلام المتنافسة، التي تملك أدوات الترويج والإقناع والاحتواء، وسماء مفتوحة أمام الاختراق الإعلامي، وسيادة نظام دولي لحقوق الملكية الفكرية، حتى أصبح من المتعذر تأكيد هوية الإبداع الثقافي العربي وقدرته على المنافسة دون خطط (إستراتيجيات) تسويقية ذكية وفعّالة.

عملية الإبداع الثقافي ليست - كما يظنها بعضهم - طرحاً موجباً وتلقياً سالباً، إنما هي عملية تتم في بيئة من الوعي، وعي المبدع ووعي المستفيد

آفاق التسويق الثقافي

إن رؤية الإنسان للعالم تنبع من داخل الإنسان، وليس العكس. وتتم عملية التفاعل بين الإنسان وعالمه حين تتفاعل حواسه مع صورة العالم التي تلقاها من مخه، إلى ذلك يشير أورنشتاين وإيرلن في قولهما: «إن العالم الثري الذي نشعر به هو في الحق داخلنا، وهو مجرد ظل للعالم الذي يملأ مخنا»(٩). ويبدو أن شعورنا بهذا العالم حين نتلقاه من مخنا لا يعكس ظل هذا العالم، كما هو دون تعديل، وإنما، وكما هي عادة المخ البشري، يقوم ببعض الحذف أو الإضافة، ويستطرد الكاتبان في ذلك إلى القول: «إن رؤيتنا للعالم تشمل التضمين والحذف، إن الحواس تختار المهم وتترك بقية العالم»(١٠) فالعالم الذي نشعر به - على



رولان بارت

الرغم من تطوره وما آل إليه من كثافة معرفية وتنامي أنواع الذكاء - مازال صغيراً جداً، يقول أورنشتاين وإيرلت: «لقد أوضح التحليل الحديث للجهاز العصبي والعقل نتائج مذهلة، نحن لا نخْبُرُ العالم كما هو، إنما نخبُرُ فقط نحو واحد من تريليون من الوقائع الخارجية، إنه في الحق عالم صغير»(١١) وهذا يعني أن المساحة التي تمثل الأفق الذي يستطيع الإنسان أن يبلغه في التصور والتخيل، ويستشعر من خلاله الجمال أو القيمة الوجدانية ما زالت هائلة، مما يعني أن الفجوة التي تمثل الطلب على مشتقات الإبداع الثقافي هي أيضاً هائلة.

وهنا لا بد من الانتباه إلى ضرورة التوازن، وإن كان نسبياً، بين إشباع العقل «بالعلم والمعرفة» وإشباع الوجدان «بالأدب والفن»، ذلك ما نعني به التوازن الثقافي. ومن الملاحظ أن القرن العشرين قد شهد - وبخاصة في آخره - اهتماماً مضاعفاً بثقافة الخيال العلمي، وارتفاع نسبة الطلب المتداولة للإشباع العلمي عن مثيلتها للإشباع الأدبي، وإن لم يتم إدراك خطورة آثار العملية الانتخابية التي تتسم بها حركة التطور الإنساني، والتي قد تُلحق بالطلب على الإشباع الأدبي مزيداً من الخسائر، فإن المُكوّن العلمي الذي تدعمه ثورة المعلومات أكثر من غيره، ربما يطغى على أغلب اهتمامات الإنسان إن لم يكن عليها كلها، فيفقد الإنسان حالة التوازن الثقافي التي فُطر عليها. وقد يكون أحد الأبدال المطروحة والتي نقترحها في هذا الشأن أن نيسّر للإبداع الثقافي بمشتقاته الاستفادة من التطبيقات العلمية الحديثة، وأن نطوّر في ذلك نظماً يُفعّلها علم الثقافة، ومجال ذلك في نظم الوسائط المتعددة Multimedia كبير، ولا يتمنى ذلك دون تفاعل مع الفكر التسويقي. ولعل دافعنا إلى التنبيه على إدراك ذلك ليس هو الحرص على الأدب والفن فحسب - وإن كان ذلك ضرورياً - ولكن للمشتقات الثقافية بعامة، والأدبية والفنية منها بخاصة، وظائف وأدواراً اجتماعية غير قابلة للتفويض ولا للاستغناء، ففي ظل الإشباع الفطري للوجدان الإنساني وعاطفته، تقوم المشتقات الأدبية والفنية بالحفاظ على التوازن الفطري للإنسان، وذلك بالتقابل مع الإشباع المنطقي أو العقلي، ومن دون هذا التوازن الفطري يتحول الإنسان إلى ما يشبه الآلة التي تحمل في نظام تشغيلها احتمالات تدميرها، وعسى أن يتفق مع هذه الرؤية قول أورنشتاين وإيرلن: «إن جنسنا يمر الآن بأكبر نقاط التحول أهمية منذ الثورة الزراعية، لقد تمكنت البشرية للمرة الأولى من معارف يمكن بها أن تدمر نفسها بسرعة، وللمرة الأولى تمكنت البشرية من معارف يمكن بها أن تأخذ تطورها بيدها، وأن تتغير الآن، وتغير الطريقة التي يدرك بها الناس ويفكرون. وما بقي متروك لنا جميعاً»(١٢).

إن توفير سوق ثقافية عربية واعية بالتوازن الفطري لا يمثل مجرد مضاد حيوي لما يمكن أن تعانيه البشرية إذا ما طغت ثورة المعرفة العقلية، وإنما يعدّ ذلك وقاية من هذه الآفات المتوقعة أيضاً.

إن الإبداع الثقافي تفاعل وانفعال بين الإنسان وبيئته، ويشترك كل من الإنسان والبيئة في الانتماء إلى الفطرة، وثقافة الفطرة فمحورها القيم، وأما الثقافة المقابلة فمحورها الهوى، والحمد لله الذي هدانا لفطرته وكفانا شر ثقافة الهوى. *ولو اتّبع الحقُّ أهواءهم لفسدت السماوات والأرضُ ومن فيهنّ بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون. أم تسألهم خرجاً فخراج ربّك خيرٌ وهو خيرُ الرازقين، وإنّك لتدعوهم إلى صراط مستقيم*. المؤمنون: ٧١-٧٣.

المراجع

١. الثقافة العربية وعصر المعلومات، نبيل علي، عالم المعرفة، ٢٥٦، يناير الكويت، ٢٠٠١، ص١٢٤.
٢. طرائق الحداثة ضد المتوائمين الجدد، رايموند ويليامز، ترجمة فاروق عبدالقادر، عالم المعرفة، ٢٤٦، يونيو، الكويت، ١٩٩٩م، ص٢٠١.
٣. يمكن الرجوع إلى: الأسلوبية الذاتية أو النشوئية، عبدالله حولة، مجلة فصول، ١مجلد ٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م، ص ٨٣-٩٢.
٤. من قراءة النشأة إلى قراءة التقبل، حسين الواد، مجلة فصول، ١ مجلد ٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م، ص١١٣.
٥. المرجع السابق، ص ١١٤.
٦. المرجع السابق.
٧. رايموند ويليامز، مرجع سابق، ص٤٤.
٨. نبيل علي، مرجع سابق، ص١٢٤.
٩. عقل جديد لعالم جديد، روبرت أورنشتاين وبول إيرلن، ترجمة أحمد مستجير، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٧٨-٧٩.
١٠. المرجع السابق، ص٧٨.
١١. المرجع السابق، ص٨١.
١٢. المرجع السابق، ص ٢٩١.

مكافحة الإغراق في النظام التجاري العالمي

صباح نعوش
ليون ـ فرنسا

نجم النظام التجاري العالمي الجديد عن مفاوضات شاقة وطويلة ومتعددة الأطراف دامت نحو خمسين سنة، ارتكزت على كيفية تحرير المبادلات العالمية من الرسوم الجمركية والقيود الكمية. وحققت الجولة الأخيرة للمفاوضات (أورغواي ١٩٨٦ ـ ١٩٩٤م) تقدماً كبيراً في تحقيق هذا الهدف موازنة بالجولات السابقة. ولكن لايزال هذا النظام، هو في طور النمو، ويعاني مشكلات تحول دون التحرير الكامل للتجارة العالمية، وتؤثر تأثيراً سلبياً في اقتصاديات البلدان النامية، وتُعدّ سياسات مكافحة الإغراق في مقدمة هذه المشكلات.

كثقافة عامة تلتزم الدول الأعضاء في منظمة التجارة العالمية تحويل القيود الكمية (كمنع دخول السلع والتعقيدات الإدارية المبالغ فيها) التي تراكمت منذ فترة طويلة إلى رسوم جمركية. وعلى هذه الدول أن تضع حداً أعلى للرسوم الجمركية المفروضة على جميع السلع. ولا يجوز تجاوز هذا الحد لاحقاً إلا في حالات مكافحة الإغراق أو الوقاية. لكن هذه الحالات كثيرة إلى درجة تهدد سلامة المبدأ العام للنظام التجاري الجديد، وهو التخلص من العقبات التجارية كافة.

تنص المادة السادسة من الاتفاق العام للجات على ما يأتي:

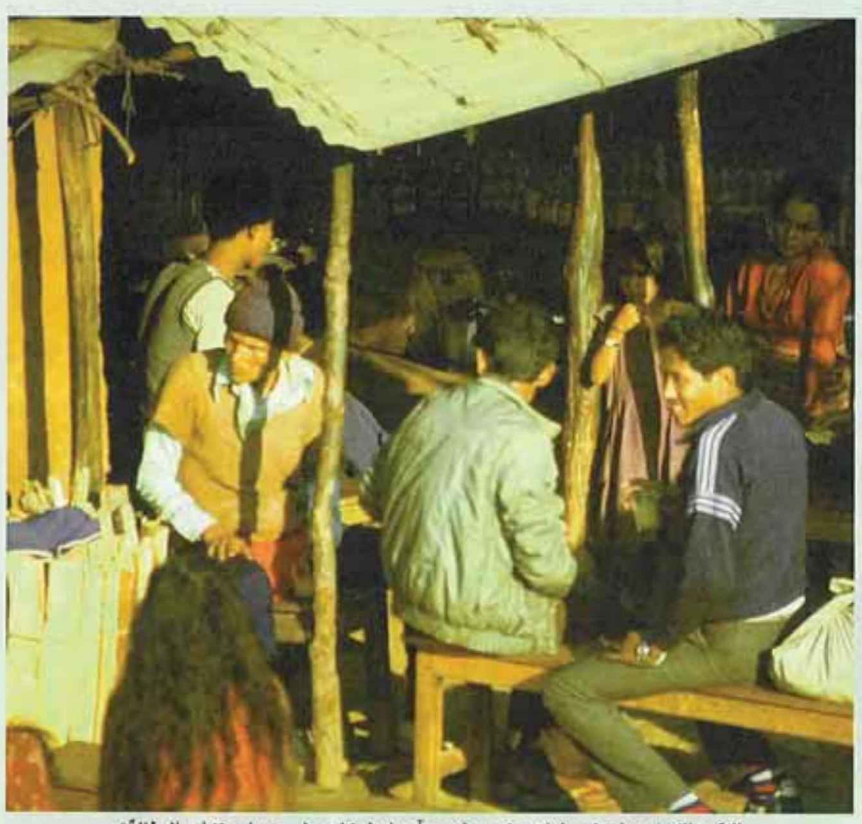
ـ الإغراق يسمح بإدخال سلعة معينة مُنتجة في دولة ما إلى سوق دولة أخرى بسعر أقل من قيمتها العادية. ويراد بالقيمة العادية: السعر السائد عادة في الدولة المصدِّرة.

ـ الإغراق عملية معقدة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بأسعار السلع في السوق العالمية. أما التدابير الوقائية فتتعلق باقتصاديات البلدان المستوردة وموازين مدفوعاتها. فعندما ترتفع الواردات، وتقود إلى إحداث ضرر جسيم بالصناعات المحلية، تستطيع الدولة المستوردة اتخاذ التدابير المتمثلة بفرض رسوم جمركية مرتفعة لإزالة هذا الضرر. وعلى الدولة المستوردة إثبات وجود هذا الضرر، وأن تنصب التدابير على إزالته فقط. فلا يجوز تقليص الواردات إلى أقلّ من معدلها للسنوات الثلاث الأخيرة

المعروفة من الناحية الإحصائية. ويمكن تخفيض الواردات إلى دون هذا المستوى عند عدم فاعلية ذلك المعدل لمعالجة الضرر الجسيم. ويجب ألا تزيد مدة تطبيق التدابير على أربع سنوات مع إمكانية تمديدها إلى ثماني سنوات في حالة ضرورة الاستمرار بتطبيقها. وتلتزم الدول الأعضاء إبلاغ الأمانة العامة لمنظمة التجارة العالمية بحجم الضرر وطبيعة التدابير المزمع اتخاذها لإزالته. ولا يجوز، كقاعدة عامة، اللجوء إلى التدابير الوقائية إلا بعد موافقة المنظمة.

والواقع أن هذه الوقاية ضرورية للكثير من الدول النامية، ومن بينها الأقطار العربية، التي تعاني ضعف صناعتها، وعجز موازين مدفوعاتها. وللاستفادة من هذه الأحكام لابد من إجراء موازنة بين هذه المكاسب والخسائر المحتملة؛ لأن القيود الكمية والرسوم الجمركية المرتفعة تضر بمصالح البلدان المستوردة. وحسب الاتفاق المتعدد الأطراف يجب على الدولة المستوردة التفاوض مع البلدان المصدرة للتوصل إلى اتفاق حول التعويض التجاري الذي يمكن منحه. وهذا أمر منطقي إذ لا يجوز أن يستفيد فريق على حساب الفريق الآخر. وعندما يتعذر هذا الاتفاق يحق للبلدان المصدّرة، بموافقة منظمة التجارة العالمية، اتخاذ إجراءات انتقامية، كأن تزيد الرسوم على وارداتها من الدولة التي لجأت إلى الوقاية. ولا يجوز اللجوء إلى هذه الإجراءات خلال السنوات الثلاث الأولى من الوقاية. وعلى هذا الأساس إذا كانت الخسائر المتولدة عن الإجراءات الانتقامية أكبر من مكاسب التدابير الوقائية يصبح من الضروري التنازل عن هذه التدابير.

وتجدر الإشارة إلى أن الاتفاق المتعدد الأطراف يمنع تطبيق الوقاية ضد سلعة مستوردة من دولة نامية تحت شرطين: أولهما: ألا تزيد الواردات من هذه الدولة على ٣٪ من الواردات الكلية للسلعة. وثانيهما: ألا تزيد الواردات من جميع الدول النامية على ٩٪ من الواردات الكلية للسلعة.



التقدم التجاري لبعض بلدان جنوب شرق آسيا هل كان على حساب تزايد البطالة؟

الإغراق الاقتصادي

تمر عادة سياسة مكافحة الإغراق بثلاث مراحل: في المرحلة الأولى يتعين على الدولة المستوردة تحديد حجم الإغراق الذي يصيبها. ويتم ذلك بموازنة السعر المحلي للسلعة مع سعرها المخصص للتصدير، ويجب أن يكون الأول أقل من الثاني. وهناك أسلوب آخر يتمثل بالموازنة بين كلفة إنتاج السلعة في البلد المصدر وسعر بيعها للخارج.

يوجد إغراق إذا كانت قيمة كلفة الإنتاج أعلى من سعر البيع. يسبب هذا النوع من الإغراق خسارة مؤقتة للمصدر بهدف احتكار سوق البلد المستورد لاحقًا، مما يربك العلاقات التجارية القائمة أساسًا على المنافسة. وفي

المرحلة الثانية على الدولة المستوردة إثبات الضرر الذي تتحمله. الضرر هو إذن الشرط الأساسي لتحريم الإغراق، وهو المسوّغ للإجراءات التجارية ضده. وعلى هذا الأساس، ليست هنالك أي حكمة أو فائدة من مكافحته عند عدم وجود الضرر، كعدم إنتاج الدولة المستوردة سلعة مماثلة حالياً أو في المستقبل المنظور. ثم تأتي المرحلة الثالثة المتمثلة بفرض ضرائب جمركية خاصة على السلعة محل الإغراق، ويشترط ألا يكون مبلغها أكبر من



الإغراق وحماية المنتج المحلي - علاقة معقدة!

الفرق بين سعر استهلاك السلعة في الدولة المصدرة وسعرها في البلد المستورد، كما يتعين ألا تكون الضرائب منحازة، إذ لا يجوز فرضها على سلعة دولة دون سلعة مماثلة لدولة أخرى.

وتطبق سياسات مكافحة الإغراق في جميع أنحاء العالم خاصة في الدول الصناعية الكبرى. في منتصف عام ١٩٩٩م تم إحصاء ١٠٩٧ إجراء لمكافحة الإغراق في الدول الأعضاء في منظمة التجارة العالمية، منها ٣٣٦ في الولايات المتحدة، و١٩٣ في بلدان الاتحاد الأوربي، و ٧٧ في كندا. في هذه البلدان الصناعية بلغ المعدل العام للرسوم الجمركية أقل من ٥٪. أما أسعار الضرائب الخاصة بمكافحة الإغراق فقد وصلت في بعض الأحيان إلى أكثر من ١٠٠٪ أثبتت هذه السياسات فاعليتها في الحد من استيراد بعض السلع، ولا يزال المنتجون في هذه الدول يمارسون ضغوطاً على حكوماتهم بغية الإبقاء عليها؛ وذلك على حساب المستهلكين الذين أصابهم ضرر كبير لارتفاع أسعار السلع المستوردة. وبسبب هذه الضغوط المستمرة يزداد عدد الإجراءات سنوياً.

يجب - بلا شك - محاربة الإغراق عندما يقضي على القاعدة الرئيسة للتجارة السليمة وهي المنافسة. لكن المشكلة تتعلق بكيفية حساب هوامش الإغراق، والجهة التي تحدد درجة الضرر وشدة التدابير المتبعة لمعالجته. هذه التقديرات متروكة لكل دولة بصورة انفرادية، مما يؤدي إلى اتخاذ إجراءات تعسفية. فعلى سبيل المثال، يستوجب التنظيم التجاري العالمي أن تزول إجراءات مكافحة الإغراق فوراً عندما تكون قيمة استيراد السلعة محل الإغراق ضعيفة. وتم الاتفاق على أن تكون هذه القيمة أقل من ٣٪ من مبلغ واردات السلع المماثلة، والدولة المستوردة هي التي تتولى حساب هذه النسبة، وتستطيع من ثمّ محاربة أي سلعة حال إثبات أن قيمتها تفوق تلك النسبة.

قد لا يكون للمصدر أيّ نية للإضرار بالإنتاج المحلي للدولة المستوردة، وغالباً لا يتمتع إنتاجه بكفاءة عالية تؤثر فعلاً في المنتجات المحلية المماثلة، خصوصاً أن أكثر المصدرين ينتمون إلى دول نامية بل فقيرة لا يمكنهم احتكار أسواق البلدان الصناعية. ومع ذلك تخضع صادراتهم لضرائب مرتفعة إلى أقصى الحدود. ترمي إجراءات مكافحة الإغراق في حقيقتها إلى سدّ أسواق الدول الصناعية في وجه المنتجين من البلدان النامية الذين أثبتوا جدارتهم، خاصة في ميدان المنسوجات والملابس.

أصبحت مكافحة الإغراق أخطر سلاح ضد تحرير التجارة العالمية، وسوف يستمر هذا الوضع فترة طويلة. لا شك أن التنظيم الجديد للتجارة العالمية يستوجب إلغاء إجراءات مكافحة الإغراق بعد مرور خمس سنوات ابتداءً من تاريخ تطبيقها، لكنه يسمح أيضًا للدول المستوردة بالاستمرار بها لمجرد شعورها باحتمال عودة الضرر بعد انقضاء هذه المدة.

من الناحية المبدئية، في حالة عدم موافقة الدولة المصدرة على الإجراء المتخذ ضد صادراتها، تستطيع اللجوء إلى جهاز فض المنازعات لمنظمة التجارة العالمية. فقد اتفق في جولة أورغواي على عدم مشروعية الإجراءات الانفرادية، فأصبحت منظمة التجارة العالمية الجهة الوحيدة المختصة بالنظر في المنازعات. تلتزم الدول الأعضاء فيها احترام القرارات الصادرة عن أجهزتها، وأن تطبقها فورًا من دون شرط إلا في الحالات التي تستوجب منح فترة زمنية معقولة يحددها جهاز فض المنازعات. أضف إلى ذلك أن هذا الجهاز الذي يصادق على القرارات يتكون من ممثلين عن جميع الدول الأعضاء في المنظمة. إنه لا يعرف الفيتو أو الأصوات الموزونة. بل تتساوى فيه حقوق جميع الدول وواجباتها بغض النظر عن حجمها التجاري. كما أن أعضاء المجموعات الخاصة وجهاز الاستئناف حياديون وغير مرتبطين بمؤسسات الدول التي ينتمون إليها. إنها ضمانات لمصداقية نظام تسوية المنازعات مما يشجع الدول المتنازعة على اللجوء إلى المنظمة.

منذ قيام منظمة التجارة العالمية في مطلع عام ١٩٩٥م حتى نهاية عام ٢٠٠٠م عرضت نحو ٢٠٠ شكوى أمام جهاز فض المنازعات. لم يقدم بلد عربي أي شكوى. ولا يعزى ذلك إلى غياب المشكلات المتعلقة بسياسات مكافحة الإغراق خاصة مع الدول الصناعية الكبرى، بل إلى أمور اقتصادية ومالية تحول عمليًا دون الاستفادة من نظام فض المنازعات. عقدت أقطار عربية اتفاقات شراكة مع دول صناعية في الاتحاد الأوربي بشكل خاص.

إنها اتفاقات تفصيلية، ومن ثم أساسية لتصريف السلع العربية. الاصطدام مع هؤلاء الشركاء قد ينعكس سلبيًا على هذه الاتفاقات. كما تقدم أوربا والولايات المتحدة مساعدات نقدية وعينية لأغلب البلدان العربية الأعضاء في منظمة التجارة العالمية. من الصعب تقديم شكوى بشأن الصادرات مثلاً ضد دولة مانحة للمساعدات.

لسياسات مكافحة الإغراق نتائج سلبية كثيرة على صادرات البلدان العربية، أما آثارها الإيجابية في وارداتها فهي ضعيفة. تصدر هذه البلدان سلعًا مصنعة كالملابس، قابلة للخضوع في الدول الصناعية لسياسات مكافحة الإغراق. عندئذ تصبح هذه السياسات مضرة باقتصاديات البلدان العربية. وبالمقابل تستورد هذه البلدان سلعًا مصنعة من أنحاء العالم كافة، وبخاصة الدول الصناعية. يمكن تقسيم هذه السلع المستوردة قسمين: يشمل القسم الأول الآلات والأدوات الإنتاجية التي غالبًا ما تكون غير مصنعة في البلد العربي المستورد، ويستحوذ هذا القسم على ٢٩٪ من الواردات الكلية للأقطار العربية، وفي هذه الحالة ينجم الإغراق (إن وجد) عن تنافس المصدرين لكسب أسواق البلدان العربية. عندئذ لا يوجد أي مسوّغ لمحاربته بل بالعكس تمامًا؛ إذ كلما هبطت أسعار الواردات تحسّن مركز الميزان التجاري. ويتضمن القسم الثاني الواردات الصناعية والزراعية المنتجة محليًا، في هذه الحالة تصبح سياسات الإغراق ضرورية إذا كان الضرر كبيرًا.

لكن الدول العربية لا تعتمد على سياسات مكافحة الإغراق إلا نادرًا، بينما تعاني الدول الصناعية الكبرى هذه السياسات المتبعة. لذلك تصبح سلبياتها أكبر بكثير من

يجب إجراء دراسة دقيقة لموازنة الضرر الاقتصادي والاجتماعي الذي يلحق بالدول المصدرة بسبب مكافحة الإغراق مع الضرر المماثل الذي قد يلحق بالدول المستوردة بسبب الإغراق

إيجابياتها. ويتعين إذن على الدول العربية وبقية البلدان النامية التنسيق بينها في إطار منظمة التجارة العالمية بهدف الحد من تلك السياسات، ومنح صلاحيات حقيقية لجهاز فض المنازعات في تقدير درجة الضرر. كما يجب إجراء دراسة دقيقة لموازنة الضرر الاقتصادي والاجتماعي الذي يلحق بالدول المصدرة بسبب مكافحة الإغراق مع الضرر المماثل الذي قد يلحق بالدول المستوردة بسبب الإغراق. فليس من الإنصاف أن تقتصر قواعد منظمة التجارة العالمية على الضرر الذي تتحمله البلدان الصناعية دون النظر إلى الضرر الذي يصيب الدول النامية.

الإغراق الاجتماعي

غالبًا ما يحدث الإغراق بمفهومه السابق نتيجة السياسات التجارية التي تنتهجها شركات القطاع الخاص بتقليص أسعار سلعها المصدرة، ومن ثم تصل هذه السلع إلى السوق العالمية بأسعار منخفضة. وربما تتحمل هذه الشركات كما ذكرنا خسارة مؤقتة غايتها كسب الأسواق الخارجية. وقد تصل السلع إلى هذه الأسواق بأسعار متدنية دون تأثير من قبل تلك السياسات عندما تكون كلفة الإنتاج في البلد المصدر أقل من مثيلتها في البلد المستورد، وذلك لتباين مستوى المعيشة أو لاختلاف قوانين العمل فيها. في هذه الحالة تنتفي احتمالات التصدير بخسارة. ولكن في الحالتين تباع السلع للبلدان المستوردة بأسعار منخفضة موازنةً بأسعار السلع المماثلة المنتجة فيها. عندئذ تتراجع صناعتها، ويتدهور مستوى عمالتها. وهكذا ظهر تعبير الإغراق الاجتماعي الذي استخدم أول مرة من قبل البرلمان الأوربي في بداية عام ١٩٩٤م. والواقع أن هذا المصطلح غير علمي؛ لأن العملية التجارية لا تقع تحت طائلة الإغراق إلا في حالة واحدة وهي التصدير بسعر أقل عن السعر المحلي السائد في البلد المنتج وفق تعريف المادة السادسة من الجات السابقة الذكر. أما إذا كان السعر المحلي لسلعة معينة يعادل سعرها عند التصدير فلا يوجد إغراق مع كون هذه السلعة رخيصة الثمن في البلد المستورد قياساً بالسلعة المماثلة المنتجة فيه.

في حقيقة الأمر يراد بالإغراق الاجتماعي الحقوق الاجتماعية للعمل. فمن المعلوم أن الكلفة الكلية لساعة العمل في البلدان الصناعية أعلى من كلفتها في البلدان النامية. ففي عام ١٩٩٥م بلغ معدل كلفة ساعة العمل في قطاع الصناعات التحويلية الأمريكية ١٧٫٢ دولارًا. ثم ترتفع أو تنخفض في البلدان الصناعية الكبرى الأخرى بنسبة ٢٠٪ تقريبًا موازنة بالولايات المتحدة. بينما بلغت كلفة ساعة العمل أقل من دولار واحد في الدول النامية بما فيها غالبية البلدان العربية. وبما أن كلفة العمل تعدّ من عناصر السعر يصبح مستوى أسعار السلع المماثلة مرتفعاً في الدول الصناعية ومنخفضاً في البلدان النامية. عندئذ تظهر مشكلات القدرة التنافسية في التجارة العالمية خاصة في القطاعات التي لا تتطلب مهارة فنية عالية كصناعة الملابس. لا تستطيع حكومات الدول الصناعية تقليص أجور عمالها لارتباط مثل هذه القرارات بسوق العمل وبالعلاقات بين النقابات. كما لا تستطيع المطالبة برفع أجور العمال في البلدان النامية؛ لأن ذلك يعتمد على خصوصيات كل بلد. ولم يبق أمامها سوى التشبث بالحقوق الاجتماعية للعمل، وخصوصاً الحرية النقابية وتحريم تشغيل الأطفال. إنها طريقة غير مباشرة تسمح بزيادة أجور العمال فتتقلص الهوة مع كلفة الأجور في الدول الصناعية، ومن ثم تهبط القدرة التنافسية لسلع البلدان النامية.

في مؤتمر قمة الدول السبع الكبرى المنعقد في نهاية حزيران/يونيو ١٩٩٦م بمدينة ليون الفرنسية، سيطرت فكرة مضمونها أن التقدم التجاري لبعض بلدان جنوب شرق آسيا كان على حساب تزايد البطالة، وتدهور الوضع الاقتصادي في الدول الصناعية.

وطلبت المجموعة الأوربية من منظمة التجارة العالمية تبني الإجراءات الكفيلة باحترام الحقوق الاجتماعية للعمل؛ لأنها جزء من حقوق الإنسان التي تسري على جميع الدول بغض النظر عن درجة تنميتها الاقتصادية. وتعتقد المجموعة الأوربية أن تجاهل هذه الحقوق يقود إلى إفساد مبدأ التبادل الحر وإبطال مشروعيته. وترى تناقضاً بين موافقة منظمة التجارة العالمية على حقوق الملكية الفكرية ومعارضتها لحقوق العمال.

وطرحت مشكلة الحقوق الاجتماعية في المؤتمر الوزاري الأول للمنظمة المنعقد بسنغافورة في ديسمبر/ كانون الثاني ١٩٩٦م، فقد أدرج في جدول أعماله ما يسمى بالمعايير الأساسية للعمل، ورفض بشدة ممثلو غالبية الدول النامية مناقشتها، واتفق الجميع على إحالتها إلى منظمة العمل الدولية بصفتها الجهاز المختص بالنظر في مثل هذه المشكلات، كما أوضحوا أن تحسين وضع العمال يجب أن يمر عبر تحرير التجارة العالمية وزيادة التبادل، أو بمعنى آخر، لا يمكن جعل تدنّي الأجور في الدول النامية صورة من صور معوقات التجارة بل نتيجة لها. فإن طبقت البلدان الآسيوية والإفريقية الأنظمة الاجتماعية المعروفة في الدول الأوربية فستتعطل التنمية الاقتصادية؛ لأن تحسين الظروف الاجتماعية للعمال يمر إذن عبر النمو الاقتصادي، وليس العكس، أضف إلى ذلك أن الإدارة السليمة للمشروعات تستوجب الربط بين مستوى الأجور والإنتاجية. فلا يصح أن يحصل العامل في جنوب شرق آسيا على أجر يعادل ما يحصل عليه العامل في أوربا؛ لأن إنتاجية الثاني تعادل عشرة أضعاف إنتاجية الأول حسب تقديرات البنك العالمي. وتبين الدراسات أن فجوة الإنتاجية في كل من ماليزيا والفلبين والهند موازنة بالولايات المتحدة أكبر من فجوة الأجور في الصناعات التحويلية. كما اصطدم مرة أخرى موقف الدول الصناعية الكبرى مع موقف البلدان في المؤتمر الوزاري الثالث لمنظمة التجارة العالمية المنعقد بسياتل في نهاية نوفمبر/ تشرين الثاني عام ١٩٩٩م، ولم يتوصل المؤتمر إلى اتخاذ قرار يختلف عن ذلك الذي اتخذه المؤتمر الوزاري الأول. كما احتدت الخلافات بين الولايات المتحدة والاتحاد الأوربي بشأن الإعلانات الممنوحة للصادرات الزراعية. وهكذا أخفق المؤتمر الثالث باتفاق جميع الجهات بما فيها منظمة التجارة العالمية.

الإغراق الاجتماعي مصطلح غير علمي؛ لأن العملية التجارية لا تقع تحت طائلة الإغراق إلا في حالة واحدة وهي التصدير بسعر أقل عن السعر المحلي السائد في البلد المنتج

في حالة استجابة البلدان النامية لمطالب الدول الصناعية المتعلقة بالحقوق الاجتماعية، وعلى افتراض أن هذه الحقوق سوف تؤدي إلى ارتفاع الأجور، سوف تفقد الدول العربية المكسب الأساسي لتجارتها الخارجية. عندئذ تتدهور صادراتها وتهرب رؤوس الأموال الأجنبية المستثمرة في الصناعات التحويلية. أما إن لم تقد هذه الحقوق إلى زيادة الأجور فسوف تجد الدول الصناعية مختلف الذرائع لمقاضاة البلدان النامية أمام جهاز فض المنازعات التجارية.

تتعين موازنة إيجابيات احترام الحقوق الاجتماعية للعمل وسلبياته؛ فتشغيل الأطفال يعيق تكوين جيل متعلم يمكنه لاحقًا قيادة التنمية الاقتصادية والتقدم الاجتماعي. فقد أصبح هذا التشغيل ظاهرة واضحة في جميع الدول العربية المنخفضة الدخل. ويبين التقرير الاقتصادي العربي الموحد الصادر عن جامعة الدول العربية في عام ١٩٩٩م أن الأطفال الذين تراوح أعمارهم بين ١٠ و ١٤ سنة يشكلون بين ١٠٪ و ٢٣٪ من القوة العاملة في الأقطار العربية غير الخليجية. ولكن لا تتأتى هذه الظاهرة من الرغبة في إغراق الأسواق الخارجية، بل من الظروف الاقتصادية الصعبة. لذلك لا يمكن احترام الحقوق الاجتماعية للعمل دون معالجة هذه الظروف.

الإغراق مشكلة معقدة لم تعالج بشكل نهائي في جولة أوروغواي، وسوف تكون من المحاور الرئيسة للجولة التاسعة القادمة للمفاوضات المتعددة الأطراف، ويتعين على البلدان النامية التنسيق بينها لتبني إستراتيجية واضحة وموحدة تخدم مصالحها وتقوم على أساسين: أولهما بذل الجهود اللازمة لتقليص سياسات مكافحة الإغراق؛ لأنها تتناقض مع تحرير التجارة العالمية. وثانيهما عدم الخضوع للضغوط بشأن احترام الحقوق الاجتماعية التي ترمي في نهاية المطاف إلى الحد من القدرة التنافسية لسلع البلدان النامية.

صراع الهويات والمصالح يهدد الدولة في الغرب

ممدوح الشيخ
المنوفية ـ مصر

تعدّ مشكلة «الهوية القومية» أحد أخطر المشكلات التي تواجهها أوربا منذ سنوات، وتوشك أن تكون عاملاً من أهم عوامل تحديد مستقبل أوربا، ويرى مارك فيرو ـ الأستاذ بمركز الدراسات التاريخية بمدرسة الدراسات العليا للعلوم الإنسانية والاجتماعية بباريس ـ أن فكرة الهوية القومية مركبة ومعقدة. فلكل واحد أكثر من هوية، وفي فترات معينة من التاريخ تكون لإحدى هذه الهويات الغلبة على غيرها.

حتى بالنسبة إلى الفرد يرى لنفسه خلال عمره المحدد هويات متعددة: محلية، وإقليمية، وعرقية، وسياسية، وقومية. وربما توجد أوقات يشعر فيها بصراع بين هذه الهويات. ويطبق مارك فيرو هذا المنهج على القارة الأوربية، فيخرج بنتيجة فحواها أن «الهوية السياسية» في أوربا المعاصرة أقوى من «الهوية الثقافية»، ولكن الهوية القومية في أوربا الشرقية والوسطى الآن أقوى من أشكال الهويات الأخرى كافة.

والسبب في ذلك ـ حسب تصوره ـ يرجع إلى عدة عوامل: أهمها عمليات التداول الاقتصادي والإعلامي التي تجعل المجتمعات تفقد ركائزها التاريخية والثقافية والسياسية فيسودها شعور بأنها محكومة بقوى خارجية، وهو ما يؤدي إلى تصاعد شعورهم بأن استعادتهم السيطرة على مقدراتهم ومصيرهم مرهونة بإعادة تأكيد هويتهم القومية أو العرقية. وتسود أوربا الآن عدة أنماط من الصراعات ذات الطابع القومي، أهمها تمرد البلدان أو الجماعات التي تشعر بأنها متقدمة ثقافيًا (دول البلطيق) أو اقتصاديًا (شمال بلجيكا ـ شمال إيطاليا) على من يهيمنون عليهم.

الدولة توحد وتفرق أيضًا

جوزيف روتشيلد أستاذ العلوم السياسية بجامعة كولومبيا يفسر النزوع العرقي والقومي العنيف الذي يسيطر على مناطق كثيرة من أوربا بالرجوع إلى العلاقة بين النزوع القومي وتأسيس الدولة، ويقرر أن



الخريطة الأوروبية وتغييرات عميقة متوقعة

لغة السياسية تصبح هلامية عندما تتعرض لمناقشة هذه العلاقة. فهذان المفهومان يستخدمان كما لو كانا ثابتين، وتصور العلاقة بينهما وكأنها غير قابلة للتغير. ويستخدم مفهوم «الدولة» حاليًا للتعبير عن كيان ثقافي، بينما كان يستخدم حتى وقت قريب للتعبير للدلالة على كيان سياسي قانوني. وقد ظهرت فكرة الأمة بالمعنى الراهن مع الثورة الفرنسية، وأصبحت فكرة الأمة بمقتضاه مرادفة لفكرة الشعب الذي تستمد منه الحكومة شرعيتها، وقد شهرت في ظل وجود سكان يعيشون في دولة قائمة بالفعل يعون هوية مشتركة، ويرون حكومتهم غير شرعية، وهو ما عبر عنه إعلان حقوق الإنسان الصادر عام ١٧٨٩ عندما نص على أن مبدأ السيادة يرتكز بصورة أساسية على الأمة.

ولكن مفهوم الدولة/ الأمة، يحتاج إلى شروط: أهمها وجود نمط ثقافي سائد ومهيمن يحتاج بطبيعة الحال إلى وجود لغة مشتركة لا يمثّل وجود الأقليات انتقاصاً كبيراً من رصيد انتشارها، لغة تواصلٍ وثقافة، والأمر في أجزاء كثيرة في أوربا مختلف عن ذلك، حيث لا يوجد تطابق بين حدود الدول القائمة وخرائط التركيب العرقي واللغوي. وكان قمع ثقافات الأقليات ولغاتها إجراءً لازمًا لبناء الأمة. ولذا كانت الأقليات أكثر ازدهاراً في فرنسا الملكية عما أصبحت عليه في فرنسا الدولة القومية. وهكذا أدى مبدأ القومية في القرن التاسع عشر إلى توحيد كيانات صغيرة، بينما يؤدي في القرن العشرين إلى تفتيت دول إلى كيانات أصغر.

وفي ضوء هذا يتوقع جوزيف روتشيلد أن طموحات الأقليات العرقية لن يكون تحقيقها ممكنًا لأسباب معقدة، فإذا نجحت أقلية عرقية في تقرير

مصيرها في مكان ما من أوربا فإن ذلك سيكون حافزًا لتداعيات مماثلة، ومن غير المستبعد أن تشهد العقود القليلة القادمة موجة من التفسخ سببها المد القومي والعرقي الذي تشهده أوربا. ويلخص التشيكي جان هافرانيك ـ الأستاذ بجامعة براج ـ المشكلة نفسها بقوله: «إن إعادة توحيد جمهوريتي التشيك والسلوفاك قد تحتاج إلى فترة تساوي تلك التي قضتها دول البنيلوكس الثلاث في البحث عن صيغة للترابط، وهي مئة وخمسون عامًا» (العالم اليوم ١٩٩٤/٦/٧م، سعد هجرس).

الأسباب كثيرة والصراعات أكثر

وعلى الرغم من الفترة الطويلة نسبيًا التي ظلت الدولة القومية فيها شكلاً سائدًا ومهيمنًا في الواقع الغربي، فإنها لم تستطع أن تلغي أشكال الولاء المختلفة، فهي، إلى جانب طبيعتها القومية، كانت طوال هذه التجربة علمانية (بدرجات متفاوتة طبعًا)، ولذا ظلت الصراعات العرقية في هدوئها واشتعالها مرتبطة بالتركيب الديني في أوربا. وقد جاءت أزمة انهيار يوغوسلافيا لتكشف عن عمق تأثير العامل الديني في تحديد شكل العلاقات بين الجماعات المختلفة داخل المجتمع الأوربي، ولم تستطع اعتبارات السيادة أن تنفرد بالتأثيرات في هذه العلاقات، بل إن الصراع البروتستني الكاثوليكي في أيرلندا الشمالية، وهو مستمر منذ أكثر من قرنين، كان نذيرًا بما يمكن أن يتفجر داخل أوربا من صراعات، فإذا علمنا مثلاً أن مؤتمر فيينا الذي انعقد عام ١٨١٥م والذي ترتب عليه ضم أبرشية «بال» السابقة، ومعظم سكانها من الكاثوليك الناطقين بالفرنسية، إلى مقاطعة برن، وأهلها من البروتستانت الناطقين بالألمانية، وأن ذلك قد أدى إلى توتر استمر ١٦٠ عامًا، أدركنا حجم المخاطر التي يمكن أن تترتب على تفجر صراعات إثنية/دينية. ويكفي أن نذكر أن الأمريكيين من أصل أيرلندي يدعمون ـ بعد أن أصبحوا أمريكيين ـ الكاثوليك في الصراع الدائر على الجانب الآخر من الأطلنطي.

وحسب دراسة نشرها عام ١٩٩٣م ديفيد ليفنسون ـ رئيس تحرير دائرة معارف الثقافة العالمية ـ فإن الغرب يشهد الصراعات العرقية والدينية، والحركات الانفصالية الآتية:

- القطالونيون في إسبانيا.
- الكاثوليك والبروتستانت في بريطانيا.
- الصرب والكروات.
- المسلمون في يوغوسلافيا السابقة.
- الكنديون من أصل فرنسي.
- القبارصة اليونانيون والأتراك.
- المجريون في رومانيا.
- الشيشان والأنجوش والأوسيت في روسيا.
- المولدوفيون والروس والأوكرانيون.
- الباسك في إسبانيا وفرنسا.
- الألبان في صربيا.
- حركة جورا في سويسرا.

فإذا أضفنا إلى ذلك حالات أخرى لم تذكرها الدراسة مثل فاندي في فرنسا، والفلاندرز في بلجيكا، وحركة الانفصاليين في شمال بريطانيا، وإذا وسعنا الدائرة وأدرجنا الحركات الانفصالية الدينية والعرقية في الولايات المتحدة الأمريكية وهي كثيرة جدًا، أصبحنا أمام خريطة تتمزق وتتجه إلى مرحلة من التمزق الديني والقومي سيمر بها الغرب حتمًا بعد أن استنفدت الدولة القومية أهدافها وأصبحت عبئًا.

جاءت أزمة انهيار يوغوسلافيا لتكشف عن عمق تأثير العامل الديني في تحديد شكل العلاقات بين الجماعات المختلفة داخل المجتمع الأوربي

وإذا كانت رؤى المفكرين وجهود الباحثين تسير في اتجاهات متقاربة، فإن الأدب يشهد اتجاهات مماثلة؛ وثمة حالة تبدو فريدة في سياق التاريخ الأوربي المعاصر الذي يبشر العالم بالحرية بوصفها القيمة الأم لحضارته. وهذه الحالة هي حالة الروائي البلجيكي

المنفي جاك نيريك، ووجود أوربي - روائي وليس مواطنًا عاديًا - في المنفى بسبب آرائه يعني أن ثمة شعورًا قويًا بأن الحرية بدأت تهدد الثوابت، وأن ثمة اتجاهًا لقمع الفكر إذا هدد بقاء الدولة. جاك نيريك نشر رواية عنوانها «حصار بروكسل» صور فيها فلمنكيين فاشيين يحتلون جزءًا من العاصمة فتنهار الحكومة، ويتخلى الملك عن العرش بعد ١٧٧ عامًا من تأسيس بلجيكا، وصرح الروائي المنفي بأن بلجيكا دولة زائفة أقيمت بعد حرب نابليون منطقةً حاجزة بين فرنسا وألمانيا، وأنه لن يبكي عليها لأن سكانها الناطقين بالفرنسية يعانون القمع، وأن تفككها مثل تشيكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا سيكون رائعًا. المثير أن نيريك الناطق بالفرنسية غادر بلجيكا منذ ربع قرن للفرار من سوء المعاملة في الضواحي الناطقة بالهولندية في بروكسل (٨٥٪ لغتهم الفرنسية ١٥٪ لغتهم الهولندية).

ويتصور نيريك في روايته أن الانقسام في اللغة، والصراع الاقتصادي بين سكان فلاندرز الناطقين بالهولندية وسكان فالونيا الناطقين بالفرنسية، سيشتد في بروكسل، وسيقوم زعيم يميني من سكان فلاندرز بمسيرة ويسيطر على العاصمة بسهولة، وترسل فرنسا جيشًا لإنقاذ الناطقين بالفرنسية الذين يسكنون فالونيا، وبعد مفاوضات تقسم العاصمة بين الفريقين المتصارعين ويخصص لكل منهما ثلث المدينة، بينما يخصص القسم الثالث للاتحاد الأوربي، وتعلن دولة الفلاندرز المستقلة. فإذا انتقلنا من خيال الروائي إلى الواقع وجدنا الفلامنكيين يطالبون بوقف تحويل الأموال إلى الجنوب الفقير، ومع ازدياد المطالبة بالاستقلال أحيا السياسيون الناطقون بالفرنسية فكرة الارتباط بفرنسا، كما أن الناطقين بالهولندية يساندون فكرة إنشاء دولة فلاندرز المستقلة، وتعاني بلجيكا نقصًا واضحًا في الشعور بالتضامن بين الثقافات الجرمانية والثقافات اللاتينية.

فاندي: مسيحية أولاً ثم فرنسية

في فرنسا تشكل مفهوم الدولة/ الأمة، وفيها أسست أول دولة قومية علمانية، ولكنّ ثمة انقسامًا يوجد في فرنسا منذ نشأت فيها الجمهورية حتى الآن، وهذا الانقسام نموذج فريد بين كل حركات الانفصال والاستقلال في الغرب، لأنه النموذج الوحيد الذي كان الدافع إليه رفض علمانية الدولة، وحسب المؤرخ الفرنسي بيير شونو الأستاذ بالسوربون فإن ثورة مضادة للثورة الفرنسية نشبت في فاندي في غرب فرنسا (١٧٩٢ - ١٧٩٣)

طموحات الأقليات العرقية لن يكون تحقيقها ممكنًا لأسباب معقدة، فإذا نجحت أقلية عرقية في تقرير مصيرها في مكان ما من أوربا فإن ذلك سيكون حافزًا إلى تداعيات مماثلة

وقضت عليها قوات الثورة الفرنسية بوحشية بالغة تجاوزت إخماد التمرد إلى القيام بعملية إبادة كانت، على حد وصفه، في فظاعة الإبادة النازية وأكثر منها فاعلية. ونقل المؤرخ الفرنسي عن الجنرال وسترمان الذي أخمد التمرد قوله: «لقد دست على الأطفال بسنابك خيلي، وذبحت النساء حتى لا يلدن أي متمرد بعد ذلك» أما فاندي نفسها فتحولت إلى أطلال من الخرائب، وقتل من أبنائها ما يزيد على ٢٠٠ ألف.

ولم تزل فاندي حتى الآن تشعر تجاه فرنسا بمشاعر سلبية متفاوتة، وتروي تاريخ مقاومتها للثورة باعتزاز وفخر، وهو ما يصوره فيليب دو فيليه أحد أبناء فاندي (عضو البرلمان الأوربي - شاعر) بقوله: إن فاندي كانت «أرض الشهادة» ومنذ قرنين وهي تنتظر كلمة عدالة أو حق من الدولة الفرنسية ولم تتفوه بها، وتنتظر كلمة إقرار من الكنيسة ولم تحصل عليها، ولذا اعتمدت على قدراتها ولم تنتظر شيئًا من أحد. وأضاف: «الفانديون ذبحوا باسم إيمانهم هذا الألم الكبير الذي

بقي راسخًا في كل منهم كينبوع ماء حي، ولو عصرنا شرايينهم فستنضح منها دماء الشهداء».

بادنيا وكيبك وأخواتها

على مثال الطلاق المخملي الذي شهدته تشيكوسلوفاكيا وانقسمت على أثره إلى دولتين، قطعت حركات سياسية غربية شوطًا طويلاً في سبيل الانفصال بأجزاء من دولها لتصبح دولاً مستقلة، ففي إيطاليا نشأت حركة سياسية فتية يتزعمها السياسي المتحمس أومبرتو بوسي الذي يطالب بفصل شمال إيطاليا عن جنوبها لتصبح دولة مستقلة (بادنيا)، ويؤسس بوسي دعوته على أن الشمال الغنيّ الذي تتركز فيه الصناعة، يتحمل تمويل الجنوب الفقير المتخم بالفساد والجريمة، وقد بدأت الرابطة الشمالية التي يتزعم حركتها بالدعوة إلى علاقة جديدة بين الشمال والجنوب تأخذ شكل الفدرالية، ثم طوّر هجومه ليطالب بالانفصال التام وإنشاء دولة مستقلة، وفي مرحلة ثالثة أعلن في منتصف سبتمبر/أيلول من هذا العام استقلال دولته أمام خمسين ألفًا من أنصاره في مدينة البندقية: «نحن شعب بادنيا نعلن قيام بادنيا جمهورية اتحادية مستقلة ذات سيادة». وقد شهد هذا الإعلان أعضاء الحكومة المؤقتة التي شكلها والتي تضم عشرة وزراء، ويرأسها وزير خزانة سابق، كما حضر الاحتفال ٨٥ عضوًا من البرلمان ومجلس الشيوخ ينتمون جميعًا إلى الأقاليم العشرة التي يطالب بوسي بإقامة الدولة على أرضها.

وقد استطاعت الرابطة أن تحوز ٥٩ مقعدًا من البرلمان الإيطالي، و٢٧ مقعدًا في مجلس الشيوخ، وبهذه الخطوات التي قطعها بوسي على أرض الواقع ليكون مستقبل إيطاليا مرهونًا بإجراء تغييرات سياسية تدخلها الحكومة على وضع الشمال داخل الدولة الموحدة، على أن ذلك يتعذر إنجازه الآن بسبب ما تعانيه إيطاليا من فوضى سياسية ممتدة منذ سنوات.

وفي أقصى غرب العالم تشهد كندا منذ سنوات صراعًا سياسيًا محتدمًا حول مستقبل الدولة الذي تهدده حركة استقلال إقليم كيبك، وإذا كانت حركة استقلال شمال إيطاليا تدفعها دوافع اقتصادية محضة، فإن مشكلة كيبك أكثر تعقيدًا، فهي امتداد للصراع الاستعماري بين فرنسا وبريطانيا في هذه المنطقة التي كانت يومًا ما مقسمة بينهما، وقد حسم الصراع العسكري لمصلحة بريطانيا، أما الصراع السياسي فلم يحسم بعد وظل ينتظر الفرص المناسبة، وقد ظلت كيبك كيانا داخل الدولة يشعر بالاختلاف عما حوله، ويطمح إلى الاستقلال السياسي والارتباط بفرنسا.

وقد شهد عام ١٩٨٠م استفتاءً على مستقبل كيبك صوتت فيه الأغلبية لمصلحة بقائها ضمن الدولة، لكن نتائج هذا الاستفتاء تفسرها حداثة نشأة حزب كيبك الذي يقود حركة الانفصال، وشهد منتصف التسعينيات استفتاءً آخر حول استقلال كيبك هزم فيه الانفصاليون وحصلوا على ٤٩٫٤٪ من الأصوات، أي إنهم كانوا بحاجة إلى ١٫٦٪ فقط من الأصوات ليحصلوا على دولة مستقلة، ومع انتقال الحركة من مرحلة إلى أخرى خرجت قطاعات من المجتمع الكندي عن حيادها تجاه قضية الانفصال، ففي ظل مشكلات اقتصادية ضخمة يعانيها أهل كيبك تتمثل بديون تتجاوز ٢٥ مليار دولار، وبطالة تصل إلى ١١٪ وعدد ضخم من المشردين، ونسبة تقترب من ٢٠٪ يعيشون على المعونات الاجتماعية، فإن موقف الاقتصاديين يصبح مهمًا، وقد خرج الصناعيون في كيبك عن حيادهم، وانقسموا تجاه الانفصال إلى مؤيدين ومعارضين.

وهكذا تدور عجلة الانفصال بسرعات متفاوتة من جروزني في قلب روسيا إلى كيبك في قلب كندا ومن لكسمبورج في شمال القارة إلى روما في جنوبها، في موجة قوية توشك أن تجعل الخريطة الأوربية مختلفة عما كانت عليه منذ الحرب العالمية الثانية، وفي بعض المناطق ستختلف عما كان مستقرًا لقرون طويلة.

ندوة العلاقات السعودية البولندية

بمناسبة مرور ٧٠ عاماً على زيارة الأمير فيصل وارسو

إعداد: قسم التحرير



الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ يتوسط النبيل داتشنيسكي ومفتي بولندا يعقوب شينكيفتش

إن ما قام به الملك فيصل بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ من دور كبير في توثيق علاقات المملكة العربية السعودية مع العالم الخارجي يمثل جزءاً مهماً من جهوده العظيمة على امتداد حياته للمضي على خطا والده الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ لتوطيد أركان هذه البلاد حتى تتبوأ المكانة اللائقة بها بين دول العالم.



الأمير فيصل مع الرئيس البولندي وكبار المسؤولين البولنديين

وقد بدأت ملامح هذا الدور للملك فيصل في البروز في وقت مبكر من حياته، إذ كان سفيراً للملك عبدالعزيز - رحمه الله - إلى كثير من الدول في مناسبات متعددة، ممثلاً شخصياً له، وللدولة الناشئة وهي تمضي بثبات في خضم عالم تتلاطمه تقلبات السياسة، وأهواء الساسة، وحسابات المصالح.

وكان الملك فيصل أول وزير للخارجية للدولة الفتية عند إنشاء هذه الوزارة في عام ١٩٣٠م وظل في هذا المنصب إلى استشهاده في عام ١٩٧٥م، مما يجعله مؤسس الدبلوماسية السعودية في رأي كثير من المتخصصين في العلاقات الدولية.

ويعد ما قام به الملك فيصل من جهد واضح لإقامة علاقات تعاون مثمرة مع بولندا مثالاً للدور الكبير الذي قام به لتوثيق علاقات المملكة العربية السعودية مع دول العالم وفق سياسة ثابتة وواضحة وضع أسسها وقواعدها الملك عبدالعزيز، ولا تزال تسير عليها البلاد.

وكان الملك عبدالعزيز قد وجّه الملك فيصل - الأمير حينذاك - إلى زيارة بولندا في عام ١٩٣٢م ليكون بذلك أول مسؤول سعودي يزور هذه الدولة التي كان لها تأثير كبير في أوربا.

ووجدت هذه الزيارة ترحيبًا من القيادة السياسية في بولندا آنذاك، التي حرصت على أن تقيم علاقات تعاون مع الدولة السعودية الفتية.

واحتفالاً بمرور سبعين عامًا على هذه الزيارة التي مهدت لإقامة علاقات قوية ومتينة بين البلدين، ودعماً لهذه العلاقات في الوقت الحاضر، قامت السفارة السعودية في بولندا بالتنسيق مع مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بتنظيم ندوة عن العلاقات السعودية البولندية برعاية معالي وزير الخارجية البولندي.

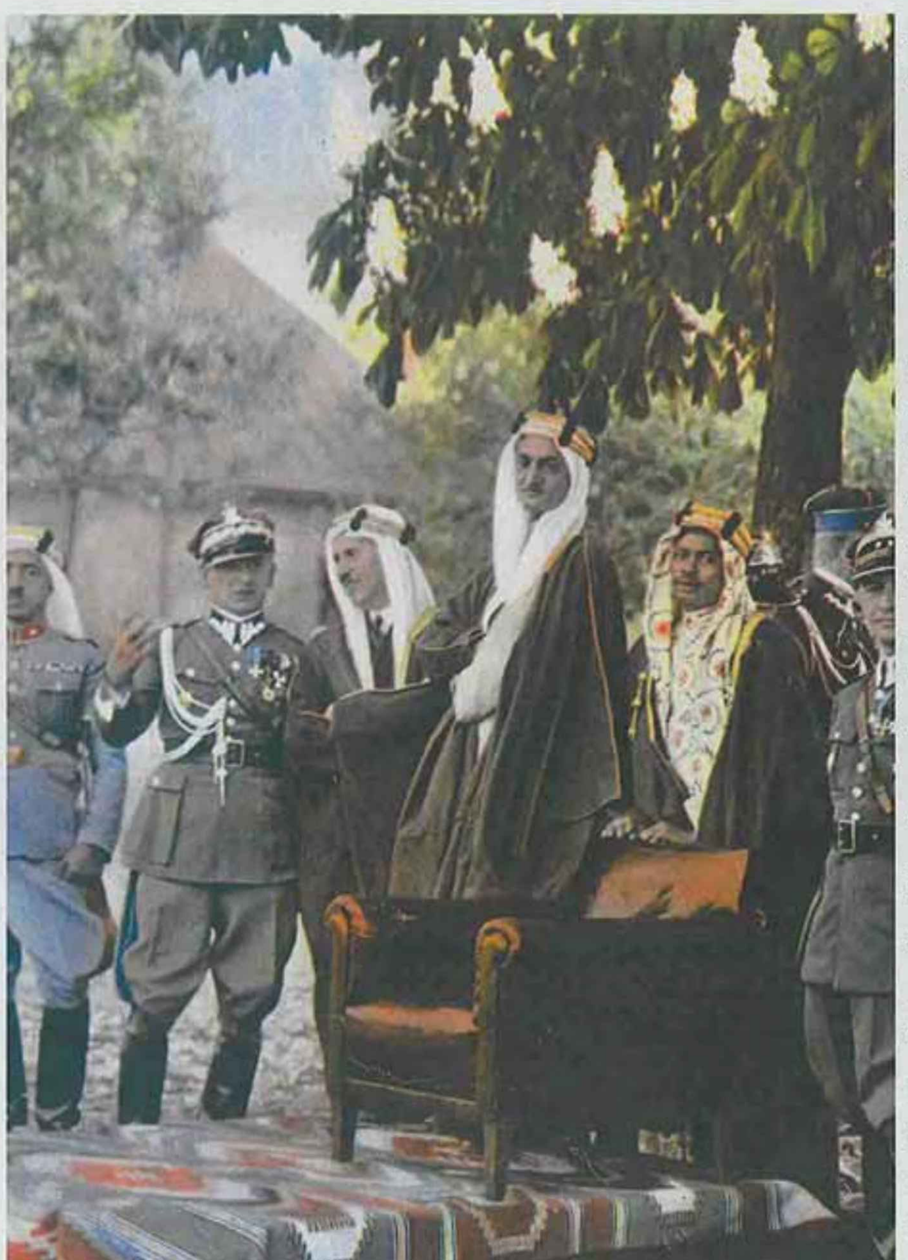
وقد ألقى في افتتاح هذه الندوة صاحب السمو الملكي الأمير تركي الفيصل رئيس مجلس إدارة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية كلمة ضافية في مكتبة جامعة وارسو في يوم الأربعاء ١٠ ربيع الأول ١٤٢٣هـ (٢٢ مايو/ أيار ٢٠٠٢م)، وتضمنت الندوة أوراقًا للدكتور عبدالرحمن الشبيلي عضو مجلس الشورى في المملكة العربية السعودية، والدكتور يجي زدانوفسكي رئيس مركز البحوث للبلدان غير الأوربية في أكاديمية العلوم البولندية، والدكتور انجي كابيشيفسكي رئيس قسم دراسات الشرق الأوسط والشرق الأقصى في جامعة ياقيللونسكي، وألقى السفير السعودي في بولندا الأستاذ أسامة السنوسي كلمة عن تطور

العلاقات بين البلدين، وصاحب الندوة معرض للصور أقيم بمكتبة جامعة وارسو.

وشرح معالي وزير خارجية بولندا فوود جيمبيج نشيموشيفيتش، في كلمته الظروف التي أحاطت بزيارة الملك فيصل بولندا.

وقد عقدت ندوة أخرى في الرياض في ١٦ ربيع الأول ١٤٢٣هـ (٢٨ مايو/أيار ٢٠٠٢م) بالتنسيق بين السفارة البولندية في الرياض ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية برعاية صاحب السمو الملكي الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية، وبحضور صاحب السمو الملكي الأمير تركي الفيصل.

وتضمنت الندوة كلمة لمعالي الدكتور نزار مدني مساعد وزير الخارجية الذي رعى الحفل نيابة عن سمو وزير الخارجية، وكلمة للسفير البولندي، وعرضاً لصور تخص نبيل بولندي زار الجزيرة العربية قبل مئتي عام. أما أوراق الندوة فقد قدمها الدكتور عبدالرحمن صالح الشبيلي، والأستاذ الدكتور يجي زدانوفسكي، والأستاذ الدكتور يانوش داينسكي رئيس قسم الدراسات العربية والإسلامية في معهد الاستشراق بجامعة وارسو، والدكتور صالح بن محمد الخثلان بقسم العلوم السياسية في جامعة الملك سعود.



الأمير فيصل في الفرقة الأولى لسلاح الفرسان في وارسو

الرحلات الدولية المبكرة للملك فيصل وأثرها في سياسته الخارجية

في ورقته التي جاءت تحت هذا العنوان قدم الدكتور عبدالرحمن بن صالح الشبيلي عرضاً لجهود الملك فيصل - يرحمه الله - في توثيق علاقات المملكة مع العالم الخارجي، وبدأ ذلك بمقدمة تاريخية أوضح فيها أن الملك عبدالعزيز مؤسس الدولة السعودية المعاصرة لم يكن لديه الوقت الكافي للقيام برحلات خارجية إلى أوربا بالذات للتواصل مع الدول الصديقة، وشرح ثوابت سياسته لانشغاله باسترداد أقاليم كانت في - معظمها - تابعة لآبائه وأجداده داخل شبه الجزيرة العربية.



استقبال الأمير فيصل في محطة القطار

وقد أراد تأهيل أحد أبنائه للقيام بقيادة اتصالاته الخارجية، وتمثيله له في اللقاءات البروتوكولية بالسفراء والقناصل، ولا سيما في الممثليات الأجنبية التي كانت في جدة، بينما الملك كان يقضي معظم أوقاته في الرياض.

ولما كان الفيصل قد أظهر نجابة أهلته لقيادة الجيوش وهو في سن السادسة عشرة فقد عينه والده عندما بلغ العشرين نائباً للملك في منطقة الحجاز، فكان بذلك همزة وصل مع الممثليات الأجنبية في جدة. ولما أنشئت وزارة الخارجية في ديسمبر/كانون الأول عام ١٩٣٠م كان أول وزير لها.

واستعرض الشبيلي الرحلات المبكرة للملك فيصل، إذ قام وهو في الثامنة عشرة من عمره بأول زيارة رسمية إلى أوربا شملت بريطانيا، وفرنسا، وبلجيكا، واستمرت هذه الرحلة التي كانت لتهنئة الملك جورج الخامس ستة أشهر. ثم قام برحلة ثانية إلى بريطانيا وفرنسا وهولندا استغرقت شهرين؛ وذلك في أواخر عام ١٩٢٦م.

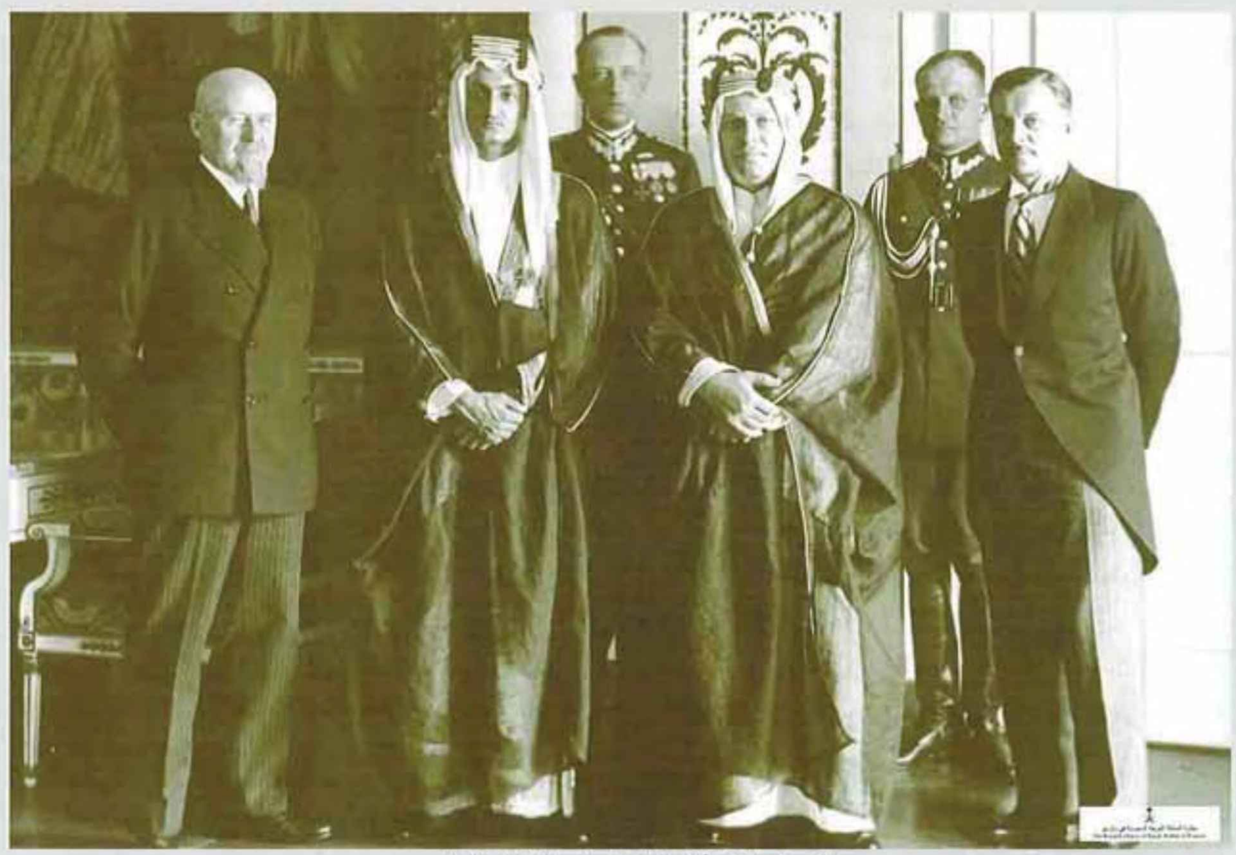
وفي عام ١٩٣٢م قام برحلة شملت ثماني دول أوربية هي: إيطاليا، وسويسرا، وفرنسا، وبريطانيا، وهولندا، وألمانيا، وبولندا (بولونيا)، والاتحاد السوفييتي؛ واستمرت ستة أشهر، وكانت أول رحلة يقوم بها بوصفه وزيراً للخارجية.

وخلال ٢٣ عاماً، وهي الفترة المتبقية من عهد والده الملك عبدالعزيز قام الملك فيصل باثنتي عشرة رحلة خارجية زار خلالها مصر (٣ مرات)، والجزائر وسورية، ولبنان، والأردن، وأمريكا (٣ مرات)، وبريطانيا (٤ مرات)، وفرنسا.

وقام في عهد الملك سعود بست عشرة رحلة زار خلالها مصر (٨ مرات)، وإندونيسيا، ولبنان، (مرتين)، وأمريكا (٣ مرات)، والمغرب، ويوغسلافيا.

وبعدأن أصبح ملكاً قام بستين رحلة خارجية.

وقد قابل خلال هذه الزيارات القيادات البارزة في العالم، وتولى صياغة عدة اتفاقيات ومعاهدات حدود، وشارك في تأسيس علاقات صداقة وتعاون وحسن جوار، ووقع بالنيابة عن بلده على



الأمير فيصل في أثناء زيارته مجلس الوزراء البولندي

وثيقة إنشاء الأمم المتحدة، وأسهم في ميلاد حركة دول عدم الانحياز، وعاش أحداث الحرب العالمية الأولى والثانية، والحروب العربية الإسرائيلية، وصاغ شهادة توحيد بلاده.

بعد هذه المقدمة التي تعطي صورة واضحة عن دور الملك فيصل في توطيد علاقات بلاده مع العالم الخارجي، تطرق إلى رحلة الأمير فيصل إلى وارسو والعلاقات السعودية البولندية، فأوضح أن الأمير فيصل نائب الملك في الحجاز ووزير خارجية مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها - كما كانت تسمى قبل تسميتها المملكة العربية السعودية - زار وارسو في ٢٢ مايو/ أيار ١٩٣٢م، وأقام فيها ثلاثة أيام ورافقه وكيل وزارة الخارجية فؤاد حمزة، وموظفان هما: خالد الأيوبي، وشاهر سمان، واستقبله الزعيم البولندي جوزيف بليسودسكي والرئيس أغناتسي موشتسيتسكي الذي قلده أرفع وسام بولندي (الدرجة الأولى من وسام النهضة)، كما التقى رئيس مجلس الوزراء ألكسندر بريستور ونائب وزير الخارجية جوزيف بيك، ودفعت الزيارة إلى تقوية الصلات السياسية، وكانت جاءت رداً على زيارة وفد بولندي إلى جدة في يوم ٢٧ أبريل/نيسان ١٩٣٠م مكون من الكونت إدوارد دازينسكي (راتشينسكي) من وزارة الخارجية، ومفتي بولندا د. يعقوب شينكييفيتش، وقدم الوفد أوراق اعتماده، وألقى كلمة عبر فيها عن سعادة الشعب البولندي باكتمال وحدة البلاد السعودية.

وأشار الشبيلي إلى أن «تاريخ الثالث من مايو بقي رمزاً عزيزاً على البلدين، لكونه تاريخ صدور الدستور البولندي ويومها الوطني (١٧٩١/٥/٣م)، وتاريخ بداية العلاقات السعودية البولندية (١٩٣٠/٥/٣م)، وتاريخ إعادتها بعد انقطاع دام نصف قرن (١٩٩٥/٥/٣م)».

وقال إن العلاقات السياسية بقيت قائمة بين البلدين منذ عام ١٩٣٠م حتى بداية الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٣٩م، وتحكم النظام الشيوعي في بولندا، ومع ذلك زار وفد للنوايا الحسنة المملكة في عام ١٩٥٥م، برئاسة السفير البولندي في تركيا ج. زامبرويتش.

كلمة معالي وزير خارجية بولندا فوودجيميج تشيموشيفيتش

قبل سبعين عاماً استضفنا في بولندا الأمير فيصل بن عبدالعزيز من مملكة نجد والحجاز الذي قدم إلى ضفاف نهر الفيستولا في بعثة تهدف إلى التعرف على إمكانية إقامة علاقات وطيدة مع بلدنا. إن زيارته لبولندا تركت أثراً طيباً في الذاكرة، وكانت زيارة ناجحة ومثمرة من الناحية التجارية، وقد تزامنت هذه الزيارة مع بداية قيام الدولة السعودية، وسبقت قيام المملكة العربية السعودية بعدة أشهر قليلة.

إن جمهورية بولندا كانت حينذاك تبذل قصارى جهدها لبناء الدولة المستقلة حديثاً بعد أكثر من مئة عام من العبودية، بفتحها أبواب التعاون والعمل المشترك مع العالم. لم يكن في وسع المضيفين البولنديين أن يدركوا وقتها أنهم يستضيفون ملكاً سيتوّج قريباً وسيترك بصماته الواضحة في تاريخ بلاده كمنشئ دولة حديثة وكرجل سياسي ذي باع طويل وفق كل المعايير والمقاييس الدولية.

ونحن إذ نتذكر الماضي، فإننا نقف اليوم أمام إمكانية بناء وتوسيع العلاقات البولندية السعودية، وقد استهلت هذه المرحلة الجديدة بافتتاح سفارة المملكة العربية السعودية في وارسو في نهاية عام ٢٠٠١م. وقد تم استقبال أول سفير سعودي في تاريخ بولندا ببالغ السرور والغبطة.

إن بولندا لديها رغبة شديدة في أن ترى في المملكة العربية السعودية شريكاً وحليفاً مهماً لها، وأنا على ثقة تامة بأن بلدينا وشعبينا لديهما الكثير ليقدماه كلٌ للآخر، ولا شك أن تعرفهما بعضهما إلى بعض سيثمر في المستقبل القريب بتوسع ملحوظ في رقعة التعاون المشترك والعمل المتبادل.

أنا أومن بأن المفتاح إلى ذلك هو الحوار والعلاقات واللقاءات والزيارات والحوارات المشتركة، وأن تكرارها وتنوعها من شأنهما أن يخلقا جواً من الحوار بين بلدينا وشعبينا.

ويؤكد الشبيلي أن الرحلات التي قام بها الأمير فيصل قبل أن يصبح ملكاً كانت بمنزلة إعداد مكثف في دروس السياسة والتاريخ والجغرافيا والأديان والأيديولوجيات والاقتصاد، أكملت ما تلقاه من تدريب عملي في الداخل على يد والده المؤسس.

والفيصل - في رأيه - تخرج في مدرستين للعلاقات الدولية: «الأولى مدرسة والده.. أما الثانية فقد كانت - بلا شك - رحلاته ولقاءاته المبكرة بقادة العالم وزملائه».

ومن أهم توجهات السياسة الخارجية للفيصل تأكيد منهج الإسلام الذي يلتزمه الحكم السعودي، وحل قضايا الحدود، وإبعاد القوى الخارجية عن التدخل في منطقة شبه الجزيرة العربية، وشجب العدوان المسلح، وتبني النضال الوطني العادل.

واستقراء للمستقبل اقترح الفيصل على والده التقارب مع أمريكا، و«لقد تشبع الملك فيصل مع بداية رحلاته الأولى بروح معادية لثالوث الصهيونية والشيوعية والاستعمار.

أما المحور الرئيس والأهم والأكثر تميزاً الذي اتسمت به السياسة الخارجية للملك فيصل، فهو ما انفرد به، في وقت كان المد القومي العربي على أشده، من التفكير في الاستناد إلى العمق الإسلامي، وذلك بتبني دعوة تضامن المسلمين».

ويخلص الشبيلي إلى أن الرحلات المبكرة للملك فيصل كانت «رافداً ثرياً للخبرة السياسية، وينبوعاً عميقاً للمعرفة التاريخية بأحوال العالم وأطيافه العقدية، وجعلت منه رجل المبادئ والمواقف، واستحق أن يعد من عظماء السياسة والتاريخ في عالمنا المعاصر».

زيارة الملك فيصل بولندا وأثرها في العلاقات الثنائية بين البلدين

وتناول الأستاذ الدكتور يجي دانوفسكي زيارة الملك فيصل إلى بولندا وأثرها في العلاقات الثنائية بين البلدين، وبدأ ورقته بالإشارة إلى بدايات اهتمام البولنديين بشبه الجزيرة العربية، وفي رأيه أن رحلة الكونت واكلورزيوسكي Waclaw Rzewuski إلى مكة والدرعية في عام ١٨١٥م تمثل بداية هذا الاهتمام، ثم زار الكونت جيرزي دزييدوسزيكي Jerzy Dzieduszycki حائل في عام

وبعد انهيار الشيوعية بدأت خطوات لإعادة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين تكللت بافتتاح السفارة البولندية في الرياض في شهر يونيو/حزيران عام ١٩٩٨م، وافتتاح السفارة السعودية في وارسو في أغسطس/آب عام ٢٠٠١م.

وعن أثر زيارات الملك فيصل السياسة الخارجية، أوضح الشبيلي أهمية الخبرات التي اكتسبها من هذه الزيارات، حتى إنه عندما تولى الحكم لم يتغير عليه إلا الاسم فقط؛ لأنه كان مشاركاً بفعالية في إدارة دفة الحكم في عهد أخيه الأكبر (الملك سعود).

وأضاف: «أما بالنسبة إلى الشؤون الخارجية، فهو بحق مؤسس الدبلوماسية السعودية التي كان أول وأطول من تولى حقيبتها من عام (١٩٣٠ - ١٩٧٥م)».

وقد مهدت رحلاته المبكرة الثلاث الأولى إعلان توحيد المملكة العربية السعودية، وضمان اعتراف الدول الكبرى بها.

وبعد خمس سنوات من توليه أعمال وزارة الخارجية أصبح في جدة ما يزيد على ثلاث عشرة مفوضية وقنصلية.





الأمير تركي الفيصل وسط حضور ندوة وارسو

١٩٤٤م واشترى ثمانية أحصنة من أسرة آل رشيد، وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر قام رحالون بولنديون بزيارة شبه الجزيرة العربية. وبعد استقلال بولندا في عام ١٩١٩م بدأ منظور جديد للعلاقة بين بولندا وشبه الجزيرة العربية، وبعد أن وضع الملك عبدالعزيز أساس دولته بدأت الاتصالات الأولية بين البلدين في شهر يونيو/حزيران عام ١٩٢٩م عندما قام مبعوث الملك عبدالعزيز بزيارة وارسو، واعترفت بولندا بابن سعود ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها في العام نفسه، وكانت الدولة التاسعة التي أقامت علاقات دبلوماسية مع دولته واتخذ هذا القرار في ١١ مارس/آذار ١٩٣٠م.

وقامت بعثة رسمية برئاسة الكونت إدوارد راسزنسكي Edward Raczynski ومعه يعقوب سينكيوسز Jacub Szynkiewicz المفتي الأعلى لبولندا بمقابلة الملك عبدالعزيز مرتين في جدة في يومي الثالث والرابع من مايو/أيار عام ١٩٣٠م. وكان ذلك تمهيداً لزيارة الأمير فيصل بن عبدالعزيز بولندا في مايو/أيار عام ١٩٣٢م الذي كان وزيراً للخارجية، ورئيساً لمجلس الشورى.

وحظيت هذه الزيارة باهتمام الصحافة البولندية، واستقبل الأمير فيصل كلاً من المارشال بليسودسكي Pilsudski والرئيس موسوسكي Moscicki الذي قلده أعلى وسام بولندي Polonia Restituta. ومهدت هذه الزيارة إلى إنشاء علاقات دبلوماسية كاملة بين البلدين، وتتابعت زيارة مسؤولين سعوديين على مستوى عال لبولندا مثل فؤاد حمزة وفيلبي، وكانت هناك آمال لتعاون اقتصادي وثيق، بل تم التخطيط لمشاركة بولندا في إنشاء الخط الحديدي الحجازي، لكن لم تتم العلاقات الدبلوماسية الكاملة إلا في مايو/أيار عام ١٩٩٠م أي بعد ٦٣ سنة من زيارة الأمير فيصل.

وتساءل زدانوفسكي: ما أسباب مثل هذه الفجوة الكبيرة في اتصالاتنا؟

وفي معرض إجابته عن هذا السؤال أوضح الظروف الدولية التي أحاطت بالبلدين، مثل اندلاع الحرب العالمية الثانية التي علقت

جميع محادثات التعاون بينهما وانضمام بولندا لحلف وارسو، ووجودها ضمن المنظومة الشيوعية بزعامة الاتحاد السوفييتي، فألقت العلاقات السعودية السوفييتية بظلالها على العلاقات البولندية.

أما الاهتمام المشترك بين البلدين فتمثل في دعمهما للفلسطينيين في النزاع العربي الإسرائيلي، إذ شجبت بولندا العدوان الإسرائيلي، وقطعت علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل، وفي أكتوبر/تشرين الأول، وساندت بولندا قرارات مجلس الأمن. ومع ذلك لم يكن لبولندا علاقات دبلوماسية مع دول الخليج ما عدا الكويت.

ومع التغيرات التي شهدتها بولندا بعد سقوط الشيوعية وانخفاض حدة الحرب الباردة بدأت بوادر علاقات ثنائية بين البلدين.

وأعلن وزير الخارجية البولندي ك. سكوبزيوسكي K. Skubis-zewski في ٢٦ أبريل/نيسان عام ١٩٩٠م نية بلاده إقامة علاقات أخرى في قارات أخرى غير أوربا، وأكد للدول العربية أن استئناف العلاقات مع إسرائيل في شهر فبراير/شباط عام ١٩٩٠م لن يخل بمصالح الدول الأخرى في الشرق الأوسط.

وشجبت بولندا العدوان العراقي على الكويت في عام ١٩٩٠م، على الرغم من أن الشركات والمؤسسات البولندية فقدت أعمالاً مع العراق تقدر بنحو ٥٠٠ مليون دولار.

وبدأت بولندا في إقامة علاقات دبلوماسية مع الدول العربية: مع الإمارات العربية المتحدة (سبتمبر/أيلول عام ١٩٨٩م)، ومع مصر (أكتوبر/تشرين الأول عام ١٩٨٩م)، ومع عمان (يناير/كانون الثاني عام ١٩٩٠م)، ومع البحرين (أبريل/نيسان عام ١٩٩١م).

ووقعت حكومتا بولندا والمملكة العربية السعودية اتفاقية بتاريخ ١٦ديسمبر/كانون الأول عام ١٩٩٠م تنص على تأكيد الصداقة والتعاون والتفاهم بين الأمم في العالم، واتفقت الدولتان على أن تنشر بولندا قواتها المساندة على أرض المملكة العربية السعودية لتقديم الدعم الطبي في أثناء حرب الخليج الثانية.

وتمت إقامة علاقات دبلوماسية على مستوى السفراء في مايو/أيار عام ١٩٩٥م، وتبودلت الزيارات بين وفود تجارية، وبرلمانية وثقافية وفنية من الجانبين.

وأشار زدانوفسكي إلى مبادرة ولي العهد صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز وتثمين بولندا لها، وقال في ختام ورقته: «إن زيارة الأمير تركي الفيصل بولندا لإحياء ذكرى زيارة والده الملك فيصل قبل سبعين سنة لهذا البلد إلى جانب الندوة سوف تساهمان بشكل كبير في بناء جسور جديدة من التفاهم والتعاون بين المملكة العربية السعودية وجمهورية بولندا».

الأمير تركي الفيصل يتسلم كتاباً عن الطبيعة في بولندا مهدى من طلبة قسم الدراسات العربية والإسلامية في جامعة وارسو

العلاقات التاريخية بين بولندا والبلدان العربية والإسلامية

وجاءت ورقة الأستاذ الدكتور يانوش دانيسكي بعنوان «العلاقات التاريخية بين بولندا والبلدان العربية والإسلامية»، وافتتحها بالحديث عن السياق الإسلامي للدراسات العربية والإسلامية في بولندا، وأشار إلى أن موقف بولندا تجاه دراسات الإسلام والعالم العربي صيغ نتيجة عدد من العوامل منها ما هو

صورة أخرى لاستقبال الأمير فيصل في محطة القطار

داخلي ومنها ما هو خارجي. أما العوامل الخارجية فهي نتيجة الاتصالات بين بولندا والعالم الإسلامي، منذ الغزو المغولي في القرن الثالث عشر الميلادي. وقد بقيت بولندا على اتصال مباشر مع الإمبراطورية العثمانية، وانتهت الحروب بين بولندا وتركيا في عام ١٦٨٣م بانتصار الملك البولندي جون الثاني سوبيسكي ووقف الزحف التركي والإسلامي نحو أوربا الغربية، وهذه الحروب أدت إلى انصهار الثقافة التركية والإسلامية في بولندا.

ومن هذا العامل الخارجي دلف دانيسكي إلى العامل الداخلي الذي تمثل بتتار القرم المسلمين الذين تحركوا نحو بولندا وتتركوا وتحدثوا بلغة الكبشك التركية وأسسوا لهم





وسام النهضة البولندي (بولونيا ديستيتوتا) الذي قدم للأمير فيصل في عام ١٩٣٢م

موطناً ضمن حدود المملكة البولندية اللتوانية، ثم أصبحوا بولنديين لغة وانتماءً، على الرغم من بقائهم على دينهم الإسلامي، وهم اليوم جزء من لتوانيا ومن روسيا البيضاء حيث ازدهرت ثقافتهم.

وسوغ المحاضر أسباب عيشة المسلمين في سلام على الرغم مما كان بين بولندا والإمبراطورية العثمانية من حروب، وأرجع ذلك إلى عاملين: العامل الأول طبيعة الإسلام نفسه وموقف المسلمين أنفسهم تجاه مملكة بولندا، فقد كانوا مسالمين وعلى استعداد للتكيف والتعاون مع الناس الذين يعيشون معهم، كما كانوا منفتحين ومتسامحين، على الرغم من تمسكهم بعاداتهم وتقاليدهم، أما العامل الثاني فيتمثل بموقف المملكة البولندية

تجاه الأديان الأخرى، وتسامحها في هذا الشأن.

وأشار دانيسكي إلى أن الدراسات الإسلامية في المناطق الشرقية من بولندا قد ازدهرت في أوائل القرن التاسع عشر، وكان توق البولنديين إلى الاستقلال والاحتذاء في ذلك بالعرب من أسباب ازدهار هذه الدراسات، ثم تناول ما قام به الكونت رزيويسكي Rzewuski من دور من خلال اهتمامه بالخيول العربية والعادات والتقاليد العربية، وكان أول من أنشأ دورية أوربية عن الدراسات الشرقية، وكانت تصدر باللغتين الفرنسية والألمانية Mines de l'orient Fundgruben de Orient.

وفي أوائل العشرينيات من القرن التاسع قررت مجموعة من الطلاب البولنديين في جامعة فيينا دراسة التاريخ العربي والإسلام اقتداء بزملائهم في أوربا الغربية، وكان من بينهم أعظم شاعر بولندي هو آدم ميكيويسز Adam Mickiewicz (١٧٩٨ - ١٨٥٦م).

وعن دور هذا الشاعر قال دانيسكي: «إننا ندين له بأفضل ما ترجم من القصائد الشعرية العربية التي لاتزال تدرس في منهاج المدارس البولندية». وكان بين هذه المجموعة أيضاً عالم موهوب هو جوزف سيكووسكي Joseph Sekowski (١٨٠٠ - ١٨٥٨م)، الذي جمع له مواطنو مدينة فيلنا أموالاً ليكمل دراسته، فسافر إلى إيران وإلى بلدان عربية متعلماً لغاتهم وثقافاتهم مدة سنتين، وعند عودته رفض رئيس جامعة فيلنا ترشيحه لكرسي الدراسات العربية، فسافر إلى سانت بترسبورغ في روسيا، واستحدث هناك كرسي الدراسات الإسلامية والعالم العربي.

وذكر دانيسكي بعض المستشرقين العظماء مثل أوغست زابا August Zaba (١٨٠١ - ١٨٩١م) رائد الدراسات الكردية في الغرب، والإكزندر تشودزكو (١٨٠٤ - ١٨٩١م)، وإجنسي بييترا سيزيوسكي Ignacy Pietraszawski (١٧٩٩ - ١٨٦٠م)، وجوزيف كواليوسكي Joseph Kowalewski (١٨٠١ - ١٨٧٨م).

وقد بدأ دوميكو Domeko ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة البولندية، وفرّ إلى تشيلي في عام ١٨٣١م في أثناء الانتفاضة ضد الروس، وفي أثناء رحلته إلى تشيلي تدبر طبع نسخ من هذه الترجمة في بوزنان Poznan، وفي عام ١٨٥٨م أصدر جان تاراك





الأمير تركي الفيصل يستمع إلى شرح من السفير السعودي في بولندا في أثناء جولته في معرض الصور في وارسو



بوكـزاسكي Jan Tarak Buczacki (وهو أحد التتار البولنديين) ترجمة خاصة لمعاني القرآن اعتماداً على ترجمة بوزنان.

وتناول دانيـــسكي المرحلة المؤسسـية في تاريخ الدراسات العربية والإسلامية التي بدأت مع استقلال بولندا عام ١٩١٨م عندما شـرع البروفـيسور تاديوسـز كـوالسكي في إنشـاء دراسـات عربية وإسـلامية، وكـان أستاذه تاديوسـز سموجـور زيوسكي Ta-deusz Smogorzewski من مـدينة لفوف Lvov الأوكرانية حـالياً قد أحضـر مـواد فـريدة من شـمال إفريقية، وأسـس أول دورية شرقية بولندية وهي Rocznik Orientalis-ty Czny في عام ١٩١٥م.

وأوجد كـوالسكي أول كرسي للدراسات العربيـة في كراكو Cra-cow في جامعـة جاغيللون Jagiel-lonian، وتنوعت دراســاتـه عن الشـعـر العـربـي القـديم، وعن الإسلام، وعن مـصـادر عـربيـة لتـاريخ بولندا، وبعـد وفـاته تابع أبحـاثه البـروفـيسور تاديـوسز ليوسكي، واهتم بتاريخ شمال إفريقية وثقافتها، وتابع طبع مصادر عربية عن بولندا.

كلمة الأمير تركي الفيصل في جامعة وارسو

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:

لقد حيرني سعادة السفير في تقديمه اليوم وأنا قادم في السيارة معه، عندما سألته بأي لغة سأتحدث؟ فقال بالإنجليزية، ولكنه هو تحدث بالعربية فهل اختار ذلك ليسهل لنفسه الطريق ويصعبه عليّ لا أدري؟ على العموم سأجمع بين الاثنين إذا ما كان عندكم مانع، وأبدأ باللغة العربية، وأقول: أنا آتٍ إليكم بكل مشاعر الصداقة والمودة التي حملها المرحوم المغفور له الملك فيصل ـ رحمه الله ـ عندما أتى إلى بولندا قبل ٧٠ عاماً، وهذا يوم بالنسبة لي ليس فقط يعبر عن سعادة شخصية لوجودي في هذا البلد الصديق، وإنما شرف عظيم لاستذكار تلك المناسبة التي قام بها ذلك الرجل العظيم في تاريخ المملكة العربية السعودية، وبالإضافة إلى حملي لتحيات خادم الحرمين الشريفين، وسيدي صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد، فإنني أحمل لكم تحيات إخواني وأخواتي أبناء وبنات الملك فيصل ـ رحمه الله ـ والذي لو كان حياً لقدر هذا الشعور من بولندا لدعوة هذه الندوة في بولندا تذكاراً لزيارته التي قام بها قبل سبعين عاماً.

وأشار المحاضر إلى عدد من الأساتذة البولنديين المهتمين بالدراسات العربية والإسلامية الذين تنوعت اهتماماتهم، وأبدى كثيرون منهم اهتماماً باللغة العربية ولهجاتها، وبالأدب العربي، وبتاريخ المنطقة العربية، فوضع الدكتور Przemyslaw Turek أول معجم شامل للكلمات المستقاة من العربية إلى اللغة البـولندية، والبـروفيـسورة Barbara Michalak - Pikuska متخصصة في الأدب الحديث لدول الخليج وشبه الجزيرة العربية، ووضع البروفيسور Janusz Dancki رئيس قسم الدراسات العربية في Cracow أول عمل نحو عربي في اللغة البولندية.

ويبدي بعض الباحثين البولنديين اهتماماً بأجزاء من الوطن العربي مثل، الجزيرة العربية والجزائر والمغرب ولبنان وغيرها.

وشملت الدراسات العربية والإسلامية في بولندا اللغة والأدب والتاريخ والجغرافيا والدراما العربية، وإلى جانب كرسي الدراسات العربية في Crocow هناك مراكز علمية تهتم



المشاركون في ندوة وارسو

كلمة سعادة سفير خادم الحرمين الشريفين لدى بولندا أسامة أحمد السنوسي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:

إنه لمن دواعي الفخر والاعتزاز أن نحتفل اليوم بذكرى مرور سبعين عامًا على الزيارة التاريخية التي قام بها جلالة المغفور له ـ بإذن الله ـ الملك فيصل بن عبدالعزيز عندما كان أميرًا نائبًا للملك في الحجاز ووزيرًا للخارجية. وإنه لمن يمن الطالع أن يتم ذلك خلال العام الذي افتتحت فيه أول سفارة للمملكة العربية السعودية لدى جمهورية بولندا، وهو الأمر الذي كان ـ ولا شك ـ من أبرز أهداف تلك الزيارة.

لقد كان الملك فيصل في ظل والده العظيم الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ مؤسسًا للدبلوماسية السعودية الحديثة، ومهندسًا لسياستها الخارجية منذ نشأتها، ولقد كانت زيارته بولندا والتقاؤه بالمسؤولين فيها دليلاً على مدى الأهمية والمكانة التي كانت تتمتع بها بولندا في المجتمع الدولي، كما أن الاهتمام والرعاية اللذين حظي بهما من لدن المسؤولين البولنديين كافة وعلى رأسهم فخامة الرئيس إيغناتسي موشتيتسكي الذي قلده وسام «بولونيا ريستيتوتا» وهو أعلى وسام بولندي دليل أيضًا على مكانة المملكة والاحترام الدولي الذي كانت تحظى به. ولقد سعى ـ رحمه الله ـ إلى إنشاء علاقات سياسية واقتصادية وثقافية راسخة بين البلدين، ولكن للأسف حال دون ذلك نشوب الحرب العالمية الثانية وما تبعها من ظروف سياسية قاهرة فرضت قيودًا على بولندا حكومة وشعبًا، غير أن الشعوب الحرة لا تموت. ولقد أثبت الشعب البولندي العظيم على مدى تاريخه أنه شعب يحب الحرية ويكافح من أجلها حتى أصبح مضرب المثل لكل شعوب الأرض.

واليوم تكمل المملكة العربية السعودية بقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز، وولي عهده الأمين صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز، وصاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام حفظهم الله مسيرة بناء العلاقات وتطويرها بين البلدين اللذين نعتقد أن مستقبلهما سيكون بإذن الله مشرقًا وواعدًا خاصة في المجال الاقتصادي حيث إن الإمكانات والقدرات لدى البلدين كبيرة جدًا، ويدعم ذلك كله الرغبة القوية لحكومتنا في وضع القواعد والأسس السليمة لذلك.

في الختام يسرني أن أنقل تحيات وتقدير شعب وحكومة المملكة العربية السعودية بقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز، وسمو ولي عهده صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز حفظهما الله إلى الشعب البولندي الصديق وإلى فخامة الرئيس ألكسندر كفاشنيفسكي وإلى دولة رئيس الوزراء ليشيك ميلر، كما يسرني أن أنقل إلى معالي وزير الخارجية السيد فوودجيميج تشيموشيفيتش تحيات وتقدير صاحب السمو الملكي الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية عن رعايته لهذه المناسبة متمنيًا للعلاقات السعودية البولندية كل تطور وازدهار.

بالدراسات العربية والإسلامية مثل، معهد التاريخ في الأكاديمية البولندية للعلوم التي بها أيضًا قسم للبلدان غير الأوروبية يهتم بمسائل العالم العربي الحديث، وأنشئ في مدينة بوزنان Poznan معهد للدراسات الشرقية، وفي Slupsk (شمال بولندا) في جامعة Pedagogi أصدر البروفيسور Jerzy Hanzinski دراسات مهمة عن التاريخ العربي في العصر الوسيط، وهناك قسم متخصص في التاريخ الحديث للعالم العربي في جامعة لودز Lodz، ويعمل الدكتور شاكر كتاب على إنشاء قسم



الأمير فيصل مغادراً وارسو في قطار

دراسات عربية في تورون Torun، وهو يدرس الإسلام السياسي في معهد العلوم السياسية في كلية العلوم والدراسات الثقافية في أكاديمية Bydogoszcz.

وهناك - حسب ما يشير ودنيسكي اهتمام بترجمة الأدب العربي الحديث الذي يتمثل بالكتّاب المصريين نجيب محفوظ، وتوفيق الحكيم، ويوسف إدريس إلى جانب كتّاب آخرين مثل غسان كنفاني، وإميل حبيبي، وأدونيس، وجمال الغيطاني، وغادة السمان، أما الأدب العربي الكلاسيكي فيتمثل بأعمال علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأسامة بن منقذ، وابن حزم، والحمداني، والفارابي، وابن بطوطة.

وقد تم تنظيم المؤتمر السادس للمستعربين البولنديين في جامعة Jagielloni في الفترة من ١٤ إلى ١٥ مايو/ أيار عام ٢٠٠٢م، وشارك فيه ٢٨ عالمًا، من بينهم الأستاذ الدكتور سليمان بن سليمان الجارالله من المملكة العربية السعودية، وممثل وزارة التعليم العالي السعودي الأستاذ عبدالعزيز المشعل، وكان ذلك - كما يقول دانيسكي - «أول الاتصالات العلمية بين العلماء البولنديين والسعوديين في مجال العلوم والثقافة».

ثم أشار إلى حضور صاحب السمو الملكي الأمير تركي الفيصل ومشاركته في الندوة التي أقيمت في جامعة وارسو في ٢٢ مايو/أيار بالتنسيق بين السفارة السعودية في بولندا، ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.



الأمير فيصل يغادر القصر الجمهوري

وختم دانيسكي ورقته بالقول: «إن موقف البولنديين تجاه الإسلام معقد ومتنوع، ويخضع لتغيرات أحيانًا من الصعب تعريفها. ولكن ينبغي - دائمًا أن يُلطّف عن طريق تقديم معرفة أعمق بالحضارة العربية وبالإسلام، بالإضافة إلى اتصالات مباشرة مع المسلمين من خلال اللغة والأدب».

علاقة المملكة
مع دول وسط وشرق أوربا

وتناول د. صالح بن محمد الخثلان «علاقات المملكة مع دول وسط وشرق أوربا» قائلاً: إن «تطور العلاقات السعودية البولندية يأتي في إطار إستراتيجية دبلوماسية تبنتها المملكة وعدد من دول تلك المنطقة لتوسيع دائرة العلاقات وزيادة النشاط الدبلوماسي بعد زوال الحاجز الأيديولوجي الذي أعاق إقامة علاقات طبيعية».

وفي هذا المجال ركز المحاضر في العلاقات السعودية مع بولندا، وتشيكيا، ورومانيا، والمجر.

وقبل الولوج إلى موضوع المحاضرة، تساءل: أوربا الشرقية: ماذا بقي منها؟ وفي إطار الإجابة عن تساؤله تطرق إلى التغيرات التي طالت خريطة أوربا الشرقية منذ عام ١٩٨٩م، ومنها غياب ألمانيا الشرقية بعد توحيد ألمانيا، وانقسام تشيكوسلوفاكيا إلى دولتين (تشيكيا وسلوفاكيا)، وتفكك يوغسلافيا إلى خمس دول وهي: البوسنة والهرسك، وكرواتيا، وسلوفانيا، ومقدونيا، والصرب، وأشار إلى أن التعريف الأيديولوجي لأوربا الشرقية بعد سقوط الأنظمة الشيوعية لم يعد مسوّغًا.

أما التعريف الجغرافي لها، فهي المنطقة الممتدة من ألمانيا والنمسا غربًا إلى جبال الأورال شرقًا، ولاتساع النطاق الجغرافي فقد أصبحت أوربا الشرقية تشكل من وسط أوربا، وشرق أوربا، والبلقان، ودول البلطيق، وكل منطقة تتكون من عدد من الدول. وأضاف أن بعض الباحثين يرى أن أوربا الشرقية سائرة إلى الاندماج في حلف الناتو والاتحاد الأوربي، ومعرضة لانتشار منظومة القيم الغربية مما يفقدها بعض خصائصها، وليصبح الحديث عن أوربا الشرقية كمنطقة بذاتها شيئًا من التاريخ.


أحاديث ودية بين الأمير تركي والمشاركين في ندوة وارسو

وتطرقت المحاضرة إلى البعد التاريخي للمنطقة، وأنها كانت منطقة تنافس بين القوى الكبرى، واستمرت مسرحًا للتنافس الدولي في القرن العشرين، وكانت أحد أسباب بدء الحرب الباردة.

وتطرق الخثلان بالتفصيل التحولات التي شهدتها الثلاثة عشر عامًا الماضية منذ سقوط الشيوعية في عام ١٩٨٩م، مسوغًا أسباب هذا الانهيار وجذوره التاريخية، وقال: «إن الحدث الأهم الذي أطلق تحولات عام ١٩٨٩م قد بدأ من بولندا حيث نجحت حركة التضامن في العودة من جديد إلى الساحة السياسية، وتمكنت من إقناع الحزب بضرورة الإصلاح السياسي والتخلي عن احتكار السلطة»، وأن إجراء أول انتخابات


الأمير تركي الفيصل والسفير السعودي في بولندا في معرض الصور في وارسو



الأمير تركي الفيصل في جولة في جامعة وارسو

حرة في المنطقة وفوز مرشحي الحركة بجميع مقاعد البرلمان وتعيين أول رئيس وزراء غير شيوعي أدت إلى عملية تغير امتدت إلى جميع دول المنطقة.

واستعرض المحاضر موقف المواطنين في تلك الدول من الحكم الشيوعي، ودور الاتحاد السوفييتي في دعم الأنظمة السياسية، ثم سعى هذه الدول إلى تحقيق الديمقراطية واقتصاد السوق والاندماج الكامل في أوربا، والآثار التي ترتبت على عملية الانتقال، ثم النتائج الإيجابية التي بدأت في البروز نتيجة لهذه الإصلاحات.

وقسم الخلان دول المنطقة من حيث درجة النجاح ثلاث مجموعات: المجموعة الأولى تضم بولندا وتشيكيا والمجر وسلوفانيا، والمجموعة الثانية تضم رومانيا وسلوفاكيا وبلغاريا، والمجموعة الأخيرة تضم دول الاتحاد السوفييتي سابقًا إلى جانب ألبانيا، وبعد ذلك عدد أسباب هذا التفاوت في النجاح. وخلص إلى أن من أهم دروس الإصلاحات هو أن الإصلاح حين يكون جزئياً قد يترك آثاراً سلبية في النمو ويؤخر تحقيق النتائج الإيجابية.

وربط بعد ذلك الإصلاحات السياسية والاقتصادية وتطور العلاقات الخارجية لدول المنطقة. فقد انضمت كل من بولندا والمجر وتشيكيا لحلف الناتو عام ١٩٩٩م، كما يتوقع انضمام كل من سلوفانيا ورومانيا وبلغاريا وسلوفاكيا ودول البلطيق إلى الحلف في المستقبل القريب. ومهدت دول المنطقة لكي تحقق الاندماج في الاتحاد الأوربي.

ويأتي التعاون الإقليمي في المرتبة الثانية لهذه الدول، وقد اتخذت ترتيبات من أجل تعزيز العلاقات بينها، وتعميق التبادل التجاري من خلال خفض الرسوم الجمركية وإزالتها، ومعالجة قضايا الأقليات، إلى جانب اتفاقية التجارة الحرة في شرق أوربا CEFTA الموقعة في عام ١٩٩٣م، وكذلك تجمع VISEGRAD الذي يضم المجر وبولندا وتشيكيا وسلوفاكيا.

وأشار المحاضر إلى أن القضية الثالثة في سلم الأوليات تتمثل بإعادة بناء العلاقات الخارجية مع بقية دول العالم على أسس جديدة قوامها المصالح الوطنية وتعزيز المشاركة في الأسواق الإقليمية بعد أن كانت السياسات الخارجية لهذه الدول أسيرة أطروحات التضامن الأيديولوجي والتبعية لمصالح موسكو».



الأمير فيصل في ضيافة مجلس إدارة نادي وارسو للتنس

أما العلاقات العربية مع دول المنطقة، فقد تميزت بالقوة في ظل الأنظمة الشيوعية التي كانت تحكمها بسبب الالتقاء في النضال ضد الإمبريالية الغربية، وقد قطعت جميعها علاقاتها مع إسرائيل التزاماً بخط موسكو ما عدا رومانيا.

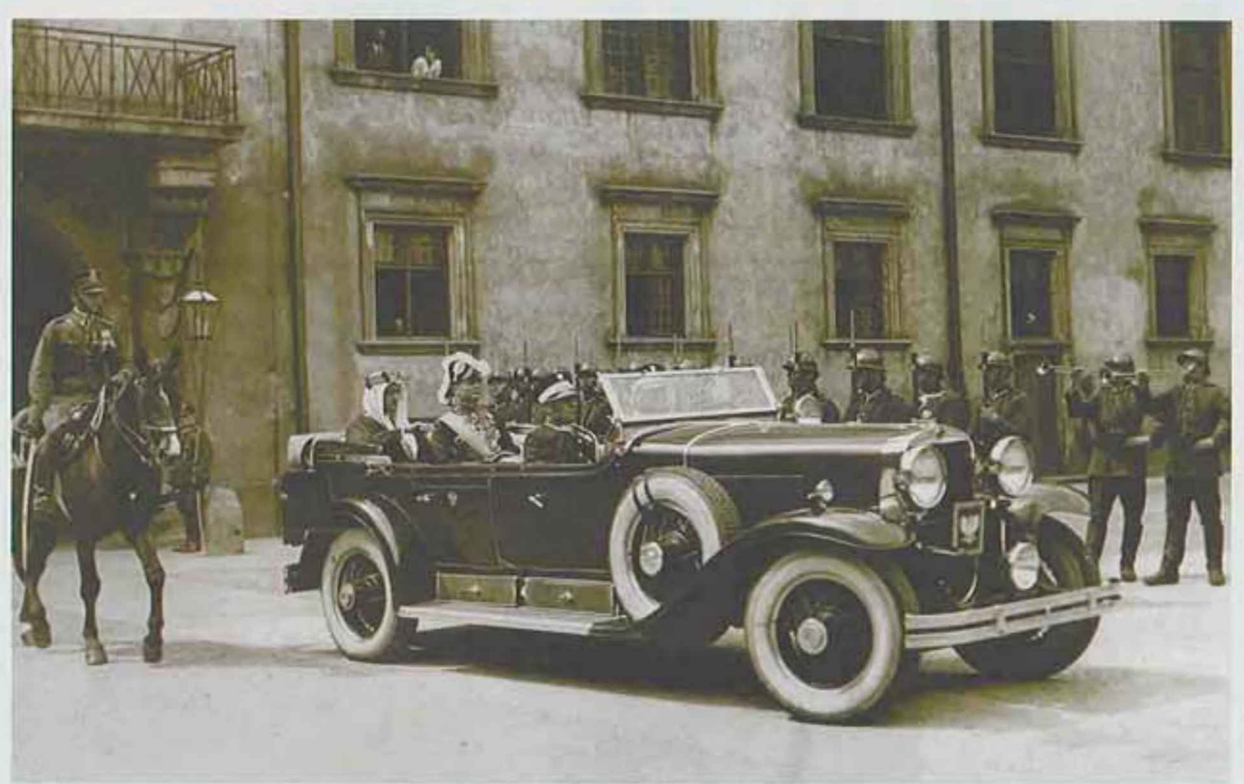
ومن أهم ما نبه إليه الخثلان التطور الكبير الذي تشهده علاقات إسرائيل مع دول أوربا الشرقية في إطار سعي إسرائيل إلى اختراق المنطقة، وقد قامت بجهود دبلوماسية مكثفة تكللت بتوقيع اتفاقيات تغطي مجالات مختلفة، ومن ذلك توقيع خمس اتفاقيات تعاون مع تشيكيا خلال أقل من أربع سنوات، وبلغ عدد الاتفاقيات الموقعة بينهما ١٤ اتفاقية، بينما يستغرق توقيع اتفاق تعاون بين أي من الدول العربية وهذه الدول سنوات طويلة.

وبلغ حجم التبادل التجاري بين إسرائيل وهذه الدول في عام ٢٠٠٠م (٧٣٧ مليون دولار) ثم ارتفع إلى ٧٦٣ مليون دولار في عام ٢٠٠١م، ويميل ميزان التبادل التجاري إلى جانب إسرائيل، في حين أن التبادل التجاري بين الدول العربية ودول وسط وشرق أوربا فيه عجز لصلحة الأخيرة.

ونوه المحاضر بالتعاون العسكري بين إسرائيل وهذه الدول، ثم استدرك بأنه على الرغم من هذا التطور في العلاقة مع إسرائيل إلا أن «جميع هذه الدول تدعم جهود السلام الشامل في المنطقة التي تعيد للفلسطينيين جميع حقوقهم»، كما أن هناك تطوراً في العلاقة بينها وبين بعض الدول العربية مثل المملكة العربية السعودية ودول الخليج ومصر والمغرب، لأن معايير المصلحة والوطنية والحسابات العقلانية هي التي توجه سياساتها الخارجية.

وبعد هذه المقدمة العامة تتبع الخثلان العلاقات السعودية مع دول وسط وشرق أوربا، وكان مدخله إليها ما قامت به المملكة العربية السعودية من دور كبير في إغاثة المنكوبين والمهاجرين من أبناء البوسنة والهرسك خلال المأساة التي تعرضوا لها في عام ١٩٩٢م، وعلى امتداد ثلاث سنوات، ثم كان للمملكة دورها الرائد في تقديم المساعدات لإغاثة المسلمين الألبان في كوسوفا من أبناء الحرب التي اندلعت عام ١٩٩٩م.

وكان التحول في السياسة السعودية تجاه المنطقة في منتصف التسعينيات عندما أقامت علاقات دبلوماسية مع رومانيا وتشيكيا والمجر. كما تم استئناف العلاقات مع بولندا منذ عام ١٩٨٩م بعد انقطاع دام نصف قرن.



الأمير فيصل لدى زيارته رئيس جمهورية بولندا

وكان قرار تحرير الكويت ومشاركة فرق عسكرية طبية من هذه الدول في التحالف الدولي قد أسهم في وضع أسس لعلاقات المملكة معها.

وأشار المحاضر إلى أن ما يسوغ نشاط المملكة لتوثيق العلاقات مع هذه الدول أهميتها السياسية والاقتصادية، وحجم سوقها الكبير، وإمكاناتها الصناعية وموقعها الإستراتيجي إلى جانب أن هذه الدول تدرك ما للمملكة من أهمية سياسية واقتصادية ودور قيادي في العالمين العربي والإسلامي. ثم عدد خطوات تدل على ما تشهده العلاقات من تطور، فإلى جانب اتفاقيات التعاون، تم افتتاح سفارات سعودية في بولندا والمجر وتشيكيا ورومانيا في أواخر العام الماضي.

وأورد الخثلان بعض مجالات التعاون المتاحة لتوثيق العلاقات بين المملكة وهذه الدول، ومنها مجال تكرير النفط، والسياحة.

وذكر بعض المواقف الإيجابية لبعض دول المنطقة تجاه القضية الفلسطينية، وما بينها وبين المملكة من مواقف تجاه كثير من القضايا الإقليمية والدولية.

وتطرقت المحاضرة إلى تاريخ العلاقات السعودية البولندية التي بدأت في عام ١٩٣٢م عندما اعترفت بولندا بالملك عبدالعزيز سلطاناً على الحجاز ونجد وملحقاتها، وكانت تاسع دولة تعلن اعترافها بالمملكة.

وكان الحدث الأهم والذي هو موضوع الندوة استقبال البولنديين سمو الأمير فيصل بن عبدالعزيز في وارسو في مايو/ أيار ١٩٣٢م بصفته وزيراً للخارجية، وقد التقى الرئيس البولندي الذي منحه وسام الدولة البولندية، وقد فتحت تلك الزيارة مجالات لتطوير العلاقات التي استمرت حتى الغزو الألماني لبولندا عام ١٩٣٩م.

وبعد استئناف العلاقات بين البلدين في عام ١٩٨٩م بعد انقطاع دام نصف قرن، استقبلت الرياض وفوداً بولندية رسمية كثيرة، كما استقبلت وارسو وفوداً سعودية متعددة، فقد زار الرياض نائب وزير الخارجية ونائب وزير الدفاع في ديسمبر/ كانون الأول عام ١٩٩٠م لتوقيع اتفاق ترتيب المشاركة البولندية في قوات التحالف، كما زار الرياض الوزير كوزاكيفيسكي الموفد الخاص للرئيس البولندي ليخ فالنسا في عام ١٩٩٢م، وزارها وزير الخارجية البولندي في عام ١٩٩٥م.

وزار وارسو وفد رجال الأعمال في نوفمبر/تشرين الثاني عام ١٩٩٧م، ووفد مجلس الشورى برئاسة معالي الشيخ محمد بن جبير - رحمه الله - في مايو/أيار ١٩٩٩م.

وافتتحت السفارة البولندية في الرياض في عام ١٩٩٨م، وافتتحت السفارة السعودية في وارسو في أغسطس/تشرين الأول ٢٠٠٠م. وتعددت الزيارات بين ممثلي البلدين بما يعكس رغبة الطرفين في تعميق العلاقات.

وأشار الخثلان إلى أنه على مستوى العلاقات التجارية بلغ إجمالي الواردات من بولندا في عام ٢٠٠٠م (٢٦٠ مليون ريال)، مع توقع لنمو حجم التبادل التجاري خصوصاً بعد توقيع الاتفاقية العامة للتعاون التي أوشك الجانبان على الانتهاء من مناقشتها.

وقد تطرق المحاضر إلى نمو العلاقات السعودية مع كل من المجر، وتشيكيا، ورومانيا، فأشار إلى أن العلاقات بين السعودية والمجر أقيمت في شهر أبريل/نيسان ١٩٩٥م، وتم افتتاح السفارة المجرية في الرياض في شهر أكتوبر/تشرين الأول ١٩٩٦م، ووقعت اتفاقية للتعاون بين الرئاسة العامة لرعاية الشباب ووزارة الشباب والرياضة المجرية في شهر فبراير/شباط عام ٢٠٠٠م، وزار المملكة رئيس الوزراء المجري فكتور أوربان في عام ٢٠٠١م، وتم تبادل وفود تجارية بين البلدين، وقد فوّض مجلس الوزراء السعودي في أغسطس/آب عام ٢٠٠١م وزير الخارجية للتوقيع على اتفاقية تعاون عامة مع المجر، وبلغ حجم واردات المملكة من المجر ١٠٦ ملايين ريال عام ٢٠٠٠م، بينما لم تتجاوز الصادرات السعودية المليون دولار.



الأمير تركي الفيصل والدكتور يانوش دانيسكي



معرض الصور في وارسو

وهناك اتجاه للتعاون مع الشركات المجرية في مجال تنمية الموارد المائية.

أما العلاقات السعودية التشيكية التي بدأت عام ١٩٩٥م بافتتاح السفارة

التشيكية في الرياض، فقد شهدت تطوراً ملحوظاً تمثل بتبادل الوفود الرسمية والتجارية، وقيام علاقات تعاون في مجالات كثيرة كالتعليم، والطب، والتجارة، والاستثمار، كما تم افتتاح السفارة السعودية في براغ في يناير/كانون الثاني عام ٢٠٠٢م، وتم توقيع اتفاقية عامة للتعاون في مارس من العام نفسه.

وبلغ إجمالي الواردات السعودية من تشيكيا في عام ٢٠٠٠م (١٥٠ مليون ريال). ومن مظاهر حرص تشيكيا على تطوير علاقاتها التجارية مع الوطن العربي تأسيس الغرفة التجارية العربية التشيكية في فبراير/شباط عام ١٩٩٤م.

وأشار الخثلان إلى أن قنصل تشيكوسلوفاكيا في القدس كان قد قدم أوراق اعتماده قنصلاً غير مقيم لبلاده في جدة في ١٩ مايو/أيار عام ١٩٣٣م، كما أصبح محمد عبدالله رضا أحد تجار جدة قنصل شرف لتشيكوسلوفاكيا، وهو من أعلن في مارس/أذار عام ١٩٣٨م إغلاق القنصلية بسبب اتفاق بين تشيكوسلوفاكيا وألمانيا.

الأمير فيصل واستقبال حافل

وعن العلاقات السعودية الرومانية قال المحاضر: إنه تم تأسيس هذه العلاقات في عام ١٩٩٥م بافتتاح السفارة الرومانية في الرياض، ثم شهدت هذه العلاقات نقلة مهمة في عام ١٩٩٩م، عندما زار رئيس مجلس الشورى ووفد مرافق من أعضاء مجلس بوخارست التقوا خلالها بالرئيس ورئيس الوزراء وأعضاء البرلمان الروماني، كما زاروا عدداً من المنشآت الصناعية. وزار المملكة بعد ذلك عدد من المسؤولين الرومانيين، كما زار مسؤولون سعوديون بوخارست بغرض افتتاح السفارة السعودية هناك في القريب.

وهناك علاقات أكاديمية وتجارية قوية بين البلدين، وبدأت بعض الشركات السعودية بالعمل في السوق الرومانية مؤخراً. وتوجد فرص واسعة للتعاون بين البلدين لإقامة مشروعات مشتركة في مجال تكرير البترول.

وبلغ إجمالي الواردات من رومانيا في عام ٢٠٠٠م (١٦٧) مليون ريال.

الأمير فيصل في الصحف البولندية

نائب ملك الحجاز في وارسو

يصل مساء اليوم إلى وارسو في الساعة الثامنة وخمس وعشرين دقيقة مساءً، قادماً من برلين بالقطار السريع، نائب ملك الحجاز؛ الأمير فيصل.

وسيقام استقبال رسمي على شرف هذا الضيف الرفيع المستوى؛ والذي سيكون في استقباله في محطة القطار ممثلو الحكومة، بالإضافة إلى وحدة من حرس الشرف للجيش البولندي، والفرقة الموسيقية. وسيقيم نائب ملك الحجاز في فندق «إورويسكي». وفي الغد سيقوم بزيارة لوزير الخارجية أوغوست زاليسكي، ولرئيس مجلس الوزراء ألكسندر بريستور. وفي فترة الظهيرة، يستقبله رئيس جمهورية بولندا في القصر الجمهوري على مأدبة إفطار، أما في الساعة الخامسة عصراً، فسيقوم بزيارة قصر البيلفيدي للقاء وزير الشؤون العسكرية، المرشال بيوسودسكي. وسيبقى نائب ملك الحجاز ضيفاً في وارسو حتى الثامن والعشرين من الشهر الجاري، ثم يغادر في ذلك اليوم عبر ستو وبتس متجهاً إلى موسكو.

صحيفة «كوريير فارشافسكي»، العدد ١٤٢، بتاريخ ٢ مايو/أيار ١٩٣٢م، صفحة ١٢.

نائب ملك الحجاز في القصر

استقبل فخامة رئيس جمهورية بولندا بالأمس، وفي تمام الساعة الواحدة ظهراً صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن عبدالعزيز، نائب ملك الحجاز، والذي حضر إلى القصر بسيارة رئيس الجمهورية المكشوفة، برفقة رئيس المراسم، محاطاً بموكب من الفرسان، وفي السيارات التالية حضر باقي أفراد حاشية الأمير، وهم: نائب الوزير المساعد الشيخ فؤاد حمزة، وحاجب الأمير الرائد خالد بيه الأيوبي، والسكرتير شاهر سمّان، والأشخاص المكلفون برعاية بعثة الحجاز، وهم: المستشار شوشنيشكي، والمستشار دويستش، والسيد أونزوغ، والعقيد ريل.

وقد استُقبل نائب الملك في ساحة القصر، بالتحية العسكرية التشريفية بمصاحبة موسيقى الأبواق، وعند السلالم رحب حاجب رئيس الجمهورية كروتكيفسكي بصاحب السمو، بينما استقبله عند المدخل نائب رئيس المراسم بشيجد جيتسكي، والمستشار موشستيشكي. وكان في استقبال سموه في صالة الاجتماعات «أسيمبلوفا» رئيس المكتب المدني هيوتشينسكي، ورئيس المكتب العسكري العقيد غووغوفسكي. وبعد ذلك انتقل الجميع إلى صالة الفرسان «ريتسير سكا» حيث كان في الانتظار فخامة رئيس جمهورية بولندا، ومعه نائب وزير الخارجية يوزف بيك، وأعضاء المكتب المدني والعسكري. وقد قام صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بتسليم رسالة والده الملك ابن سعود لفخامة الرئيس.

وتلا هذا اللقاء الرسمي: لقاء



ندوة العلاقات السعودية البولندية

SYN KRÓLA HEDŻASU W POLSCE.

صورة زنكوغرافية لإحدى المقالات التي تناولت زيارة الأمير فيصل بولندا

شخصي في الصالة الرخامية «ماروروفا». وفي تمام الساعة الواحدة والنصف، أقيمت مأدبة إفطار في صالة تسمى «مأدبة الخميس»، شارك فيها بالإضافة إلى المذكورين آنفًا، كل من رئيس مجلس الوزراء ألكسندر بريستور، والجنرال سكوادكوفسكي، والنائب الثاني لوزير الحربية، رئيس الأركان الجنرال غونشيوروفسكي، والجنرال كاسبشيتسكي، والجنرال زامورسكي، والوزير شاتسي ورئيس الطيران العقيد رايسكي.

قام الأمير فيصل بالأمس، وفي تمام الساعة الحادية عشرة صباحًا، بزيارة الوزير بيك برفقة حاشيته. وبعد الظهر، وفي تمام الساعة الرابعة قام المبعوث السوفيتي في وارسو أوفشيينكو، بمرافقة مستشار البعثة بزيارة الأمير في فندق «إوروبسكي». تلا ذلك زيارة الوزير بيك لسمو الأمير في الساعة الرابعة والنصف.

وفي الساعة الخامسة مساءً حضر الأمير فيصل إلى قصر «البيلفيدين» حيث استقبله المارشال بيوسودسكي على حفل شاي. وقد شارك في الحفل كل من رئيس الوزراء بريستور، والوزراء والجنرالات وحاشية الأمير فيصل. وقد قضى الضيف الموقر المساء في الأوبرا.

صحيفة «كوربير فارشافسكي» العدد ١٤٤، بتاريخ ٢٦ مايو/أيار ١٩٣٢م، صفحة ١٦.

الأمير فيصل في وارسو

وصل بالأمس في تمام الساعة الثامنة وخمس وعشرين دقيقة مساءً بالقطار القادم من برلين إلى وارسو الأمير فيصل مع الوفد المرافق له. وكان في انتظار الضيف في محطة القطار ممثلون عن رئيس جمهورية بولندا، ورئيس المكتب العسكري العقيد غووغوفسكي، ورئيس المكتب المدني الدكتور هيوتشينسكي، وممثلو وزارة الخارجية، ومن ضمنهم رئيس المراسم السيد رومير، وممثلو السلطات العسكرية ومن ضمنهم رئيس مدينة العاصمة وارسو العقيد ستشيمينسكي، وممثلو الصحافة، كما كان في استقبال الأمير، وحدة حرس الشرف السادسة والثلاثون. بعد خروج سموه من مقطورة الصالون، وتعريفه بالحاضرين، مار الأمير فيصل أمام وحدة حرس الشرف، وتلا ذلك مغادرته مع الوفد المرافق له، بمعية مستشار وزير الخارجية السيد دوبيتش إلى فندق «إوروبسكي».

خرائط توضح موقع بولندا وأهم مدنها

كلمة الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية


الأمير سعود الفيصل

أيها الإخوة: إن في تاريخ علاقات الأمم والشعوب وقفات مضيئة لا تزول من الذاكرة بمرور الزمن ولا تمحوها الأحداث المتعاقبة بتأثير عوامل عدة فهي إما مرتبطة بعظمة أبطالها أو بأهمية الحقبة التي نشأت فيها أو بتميز العلاقة بين أطرافها.

أيها الإخوة: إن هذه المناسبة التي نحن بصددها تجمع كل الاعتبارات بشكل جعل منها مناسبة تستحق الاحتفاء، وتسترعي الانتباه، وتستدعي الذاكرة، إن الزيارة التاريخية التي قام بها الملك فيصل ـ رحمه الله ـ إلى بولندا في مثل هذا اليوم قبل سبعين عاماً عندما كان نائباً لوالده الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ تستحق بكل المقاييس ليس الاحتفاء أو الاحتفال بها، بل التركيز عليها والتأمل في مضامينها وتسليط الأضواء عليها، فقد كان الزائر هو فيصل بن عبدالعزيز الذي أثبت منذ نعومة أظفاره عبقريته القيادية، وحنكته السياسية، وحكمته المبكرة حتى أصبح مشهوداً له في المحافل الدولية، واكتسب باقتدار احترام قادة العالم الذين عاصروه، كان ذلك الزائر الذي أصبح فيما بعد قائداً فذاً من القادة الذين لن ينساهم التاريخ بعد أن حفر اسمه في صفحاته بمآثره العظيمة وآثاره الجليلة التي لا يخلفها إلا العظام الذين تفخر بهم شعوبهم وأوطانهم.

إن الحقبة التاريخية التي تمت فيها هذه الزيارة لها أهمية تاريخية خضع فيها العالم لمتغيرات جوهرية حددت معالمه وأثرت في نظامها الدولي فقد وقعت بين حربين عالميتين، كما أنها احتضنت نشأة الدولة السعودية، كذلك لما يحملانه طرفا العلاقة من تراث عميق وما يمثلان من أهمية في منطقة الشرق الأوسط وأوربا، ولما يتطلعان له من أهداف مشتركة كان له أكبر الأثر في جعل العلاقة متميزة بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان ومضامين، ولأن الشعبين السعودي والبولندي يشتركان في خصائص العزيمة والطموح والنزعة إلى التقدم، فقد كان من البديهي أن يلتقيا من جديد ليؤسسا الرغبة المشتركة في ترميم علاقتيهما وبنائها.

إن هذه الندوة، والندوة المشابهة التي أقيمت في وارسو تجسيداً لمعاني الوفاء والتقدير للملك فيصل ـ رحمه الله ـ ونأمل أن يمثل عقد هاتين الندوتين بذرة أساسية ودافع قوي نحو المزيد من التواصل الفكري والثقافي بين البلدين ودعماً للرغبة المشتركة في تطوير العلاقات بينهما في كافة المجالات.

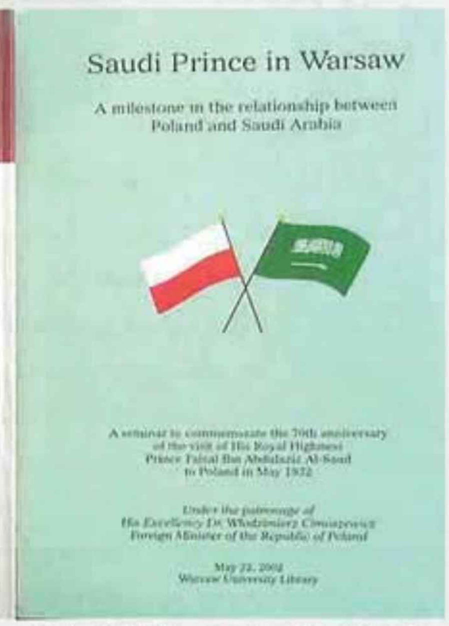
• ألقاها بالنيابة معالي الدكتور نزار بن عبيد مدني وكيل وزارة الخارجية

إن بعثة ملك الحجاز، الموجودة في أوربا منذ عدة أشهر، قادمة الآن إلى بولندا، بعد زيارة كل من إيطاليا وهولندا وألمانيا وبلدي فارس وتركيا. يرأس هذه البعثة صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن عبدالعزيز آل سعود، الابن الثاني للملك ابن سعود، ونائب ملك الحجاز، رئيس مجلس الوزراء، ووزير الخارجية، يرافقه في هذه الزيارة فؤاد حمزة وكيل وزارة الخارجية، وشاهر سمان والرائد خالد الأيوبي حاجب صاحب السمو الملكي.

إن هذه البعثة تضع في أهم اعتباراتها الأهداف الاقتصادية.



علاف الكتيب الصادر في الرياض



غلاف الكتيب الذي صدر بمناسبة الندوة في بولندا



حديث بين الأمير تركي الفيصل وسفير بولندا في الرياض

الأمير فيصل بن عبدالعزيز، نائب ملك الحجاز، ووزير خارجية والده ابن سعود، المعروف بنشاطه وسيطرته وتحكمه ومهارته في قيادة ملايين المسلمين العرب، الذين يحكمهم الآن حاكم الحجاز، هو ضيف في وارسو منذ الأمس، حيث سيمكث فيها إلى السبت القادم.

الأمير فيصل (الذي يجب عدم الخلط بينه وبين فيصل الأول، ملك العراق) يجيد اللغة العربية فقط، لذا فهو يحتاج إلى مترجم في أثناء تحدثه مع الأجانب.

هو رجل شاب، طويل القامة، نحيل، ذو وجه طويل نحيل، تزينه كوفية بيضاء، وعقال. ويرتدي ما يسمى «بالمشلح» وهو برنس طويل بني اللون، يغطي جسد الأمير بالكامل، وهذا هو الزي التقليدي الذي يرتديه الأمير دائماً.

ويتصف ابن سلطان نجد وملك الحجاز: بطباع شرقية لطيفة، وأدب كريمين، وهما لا يحولان بينه وبين الحفاظ على عزة نفسه ومكانته التي يحتلها في بلده، وعلى وجه الخصوص في مكة، التي يقيم فيها نائباً للملك، والتي لا يسمح للأجانب وغير المسلمين بدخولها.

أما في المناسبات الخاصة، فيرتدي الأمير فيصل برنساً أسود، ويضع على غطاء رأسه الأبيض، تاجاً مذهباً بشكل فريد، يخلق نوعاً من الهالة حول رأسه.

صحيفة «كوريير فارشافسكي» العدد ١٤٣، بتاريخ ٢٥ مايو/أيار ١٩٣٢م، صفحة ١.

الحجاز والوهابيون
(بمناسبة زيارة الأمير فيصل وارسو)

ابن سعود، سلطان نجد وملك الحجاز، يعدّ - بلا شك في الوقت الحالي - من أبرز شخصيات العالم الإسلامي أجمع، وسلطته تنبع بشكل رئيس، من كونه حاكم الأراضي الإسلامية، وأعظم ملك عربي في شبه الجزيرة العربية.

إن دولة ابن سعود الذي هو القائد الروحي للوهابيين في الوقت نفسه، تمتد شمالاً إلى حدود سورية والعراق، وجنوباً إلى اليمن، وغرباً إلى البحر الأحمر، وشرقاً إلى الخليج العربي، وتشغل مساحة أكثر من ١٧٥٠٠٠٠ كيلومتر مربع، ويبلغ عدد سكانها نحو ٧ ملايين نسمة.

لقد أجاد ابن سعود في وصف شخصيته، في أثناء الكلمة التي ألقاها في عام ١٩٣٠م في مكة، أمام الحجاج المسلمين، إذ قال ما يأتي: «لم أكن شيئاً.. واليوم أحكم بلاداً بعيدة الواحدة عن الأخرى، ولكي أستطيع أن أحكم هذه المملكة، لم يكن لدي أي وسائل سوى العقيدة الراسخة، والإيمان القوي بوحدانية الله، لم يكن لدي أي كنز من كنوز هذه الدنيا، ولا القوة البشرية، في حين كان أعدائي يهاجمون من الجهات كافة. إلا أنني، وبعون الله - انتصرت عليهم، وغلبتهم، وملكت بلادهم». وفي كلمته هذه أكد السلطان - الملك: أنّ الدول الإسلامية، مهددة من قبل الدول الأجنبية، فقط لأنّ المسلمين أنفسهم، يدعمون المساعي الاستعمارية للدول الغربية من أجل مصالحهم، ومكاسبهم الشخصية الخاصة.

إن هذه الكلمات، تشير وتظهر بوضوح، حقيقة مساعي ابن

سعود. ومن هذا المنطلق يعدّ بطلاً حقيقيًا لشعبه، وأكثر أبناء الإسلام إخلاصًا. ومن وجهة النظر الدينية هو من المؤيدين والمدافعين عن الإسلام، في صورته الصافية الأولى، كما هي في كتاب الله المقدس (القرآن الكريم وسنة نبيه)، وتتلخص عقيدته في: «وحدانية الله» وحدانية لا يشوبها أي خطأ، وخالية من أي بدع، فهو يدعو جميع المؤمنين، إلى العودة والرجوع إلى الوحدانية الطاهرة، وإلى الأخوة بين جميع المسلمين، وهو يرى، وكذلك من معه من الوهابيين، أن المسلمين قد انحرفوا عن الطريق الصحيح، الذي يريده الله، ووقعوا في مستنقع الظلمات والآثام. ولهذا السبب رمى الله بهم، فهووا إلى حالة العبودية والمهانة، وفقدوا عظمتهم. وللمحافظة على طهارة ووحدانية الله، فهو يحارب جميع محاولات عبادة الصالحين وقبورهم حتى إنه يمنع تقديس قبر الرسول محمد صلى الله عليه وسلم نفسه، وهو لا يعترف بأي وسطاء أو شفعاء بين الإنسان - ذلك المخلوق الإلهي - وبين الله الخالق.

أما من الناحية السياسية: فهو يسعى إلى أن يُرجع إلى الإسلام، وإلى العرب على وجه الخصوص، قوتهم وعظمتهم السابقة. وفي هذا الإطار، هو يسعى إلى توحيد جميع الأراضي العربية، في دولة متحدة، ويسعى إلى إرجاع «الخلافة الراشدة» التي تعتمد على الاختيار الحر، كما كان الحال في عصور الإسلام الأولى، ولا تعتمد على فرض هذا الوقار بالقوة، من قبل أي سلالة حاكمة، أيًا كانت، كما كان الحال في عهد الإمبراطورية العثمانية.

إن الحجاز يشغل مكانة مميزة في العالم الإسلامي، لكونه البلد الذي نشأ فيه الإسلام ونما فيه، منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنًا. ففي عاصمة الحجاز ولد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، بينما في العاصمة الثانية لهذا البلد، أي المدينة المنورة، وضع الرسول أساس دولة الخلافة (الأولى) الإسلامية العريقة. علاوة على ذلك، يوجد في مكة، أقدم مسجد في التاريخ، وهو الكعبة، التي كما كان متناقلاً: أنّ من أنشأها هو إبراهيم وابنه إسماعيل. ويتوجه المسلمون في جميع أنحاء العالم، في صلاتهم إلى الكعبة، إذ إنها المكان الذي تم فيه - وللمرة الأولى في تاريخ البشرية - : إعلان الإيمان بوحدانية الله، ويقصدها سنويًا مئات الآلاف من الحجاج، من الأجناس كافة، ومن جميع البلدان. لكي يثبتوا هناك وحدة العالم الإسلامي وأخوته في أثناء أكبر أعيادهم وأهمها، وهو عيد قربان - بيرام (عيد الأضحى) ولهذا كله، يعدّ الحجاز، وخاصة مكة والمدين، أرضًا مقدسة للإسلام. وبالفعل فإن أراضي مكة وضواحيها التي تمتد على مسافة ١٠٠كم من مكة، تعدّ حتى الآن

كلمة الأمير تركي الفيصل في الرياض

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

الحديث عن فيصل بن عبدالعزيز لا ينتهي.....

فقد كان - رحمه الله - رحالة جوالة لم يكلّ ولم يملّ من الذهاب إلى أقصى المعمورة سعيًا إلى رفعة شأن المسلمين ودعم قضاياهم.

بدأ حياته مندوبًا عن أبيه في مؤتمر السلام الدولي الذي عُقد في العاصمة الفرنسية عند نهاية الحرب العالمية الأولى وقبل شهر ونصف من استشهاده كان قد زار كلاً من مصر وسورية والأردن.

ولولا وفاته (رحمه الله) لكان ترحاله سيأخذه إلى أمريكا الجنوبية لزيارة كل من البرازيل والأرجنتين وفنزويلا.

ولكن تجواله لم يقتصر على الدول الخارجية فلقد كان - رحمه الله - يعرف كلّ شبر في هذه البلاد المباركة. وأذكر أنه عندما كان يرحل إلى البر، وإذا كان ذلك بالطائرة فإنه كان يجلس إلى جانب الطيار ليرشده إلى مكان هبوط الطائرة وتفادي الأراضي الوعرة.

ولن أتحدث عن رحلته إلى بولندا لأنّ هناك من هو أقدرُ مني على ذلك، وأكتفي بالقول: إن فيصل بن عبدالعزيز أعطى من نفسه لربه ثم للبشرية ما لم يعطه غيره من الزعماء، ولقد كافأه ربّهُ بأن كتب له الشهادة فأسكنهُ فسيحَ جناته بإذنه، وجعلنا من لاحقيه بإذنه.



الأمير بندر بن سعود بن خالد نائب المدير العام لمؤسسة الملك فيصل الخيرية في معرض الصور بالرياض



جانب من حضور الندوة التي أقيمت في الرياض



المتحدثون في ندوة الرياض من اليمين إلى اليسار: د. يجي زدانوفسكي، ود. الشبيلي، ود. عوض البادي (مدير الندوة) ود. يانوش، ود. الخثلان

أراضي لا يدخلها أو يصل إليها غير المسلمين (البلد الحرام) حتى إن الدبلوماسيين الأوروبيين المعتمدين من قبل حكومة الحجاز، ليس بإمكانهم زيارة مكة، ويجب عليهم الإقامة في جدة. ولتسهيل إقامة العلاقات الدبلوماسية مع حكومة الحجاز، فإنّ بعض الدول مثل إنجلترا وفرنسا وروسيا السوفييتية، وبالطبع تركيا: يعينون عادة أشخاصاً مسلمين في هذه المناصب، ممثلين دبلوماسيين لدولهم. لتكون لهم حرية الوصول والدخول إلى مكة والحجاز الذي كان يوماً ما، جزءاً من الدولة العثمانية وأعلن مملكة في ٢١ يناير / كانون الثاني عام ١٩١٨م، يحكمها الهاشميون، وملكها الحسين بن علي، الملك السابق.

وفي نهاية عام ١٩٢٥م، أخرج الملك حسين من الحجاز، ودخل الحجاز في ٨ يناير / كانون الثاني عام ١٩٢٦م تحت حكم سلطان نجد، عبدالعزيز ابن سعود، القائد الروحي للوهابيين، والداعي إلى الوحدة العربية الشاملة، لجميع الأراضي العربية. وصاحب الجلالة الملك عبدالعزيز - الابن الأول لعبدالرحمن الفيصل - ملتزم بأحكام الشريعة الإسلامية، ومنفذ لأحكام كتاب الله والسنة.

وقد عيّن وليّاً للعهد، ومشرفين ومديرين لمتابعة أعمال الدوائر الحكومية، وهي ستة أقسام: الأوقاف، والشؤون الداخلية، والشؤون الخارجية، والمالية، والتعليم العام، والشؤون العسكرية، وقسم خاص خارجي، هو قسم الحج.

صحيفة «كوربير فارشافسكي»، العدد ١٤٤، بتاريخ ٢٦ مايو/أيار ١٩٣٢م، صفحة ١٤.

إعداد: قسم التحرير

كلمة سعادة سفير جمهورية بولندا لدى الرياض كشيشتوف بلومينسكي

تشهد الصور الفوتوغرافية القديمة الجميلة المعروضة اليوم في المركز بحفاوة استقبال الملك (الأمير) فيصل بن عبدالعزيز في وارسو، وهي تحمل أيضاً رسالة الترحيب الحية نحو السعوديين القادمين إلى بولندا بعد ٧٠ عاماً من فتح الطريق أمامهم إلى هناك.

إن اكتشاف هذه الصور مؤخراً في الأرشيف البولندي من قبل البروفيسور انجي كابشفسكي من جامعة كراكوف وسعادة السفير السعودي في وارسو يشبه قصة العلاقات البولندية السعودية التي عبرت فترة الحروب والكوارث الأيديولوجية والتجميد لكي تزدهر من جديد لمصلحة البلدين والشعبين.

وفي عام ١٩٣٠م أي قبل زيارة الأمير فيصل وارسو بسنتين استجابت بولندا كالدولة التاسعة في العالم لمبادرة الملك عبدالعزيز، واعترفت بالدولة السعودية الناشئة وأرسلت إليها وفداً رسمياً زار جدة برئاسة الكونت راتشينسكي من وزارة الخارجية ومفتي الجمهورية. وأكد رئيس الوفد أمام الملك أن الأمة البولونية تحتفظ كل التقدير والممنونية نحو الأمة العربية ونحو جلالته. ورد الملك عبدالعزيز على الرسالة قائلاً: لا شك في حسن نوايا حكومة بولونيا، وإنا نحبها وعلى الأخص حينما سمعت من مفتيها ومن رئيس وفدها أن المسلمين هناك يعاملون معاملة حسنة، وهذا ما يجعل حبي يزداد لحكومة بولونيا وللشعب البولوني. وستنشر يوم الغد صحيفة الرياض مقال الدكتور فهد السماري حول الوثائق التي اكتشفها بهذا الشأن. وأنا أشكر الدكتور فهد (الذي يغيب اليوم بسبب سفره خارج المملكة) على جهده الخالص لهذه الاكتشافات من الأرشيف السعودي.

إننا في بولندا نحتفظ ونقدر هذا الموقف النبيل للملك عبدالعزيز ونرد عليه بنفس الشعور. وأكدت ذلك مجدداً قبل أيام قليلة الفعاليات التي أقيمت في وارسو لأحياء ذكرى زيارة الملك فيصل. وكان استقبال رئيس الوفد السعودي لحضور هذه الاحتفالات سمو الأمير تركي الفيصل ولقاء سموه الكريم مع فخامة الرئيس البولندي دليلاً جديداً على حيوية عرا الصداقة القائمة بين البلدين.

وإنني أنتهز هذه الفرصة لأعرب نيابة عن الحكومة البولندية ووزير خارجيتها عن جزيل الشكر والامتنان لتنظيم هذه الندوة بعد الأيام من الندوة الأخت في وارسو وتأكيد اهتمام الحكومة السعودية بتطوير روابط التعاون والصداقة مع بلادنا. وأوجه هذه الكلمات إلى أعلى سلطات المملكة، وعلى الأخص سمو وزير الخارجية الأمير سعود الفيصل الذي يرعى هذه الندوة، ويمثله اليوم معالي الدكتور نزار عبيد مدني، وإلى سمو الأمير تركي الفيصل الذي زار وارسو قبل أسبوع بعد ٧٠ سنة من زيارة والده الفاضل.

كما أعبر عن تقديرنا وشكرنا للدكتور يحيى محمود بن جنيد وعشرات من زملائه الكرام في المركز الذين عملوا على إنجاز هذه الندوة ونجاحها وإلى كل الحضور الكرام من السعوديين وأصحاب السعادة السفراء والدبلوماسيين المقيمين في الرياض بالإضافة إلى ممثلي الجالية البولندية.

وتؤكد حكومة بولندا بكل الوضوح أنها ترى في المملكة العربية السعودية شريكاً مهماً، وسوف تبذل جميع الجهود للاستفادة من فرص التعاون المتاحة في مختلف المجالات ذات الاهتمام المشترك، بما فيها التجارة والأعمال، التي فتحت زيارة البعثة التجارية السعودية الأخيرة إلى وارسو آفاقاً جديدة لها.

وأخيراً أوجه جزيل الشكر إلى الأوساط الواسعة المتزايدة من هؤلاء الناس في كلا البلدين الذين يشاركون ويتعاونون لمصلحة العلاقات بينهما، والذين يرون في انتعاش التعاون البولندي السعودي فرصة قيمة لرفع مستوى التعامل بين بولندا والدول العربية والإسلامية والصديقة إجمالاً.

ابن ملك الحجاز في بولندا

لقد قام بزيارتنا عدد من المسؤولين الرفيعي المستوى، ومن أماكن مختلفة، بما في ذلك أحد الملوك، وهو الملك أمان الله (السابق الآن). أما الآن فقد قدم إلى بولندا نائب ملك الحجاز ونجد وملحقاتها، الأمير فيصل، الذي يكون اسمه بالكامل، وكما جرت العادة في الشرق، طويلاً بعض الشيء إذ يسمى: بن عبدالعزيز آل فيصل آل سعود. إنه ابن ملك الحجاز الذي قيل عنه الكثير في الفترة التي أخرج فيها ملك الحجاز السابق حسين، والشيء المثير أيضاً هو أن حسيناً هذا، كان لديه ابن اسمه فيصل، الذي صار فيما بعد ملكاً للعراق، أي بلاد الرافدين. يجب عدم الخلط بين ضيفنا الحالي الأمير فيصل، نائب ملك الحجاز، وبين الأمير فيصل ملك العراق.

لقد قدم الأمير فيصل إلى وارسو مع حاشيته المكونة من نائب وزير الخارجية، وضابط معاون برتبة رائد وسكرتير، وهو الوحيد بين أفراد البعثة الذي يجيد اللغة الفرنسية؛ بالإضافة إلى مرزوق، وهو شخصية مثيرة للاهتمام إذ إنه خادم، ولكن الأمير يعامله بطريقة مميزة، ويبدو أن عائلة مرزوق قد تخصصت في خدمة العائلة المالكة، أو بالأصح آل فيصل.

يرتدي الضيوف الكرام زياً شرقياً بديعاً ورائعاً، كتلك الأزياء التي نراها على لوحات الرسامين. ويتكون هذا الزي من برنس يسمى «العباءة»، وهو على شكل معطف له فتحات، تمر من خلالها اليدان، أما الرأس فتزينه عمامة بيضاء تسمى الكوفية،



اهتمام كبير من رواد معرض الصور بالرياض بمقتنياته من الصور النادرة لزيارة الأمير فيصل بولندا

مثبتة بعيدان متشابكة تسمى العقال. الخيوط التي تزين أطراف العباءة والعقال مصنوعة من الذهب الخالص.

لقد وجد الأمير فيصل مفاجأتين لطيفتين في انتظاره في محطة القطار: قبل كل شيء، وبصفته ابن «رأس الإسلام» الحالي ابن سعود، فقد استقبلته الجالية البولندية المسلمة بالانحناء له على الطريقة الشرقية، وبالهتاف والترحيب به قائلين «السلام عليكم. الله أكبر». أما عندما خرج إلى الشارع استقبله حشد كبير يتكون من آلاف الناس بعاصفة من التصفيق.

ابتسم الأمير ابتسامة تحمل الفرح والسعادة؛ إنها ابتسامة مثيرة للاهتمام حقًا، تلك التي ظهرت على وجه ذلك العربي الطويل القامة والنحيل، ذي البشرة الحنطية والأنف المعقوف والعيون الثاقبة النظرات، والتي كان لها تأثير مغناطيسي على نساء وارسو، اللواتي تدافعن وسط الزحام ليشاهدن عن قرب «ابن الشيخ» الحقيقي هذا، الذي هو كأولئك الذين اعتدن على مشاهدتهم حتى الآن على شاشات السينما فقط.

في حدث مع الأمير فيصل ومرافقيه، تمكن أحد الذين يعملون في مجلتنا «شنايوتوفيد» أن يلتقط الكلمات التالية: «ليتنا نستطيع إعادة بناء دولتنا بالسرعة التي فعلتها بولندا... إنكم تمثلون قدوة... ومثالاً... ورمزًا للشجاعة وباعثًا عليها... حين أنظر إلى بولندا يملؤني الإيمان بأن الحجاز أيضًا، سيكون باستطاعته أن يقيم دعائم الدولة التي تم الحصول عليها في معارك لم تكن أسهل، أو أقل ضراوة من تلك التي خاضها الشعب البولندي البطل....».

أما الجيش البولندي فقد نال إعجاب الأمير بشكل خاص. عندما قام بزيارة إلى ثكنات الوحدة الأولى لفرسان المدفعية، وكان يراقب التدريبات بعين خبير متمرس حقيقي. واضح أن البولنديين فرسان بالفطرة - بهذه المجاملة اللطيفة توجه الأمير إلى الضباط المرافقين له.

ظهرت مشكلة كبيرة، فيما يتعلق بإعداد وجبات الغداء، والوجبات الأخرى للأمير ومرافقيه، إذ إنه ينتمي إلى الجماعة الوهابية، التي تنادي بالرجوع إلى أصول الإسلام الأكثر شدة وصرامة. الوهابيون لا يشربون الخمر، ولا يتناولون لحم الخنزير، كما إنهم لا يدخنون، إلا أنهم يحبون لحم الخراف، التي تعدّ بشكل

معرض الصور



الأمير فيصل يستعرض حرس الشرف البولندي

في إطار ندوة العلاقات السعودية البولندية قامت السفارة السعودية في وارسو بإعداد معرض لصور فوتوغرافية قديمة للأمير فيصل في أثناء زيارته وارسو في عام ١٩٣٢م، ولزيارة الوفد البولندي برئاسة الكونت إداورد رانتشينسكي للمملكة عام ١٩٣٠م ولقائه بجلالة الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - وهي صور عثرت عليها السفارة في أرشيف وثائق الحكومة البولندية في خلال بحثها عن مواد متعلقة بالعلاقات البولندية السعودية في تلك الحقبة الزمنية.

وقد قام العاملون في القسم الفوتوغرافي في أرشيف الوثائق المذكور أعلاه بإعداد نسخ (إلكترونية) من الصور الموجودة لديهم مع التعليقات الموضحة عليها. ثم قامت السفارة بطبع هذه الصور وتكبيرها كلها (وعددها ٢٤ صورة) إلى حجم ٥٠سم×٧٠سم، وتكبير اثنتين منها إلى حجم ٣ × ٤م وتكبير الصورة الملونة الوحيدة إلى حجم ٢م × ٣م. وبالطبع فقد تم إعداد هذه الصور جميعها على شكل لوحات. وقد عُرضت الصور الكبيرة الحجم في الصالة التي تمت فيها الندوة بحيث شكلت خلفية فنية خلف (طاولة المحاضرين). أما الصور الأصغر حجماً فقد عرضت جميعها في المعرض على منصات خاصة. كما اشتمل المعرض على ثلاثة مجلدات لمجلتين أسبوعيتين وجريدة يومية يعود تاريخها جميعاً إلى عام ١٩٣٢م وهي:

- مجلد العام ١٩٣٢م للمجلة الأسبوعية «تاشيروكيم شيفييتشيه» (في العالم الواسع) يحتوي على العدد ٢٣ الصادر بتاريخ يونيو/ حزيران١٩٣٢م، ويشتمل على صورتين وخبرين قصيرين عن زيارة الملك فيصل وارسو وفرنسا في إطار جولته التي كان يقوم بها في بعض الدول الأوروبية، والتي استغرقت عدة أشهر. وقامت السفارة بإعادة طباعة النص البولندي ليتسنى قراءته بسهولة، كما قامت بترجمته إلى اللغة العربية، وعرضه في المعرض، وهذا المجلد هو ملك السفارة، إذ قام سعادة السفير أسامة السنوسي بشرائه عندما حالفه الحظ في العثور عليه في إحدى المكتبات التي تبيع الكتب والصحف والخرائط القديمة في وارسو.

- مجلد العام ١٩٣٢م للمجلة الأسبوعية «شفياتوفيد» (الشخص العالمي) يحتوي على العدد ٢٣ الصادر بتاريخ يونيو/حزيران١٩٣٢م، ويشتمل على مقال طويل عن زيارة الأمير فيصل وارسو وعدة صور بالإضافة إلى صورة الغلاف لهذا العدد، وهي صور ملونة للأمير فيصل في أثناء زيارته الفرقة العسكرية الأولى للفرسان في وارسو. وقامت السفارة بإعادة طباعة النص البولندي ليتسنى قراءته بسهولة، كما قامت بترجمته إلى اللغة العربية، وعرضه في المعرض. وهذا المجلد قامت السفارة باستعارته من أرشيف الوثائق لعرضه في المعرض، إسهاماً منها في إبراز العلاقات السعودية البولندية.

- مجلد العام ١٩٣٢م للصحيفة اليومية «كوريير فارشافسكي» (مرسال وارسو) وفيه عدة إصدارات للفترة من ٢٤ إلى ٣١ مايو/أيار ١٩٣٢م تحتوي على بعض المقالات وأخبار قصيرة عن زيارة الأمير فيصل وارسو في تلك الفترة.

وقامت السفارة بإهداء كل ما عثرت عليه إلى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ويشمل ذلك الصور التي تم عرضها في المعرض، ونسخ من صفحات الصحف والمجلات القديمة، ونصوص ترجمة المقالات الواردة فيها. وقد أقيم معرض مماثل في الرياض.

أو بآخر، الأكلة الرئيسة لكل المسلمين.

وبما أن ضيوفنا متدينون جداً. فقد راقبوا باهتمام بالغ، مسيرة عيد «خميس الجسد» ثم تلاها مباشرة، حضورهم مباريات اللون - تنس على بطولة وارسو باهتمام وشغف كبيرين، وقد أسفوا لأنهم لم يتمكنوا من مشاهدة سباق الخيل، الذي يثير فيهم اهتماماً أكبر بكثير، لكونهم - وكما يدل التاريخ - متعلقين وموَلعين بالخيل أباً عن جد، ولكن يا للأسف. إنه لا يتم تنظيم مسابقات للخيل في عيد «خميس الجسد» وكذلك الحال يوم الجمعة، أما يوم الأربعاء فلم يكن هناك وقت كاف لهذا، ويوم السبت غادر الوفد بولندا. لقد كانوا مبهورين حقاً بكل ما رأوه هنا.

مجلة «شفايو توفيد» العدد ٢٣،

بتاريخ ٤ يونيو/حزيران ١٩٣٢م، صفحة ٩-١٠.

اللغة العربية والمسيرة التعليمية في الوطن العربي !!

خاشع بن شيخ إبراهيم حقي
القامشلي - سورية

كان من الأهداف التي وضعها رجال التعليم والحكم نصب أعينهم في بدايات الاستقلال تعميم اللغة العربية الفصحى والسعي إلى نشرها، وتوسيع آفاقها العلمية وميادينها التعليمية حتى تشمل جميع نواحي الحيا، الاجتماعية والأسرية والفردية، ولا سيما في التعليم ومؤسساته، ودوائر الدولة كافة.

بالتطواف في أرجاء الوطن العربي الكبير نرى ما الذي تم تحقيقه في دنيا العروبة والعالم العربي والإسلامي للحفاظ على هذه اللغة، والإبقاء على أصالتها ورونقها وجمالها ونشرها في الوطن وخارجه، إذ هي من أهم مقومات تكوين الأمة، كما يقول علماء الاجتماع.

الحق يقال: إن المجامع العلمية اللغوية في العالم العربي جادون في أبحاثهم، دائبون على عملهم في الميادين العلمية كافة، ترجمة، وتعريبًا للمستجدات العلمية والتقنية المتطورة، وقد غطوا هذه المستحدثات والمستجدات بإيجاد أسماء وتسميات غربية فصيحة لها، ولا سيما في الميدان الطبي.

أما في المجال التعليمي والتربوي - وهذا باب القصيد - أعني في المؤسسات العلمية من معاهد وجامعات ودور علم فلا يخالجني الشك أن التقصير فيه كبير، وكبير جداً، إذ لا تكاد تجد معلماً أو أستاذاً في مراحل التعليم الثلاثي (ابتدائي - إعدادي - ثانوي) حتى الجامعي، يجيد التكلم بالفصحى بطلاقة، أو يبتدئ محاضرته ويستمر فيها إلى نهايتها دون أن يخلطها بالعامية.

أقول هذا وقلبي يعتصر ألمًا إذ عانيت هذا الواقع المؤلم ربع قرن أو يزيد حين ممارستي لمهنتي في تدريس مادة التربية الإسلامية في المرحلتين الإعدادية والثانوية في سورية وخارجها.

وكم كنا ننبه إخوتنا المدرسين والمعلمين على ضرورة التزام الفصحى في دروسهم النظرية والعملية ولكن ما كنا نجد آذانا صاغية.

وكان خوفنا في هذا الجانب على الطلاب والتلاميذ، لأن إهمال الفصحى يرتد سلبًا على ناشئتنا وأجيالنا الحاضرة والقادمة.

ثم إن هذا التعمد أو التجاهل للفصحى أمر خطير ينبغي أن يكون التنبيه عليه مستمراً من الموجهين التربويين والمتخصصين في المواد الدراسية كافة، وفي مجالات حياتهم الفردية والأسرية والاجتماعية، حتى في أحاديثهم العرضية، ليكونوا مربين عمليين وقدوة للعاملين.

واقع أليم

واليوم وبعد مرور ثلاثين سنة لا ألمس إلا التدني سواء في المجالات العلمية ومؤسسات التعليم، أو دوائر الدولة

ومخاطبات رجالاتها وكتاباتهم وتقاريرهم، فضلاً عن وسائل الإعلام والصحافة التي تجاري السوقة وأبناء الشارع.

بينما يزداد الاهتمام بالعامية واللهجات الإقليمية والمحلية، ومن السواد الأعظم من الناس ومن الطبقات كافة..! وانتقلت عدواها من ثم إلى الدعايات على شاشات التلفزة. فبأي منطق نفعل هذا؟ وكيف نرضى للغتنا العربية الجميلة، لغة القرآن، والعبادة، والعلم والحضارة، أن تظل مهجورة لا يُنطق بها إلا على أعواد المنابر، ونتمسك باللهجات العامية والمحلية الدارجة على طول وطننا العربي الكبير، وأقطاره المختلفة، ولهجاتها المتباينة التي تعددت بتعدد الأقطار العربية، إذ لكل قطر عربي لهجته الخاصة به...! بل لكل مدينة أو محافظة لهجتها الخاصة المتميزة.



حقي ناصف

وما الذي كان يقوله أبو الأسود الدؤلي لو عاش واقعنا اليوم، ورأى هذا التكسير في لغته، والعجمة في لهجته؟

لقد تأثر من كلمة واحدة قالها بالفصحى، ولم يفهمها عليه صاحبه، إذ روي أن الدؤلي كان يمشي يوماً خلف جنازة، فسأله أحدهم: من المتوفي - بكسر الفاء - فقال: الله تعالى. فاستغرب الرجل ولم يفهم عليه، ومضى لشأنه، لأن العوام يقولون عن الميت «متوفي» - بكسر الفاء - وهذا غلط، والصواب: متوفَّى، بفتح الفاء.

وكان هذا أحد أسباب وضع قواعد اللغة العربية أو فيما سمي بـ «علم النحو»، بعد ذلك.

ولما كانت اللغة هي من أهم مقومات الأمة - أية أمة - وجب أن تكون في مكان الصدارة من اهتماماتنا، ولا يُتوانى فيها ألبتة، ولأنها لغة القرآن الكريم، قال تعالى: *إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون*. **يوسف:٢**.

وهي لغة العبادة، يُتعبد بها في الصلاة، ولغة العلم والحضارة على الرغم من أنف الحاقدين والمتربصين، والمتآمرين، من مبشرين ومستشرقين ومن دار في فلكهم أو سار في مخططاتهم، وبهذه الفصحى تفهم الأجيال تراث الأجداد، وتقرأ مؤلفاتهم، وتطلع على تاريخهم وحضارتهم منذ عهد الجاهلية قبل الإسلام وإلى اليوم.... وما بعد اليوم.

وبذلك تحفظ الصلة من الأبناء والآباء والأجداد، وتزداد الرابطة متانة ورسوخاً على مر الزمن.

وقد حفظ أجدادنا الفصحى من تسرب أي ضعف إليها، ووضعوا لها من الأسس والقواعد والضوابط ما يضمن استمرارها، ويكفل بقاءها وسلامتها، وخدموها، بل تفانوا في خدمتها لأنها لغة القرآن أولاً، وللصلة بين الأجيال ثانياً، والحفاظ على التراث ثالثاً.

ولولا تلك الجهود المضنية في تقعيد قواعدها لما استمرت الصلة بين الأجيال المتعاقبة، ولما فهم جيل لاحق عن جيل سابق، ولطرأ عليها التغيير والتبديل، لأن اللغة كأي كائن حي تموت منها كلمات وتتجدد فيها كلمات.

وهكذا تم الحفاظ عليها في الصدور والسطور، وعلى الألسنة نطقاً، وشعراً ونثراً، إلى اليوم إذ بإمكان أي قارئ عربي أن يستخرج أي كتاب من المكتبة العربية ويقرأه بسهولة ويفهمه تماماً وكأنه أُلف اليوم وإن كان من العهد الجاهلي الذي يفصل بيننا وبينه خمسة عشر قرناً. في حين أن غيرها من اللغات تلاشت واندثرت في تضاعيف المستجدات (كاللغة اللاتينية)، ومثلها اللغة الإنجليزية المعاصرة التي تطورت تطوراً كبيراً وواسعاً حتى لم يعد الإنجليزي اليوم يفهم عن شاعره الكبير شكسبير شيئاً إلا إذا ترجم شعره إلى لغة العصر، علماً أن المسافة الزمنية التي تفصل بين شكسبير والجيل الحاضر ليست بعيدة إذا ما قيست بالزمن الذي يفصل بين العربي اليوم وبين العهد الجاهلي.. فأين أربعة قرون من خمسة عشر قرناً...!؟



والسبب في ذلك تطور اللغة وعدم الحفاظ على الصلة بين القديم والحديث. وقد جرت محاولات كثيرة ولاتزال لاستبدال العامية بالفصحى، وجعل اللهجات الإقليمية

بديلاً عنها منذ ما يزيد على قرن، وظهرت الدعوة إليها من كُتّاب وأُدباء وشعراء، لهم وزنهم في العالم العربي، متأثرين بالدعوات التي أطلقها المستشرقون والمبشرون من أمثال: (سلامة موسى، وسعيد عقل، وأنيس فريحة، وعبدالعزيز فهمي) بدعوى أن الفصحى لا يفهمها العامل والفلاح والسوقي ورجل الشارع، وكسبوا إلى جانبهم وسائل إعلامية قوية وكثيرة على أعلى المستويات والأصعدة، وعُقدت ندوات وجرت مقابلات مع كبار دعاتهم لهذه الغاية.

سقوط الأقنعة

ولنستعرض أقوال بعض أولئك المبشرين والمستشرقين لنعلم الخلفية الاستعمارية وراء تلك الدعوة إلى العامية واللهجات المحلية والإقليمية، بعد أن سقطت الأقنعة عن وجوههم الكالحة، فظهرت أهدافهم جلية واضحة.

ـ هذا وليم ولككس المهندس المبشر الذي كان مقيماً بمصر، والذي قال عنه سلامة موسى: «والهم الكبير الذي يشغل بال (السير ولككس) بل يقلقه هو هذه اللغة التي نكتبها ولا نتكلمها، فهو يرغب في أن تُهجر ونعود إلى لغتنا العامية فنؤلف بها وندون بها علومنا وآدابنا».

ويتوجه هذا المبشر بالحديث إلى القائمين بالبعثات التبشيرية والاستشراقية، فيرى أن عشر سنوات في التعليم كافية لإبعاد الفصحى من حياة الناس، وستتخلص الطبقات المثقفة من السخرية العقلية التي دامت أربعة آلاف من السنين، كما تخلص الفلاحون من السخرة البدنية التي دامت ستة آلاف من السنين.

ويضيف قائلاً: فمنذ أربعمئة سنة تخلصت إنجلترا من اللغة اللاتينية الأكاديمية نهائياً، واستخدمت لغتها القومية، ونهضت الأمة كما ينهض رجل قوي بعد سبات.

ـ ويقول زويمر المستشرق والمبشر الإنجليزي: تبشير المسلمين يجب أن يكون بلسان رسول منهم ومن بين صفوفهم، لأن الشجرة ينبغي أن يقطعها أحد أبنائها.

ـ أما وليم جيفور دبلجراف فإنه يدعو صراحة إلى إبعاد القرآن عن حياة المسلمين والقضاء على مكة فيقول: «متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا عندئذ أن نرى العربي يتدرج في سلم الحضارة التي لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه».

ويضيف قائلاً: «والتقسيم السياسي الذي طرأ على الإسلام سيمهد السبيل لأعمال المدينة الأوربية، ولا يمضي غير وقت قصير حتى يكون الإسلام في حكم مدينة محاطة بالأسلاك الأوربية».

ترى ماذا أعددنا للغتنا العربية الجميلة، نحن أبناء اليوم، وقد دخلنا القرن الحادي والعشرين عصر الإنترنت، والحاسوب، والإنسان الآلي، والأقمار الصناعية، وقنوات التلفزة، عصر السرعة والانفتاح على العالم في نظام عالمي جديد؟

وقد استجاب لهذه الدعوة عدد غير قليل من الكتّاب والأدباء العرب من أمثال:

ـ محمد عياد الطنطاوي صاحب كتاب: «أحسن النخب في معرفة كلام العرب»

ـ حفني ناصف صاحب كتاب «مميزات لغات العرب».

ـ ميخائيل الصباغ صاحب كتاب «الرسالة التامة في كلام العامة» و«المنهاج في أصول الكلام الدارج».

ـ سلامة موسى أحد أبرز تلامذتهم حيث ذهب إلى أبعد من هذا حين صرح بقوله: الرابطة الشرقية سخافة، والرابطة الدينية وقاحة، والرابطة الحقيقية هي رابطتنا بأوربا.

ـ عبدالعزيز فهمي الذي اقترح على غرار أساتذته من الأوربيين استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية متعللاً بصعوبتها قائلاً: «وهذه المشقة تحملني على الاعتقاد بأن اللغة العربية من أسباب تأخر الشرقيين، لأن قواعدها عسيرة، ورسمها مضلل..!»

ترى ماذا يقول عبدالعزيز فهمي عن اللغة اليابانية التي يصل عدد حروفها إلى عشرة آلاف حرف، ولم يستطع اليابانيون على الرغم من تقدمهم العلمي والتقني اختراع آلة للغتهم حتى اليوم، وإن المسؤولين الكبار في الوزارة أو في السفارات في الدولة اليابانية إذا أراد أحدهم أن يكتب تقريرا كتبه بيده ثم سلمه إلى النسّاخ، وإن كل مراحل

التعليم، على ذلك، باللغة اليابانية. فإن اليابان على الرغم من كل ذلك تسابق وتنافس أرقى دول العالم، وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية. ثم ماذا يقول عبدالعزيز فهمي وأمثاله من الزاعمين صعوبة اللغة العربية الفصحى والداعية إلى تسهيلها أو هجرها واستبدال العامية أو اللهجة المحلية بها لتحل محل لغاتهم، للانسلاخ كليًا من تاريخنا وأمجادنا وأصالتنا وتراثنا؟!!

إن أحداً من اليابانيين - على حد علمنا - لم يقل إن حروفهم الكثيرة معقدة ومتشابكة وصعبة على الفهم والحفظ، وعسيرة في الكتابة، فهي لذلك لا تواكب الحضارة ويجب إبعادها واستبدال غيرها بها.

إن ما نراه اليوم من الإقبال الشديد على اللغات الأجنبية وتعلم مصطلحاتها واستخدامها في النداءات والمكالمات ولا سيما في المطارات والشركات الكبرى، وإهمال الفصحى دليل خطير وبرهان واضح على استهواء الإنسان العربي للغة الأجنبي، وتعشق قيمه وعاداته وكيفية معيشته وحتى لغته..!

وفي هذا ما فيه من الخطورة على الأجيال ومستقبل الأمة الذي ائتمنا عليه.

وأنا هنا لا أهون من شأن اللغات الأجنبية فإن تعلمها واجب وضرورة عصرية ودينية، «فمن تعلم لغة قوم أمن شرهم» لكنني أعتب على الداعية إلى التوهين من شأن الفصحى واستبدال العامية أو اللغات الأجنبية بها.

ثم ماذا يقول فهمي وأمثاله في اللغة الصينية أيضًا التي يبلغ عدد حروفها (٤٤٤٤) حرفًا، وأن الآلة الكاتبة الصينية تتكون من «٢٢٠٠» حرف فقط...!

وأن الصينيين، على الرغم من ذلك لا يدعون إلى تسهيل لغتهم كما يدعو هؤلاء بحجة أنها صعبة تعوق التقدم والتطور ومواكبة الحضارة.

ولكن لا غرو.. إذا علمنا أن الدعوة إلى العامية في العالم العربي بدأت على يد مبعوث بريطانيا وليم ولككس عام ١٩٨٣م في مصر.

وفي لبنان على يد المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون مستشار وزارة الخارجية الفرنسية لشؤون المستعمرات في الشرق، وأنه لا يزال إلى اليوم من يجتر هذه الدعوة الهدامة، ويحاول النفخ فيها بين حين وآخر، مستهدفين تمزيق الأمة وعزلها عن قرآنها الذي وحّدهم وجمع كلمتهم ذات مرة.

فضل القرآن الكريم

وليعلم الجيل الحاضر أن الرد على هؤلاء ينبغي أن يكون عملاً جديًا وجماعيًا يتمثل بزيادة الاهتمام بالفصحى، والتركيز في دراستها دراسة واعية ومستفيضة، واستعمالها في مجالات الحياة كافة، لتفوّت على المتآمرين من المبشرين والمستشرقين وأذنابهم في شرقنا هذا غرضهم القريب، وهدفهم البعيد.

ولتعلم أجيالنا أيضًا أن الفضل في الحفاظ على اللغة يعود إلى القرآن الكريم، فهو الذي صانها من التفكك والانقراض الذي أصاب غيرها من اللغات.

> من مبادئ وعي الأمة الإسلامية بذاتها أن تعي لغتها، وتحرص على رعايتها، إذ ما ذلت لغة قوم أو شعب إلا ذل

هذه اللغة التي هي أكثر لغات العالم ثراءً وجمالاً وعطاء وقدرة على استيعاب المصطلحات العلمية الجديدة تتعرض اليوم للانقراض والقضاء عليها بالسجن المؤبد أو الموت إن أمكن..! فماذا أنتم فاعلون تجاه هذا الخطر الداهم يا بناة الأجيال..! ويا سياج الوطن.. ويا حماة الديار وحراس القيم والعقيدة..!

لقد اتخذ الأوربيون عداوة هذه اللغة طريقة انتحلوها، ومذهبًا انتسبوا إليه، كما اتخذت محاولات الطعن على العربية أشكالاً ومظاهر شتى، فهي عندهم ميتة كاللاتينية، وهي عاجزة عن مواكبة الركب الحضاري، فقيرة من الناحية الإصلاحية، متحجرة التراكيب، عقيمة الكتابة مشوهة الحروف، يجب دفنها والتفكير في استبدال غيرها بها، واصطناع حروف غير حروفها، ومن هنا كانت الدعوات المتتالية لإثارة اللهجات المحلية وتشجيع العاميات، وفسح المجال أمام اللغات الاستعمارية من فرنسية وإنجليزية وروسية وإسبانية قصد التضييق على اللغة العربية وإحلالها محلها.

إن هذا التصور المشحون بالعداء للغة العربية يحمل

دون شك خلفية استعمارية ظهرت معالمها بوضوح في الدعوة إلى العامية التي كانوا يطمحون أن يترجم بها القرآن الكريم. كما حدث للإنجيل في مصر، وهو صادر عن قوم معروفين بالعداء للإسلام الذي يتمثل باللغة العربية، ومعظمهم في الوطن العربي، وتقلدوا مناصب سياسية مرموقة ودينية عالية، فالدكتور ولهم سبيتا الألماني كان مديراً لدار الكتب المصرية، وكارل موكرس الألماني أيضاً كان مديراً لدار الكتب وأحد كتّاب «دائرة المعارف الإسلامية». وسلدن ولمور، وياول: الإنجليزيان كانا قاضيين بالمحاكم الأهلية بالقاهرة، ووليم ولككس الإنجليزي كان مهندساً للري بالقاهرة.

وقد جردوا لهذه الحروب السياسية التي اتخذت الدعوة إلى العامية سلاحاً يراد به تفتيت قوة كانت مجتمعة، أو تفتيت قوة هي في طريقها إلى التجمع.

يقول محمود شاكر، صاحب كتاب «أباطيل وأسمار» في مؤلفه هذا: «وكل الذين يغفلون عن هذه المعارك، ويعدونها معارك أدبية أي معارك ألفاظ كالدكتور مندور وأشباهه إنما يخاطرون بمستقبل أمة قد ائتمنوا عليها».

إن هذا الاهتمام لم يكن من أجل البحث العلمي كما يزعمون، ولا من أجل حاجتهم إلى معرفة لهجات البلاد العربية التي تقتضي مصالحهم أن يعيشوا فيها ويتعاملوا مع أهلها، وإنما من أجل القضاء على الفصحى.

أنانية

كما أن فعل هؤلاء لم يكن انسياحاً حضارياً، ولا رغبة في توسيع رقعة الحضارة، وتعميم إشعاعها، ولكن كان يتسم بطابع الأنانية القارية التي تضع القارات الخمس، بكل ما تحفل به من طاقة بشرية في خدمة الإنسان الأوربي، والقارة الأوربية.

وأنانية الفكر الأوربي هذه تجرد الفكر الحضاري من مقولته النظرية التي تستهدف إقامة حضارة واحدة ووحيدة في العالم، إذ يلغي من حسابه خصوصيات الشعوب، وطبيعة الأرض، والانتماء العرقي والحضاري في الوقت ذاته.

وهي بذلك تشد آفاق الحوار الحضاري والتكامل الثقافي بين الأمم الذي من أهم وسائله اللغات التي تمثل الخصوصيات الحضارية للأمم، والتي تتنازع القومية، ويعد فرضها احتلالاً عقلياً في الشعوب التي ضعفت عصبيتها، وهذا الصنيع يتناقض تناقضاً صارخاً مع ما أقروه في بلدانهم. فقد ظل الأوربيون يحاربون اللهجات والعاميات في أوطانهم ويدعون إلى الوحدة اللغوية في البلاد.


أنيس فريحة

يقول الراهب غريفوار إن مبدأ المساواة الذي أقرته الثورة يقضي بفتح أبواب التوظف أمام جميع المواطنين، ولكن تسليم زمام الإدارة إلى أشخاص لا يحسنون اللغة القومية يؤدي إلى محاذير كبرى..!

فيترتب على الثورة والحالة هذه أن تعالج المشكلة معالجة جدية، وذلك بمحاربة اللهجات المحلية، وتنشر اللغة الفرنسية الفصيحة بين جميع المواطنين.

كما جاء في بيان من مجلس الثورة الفرنسية: أيها المواطنون، ليدفع كلاً منكم تسابقٌ مقدس للقضاء على اللهجات في جميع أقطار فرنسا، لأن تلك اللهجات رواسب الإقطاع والاستعباد وبقاياهما..!

وهم يدركون تمام الإدراك أنها لا تعني قومياً وسياسياً غير تفكيك وحدة الأمة وتمزيق شعوبها والإكثار من كياناتها المتجزئة.

ولا تعني إسلامياً غير خلق جيل بلا قرآن، وإن من مبادئ وعي الأمة الإسلامية بذاتها أن تعي لغتها، وتحرص على رعايتها، إذ ما ذلت لغة قوم أو شعب إلا ذل، ولا انحطت إلا كان أمره في ذهاب وإدبار.

ولهذا كان الأوربي يفرض لغته فرضاً على الأمة المستعمرة، ويشعرهم عظمته فيها ويستلحقهم من ناحيتها، فيحكم عليهم أحكاماً ثلاثة:

- حبس لغتهم في لغته سجناً مؤبداً.
- الحكم على ماضيهم بالقتل.
- تقييد مستقبلهم في الأغلال التي يضعها، فأمرهم من بعدها لأمره تبع.

هذا نزر يسير مما اطلعتك عليه، مما يدبره أعداء هذه الأمة وأعداء لغتها من الأوربيين، ولا يزالون يحيكون المؤامرات ويحبذون الطاقات للظفر بما يريدون، وتحقيق ما يستهدفون للقضاء على الإسلام ذاته وإخراج أهله منه، وهو الهدف الأبعد الذي لا يصرحون به، لكنه أحياناً يظهر في فلتات أقلامهم وأقوالهم كما جاء في قول وليم جيفورد بلجراف السابق، حين دعا إلى إبعاد القرآن من حياة المسلمين، والقضاء على مكة...!

وما أصدق القرآن حين قال: .. *ولا يزالونَ يُقَاتِلُونكم حتى يَرُدُّوكم عن دينكم إن استطاعوا*. **البقرة**:٢١٧. ولكن خاب فألهم، وطاش سهمهم، فإن الفصحى باقية، وسوف تبقى خالدة، محافظة على أصالتها وجمالها ورونقها، وعذوبة ألفاظها إلى ما شاء الله لها أن تبقى.. إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. لأنها لغة القرآن الكريم، جعلها الله تعالى لغة كتابه، واختارها من بين اللغات أجمع، فانتقى رب العزة اللغة العربية الفصحى للقرآن العظيم، واصطفى لرسالته محمداً نبيه الأمين والقرآن محفوظ بحفظ الله، قال تعالى: *إنا نحن نَزَّلْنَا الذكرَ وإنّا له لَحَافِظُون*. **الحجر**:٩.

وعليه فإن اللغة العربية كذلك هي محفوظة بحفظ القرآن. هذه حقيقة قرآنية، وحقيقة تاريخية، وواقع نعيشه ، وإن كان الناطقون بها أقل ممن ينطقون بالعامية.

فهي خالدة وإن تنكر لها المتنكرون أو تجاهلها المكابرون، فلتع الأجيال هذه الحقيقة وليفهم المتآمرون أنهم إنما يرقمون على الماء..!

التصور المشحون بالعداء للغة العربية يحمل دون شك خلفية استعمارية ظهرت معالمها بوضوح في الدعوة إلى العامية التي كانوا يطمحون أن يترجم بها القرآن الكريم



محمود محمد شاكر

ثم إن القرآن أساس كيان هذه الأمة، ومصدر عزتها، وعنوان كرامتها، ومبعث مجدها، ومحقق سؤددها، (نحن قوم قد أعزنا الله بالإسلام) قالها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه العربي الأصيل العريق في أصالته، ثم كانت كلمة باقية على مر العصور والدهور.. وإلى اليوم.

أنى لهذه الأمة أن تتخلى عن دينها.. وكتاب ربها، وقد قال تعالى: *وإنّه لَذِكرٌ لَكَ ولقومكَ وسوف تُسألون*. **الزخرف**:٤٤.. وإلا فقل بربك ما الذي يحفظ على الأجيال تاريخ أجدادهم الطويل الحافل بالأمجاد.. وما الذي يضمن فهمهم لتراثهم وفخرهم بمجدهم التليد وصلتهم بماضيهم المشرق الوضاء..!؟

ورحم الله شاعرنا الذي لخص ماضي هذه الأمة وأمجادها وبطولاتها في وطنها الكبير في أبيات عبر فيها عن لسان حال الشباب المتقد حماسة وشموخاً فكان مما جاء فيها:

لنا العراق والشآم
ومصر والبيت الحرام
نمشي على الموت الزؤام
نحن الشباب إلى الأمام إلى الأمام
نبني ولا نتكلْ
نفنى ولا نتخذل
لنا يدٌ والعمل
لنا غدٌ والأمل

وقال آخر:

نفوس أباة وماض مجيد
وروحُ الأضاحي رقيبٌ عتيد
فمنا الوليدُ ومنا الرشيد
فلمْ لا نسودُ ولم لا نشيد..؟

وما أكثر ما تغنى به شعراء هذه الأمة مشيدين بعزم الشباب وعنفوانه وإقدامه، فأين حصيلة تلك الأمجاد والآمال العراض التي بنوها وتأملوا أن تكون الأجيال القادمة على مستوى المسؤولية لتحقيق تلك الطموحات والآمال..!؟

أعود لأقول: كان من مزاعم دعاة العامية واللهجات المحلية والإقليمية: أن العامل والفلاح والسوقي لا يفهمون الفصحى، وأن هذه اللغة لم تعد وافية بحاجات الناس ومتطلبات العصر الحديث، بل هي عاجزة عن مواكبة الركب الحضاري الناجم عن التطور السريع..!

نقول لهم: على رسلكم يا دعاة العامية لندعو لكم من سويداء قلوبنا (أن يكسركم الله ويكسر أمسالكم؟ بالسين لا بالثاء حيث تقتضيه الفصحى، وبذلك يكون الدعاء عليهم لا لهم، ترى هل يرضيكم هذا الدعاء باللهجة العامية التي تدعون إليها..!؟

ثم إن اتهامكم اللغة العربية بالقصور وعدم قدرتها على الوفاء بمتطلبات العصر، وعجزها عن مواكبة التطور العلمي والحضاري، اتهام باطل لا يستند إلى واقع أو منطق..!

أسباب القوة

يمكن أن يوجه هذا الاتهام إلى أي لغة أخرى حاشا اللغة العربية لعدد من الأسباب أجملها فيما يأتي:

ـ إن اللغة العربية اليوم هي اللغة العربية بالأمس، وما قبل الأمس، بل ما قبل آلاف من السنين لغة جميلة رقيقة حلوة، عذبة الوقع على الأسماع كما قال الشاعر:

لغة إذا وقعت على أسماعنا
كانت لنا برداً على الأكباد
ستظل رابطة تؤلف بيننا
فهي الرجاء لناطق بالضاد

تعشقها الأذن وتستمتع بها حروفاً وكلمات، نظماً ونثراً، لوقعها الموسيقي العذب لغة بليغة تؤدي إلى معان كثيرة بألفاظ قليلة وعبارات موجزة مفهومة، حتى شهد لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ أفصح من نطق بالضاد فقال: «إن من البيان لَسِحْراً وإنّ من الشعر لحكمة».

ـ عاصرت هذه اللغة الجاهلية والإسلام، وكانت قادرة على الوفاء بمتطلبات العصرين على الرغم مما بينهما من مسافات زمنية، وعلى الرغم مما بين العصرين من تعاون في جميع جوانب الحياة العملية، سواء منها ما يتعلق بالإنسان أو بالحياة أو بالكون، وما أحدثهُ الإسلام من تغير في هذه الثلاثة أي: (الإنسان، والحياة، والكون) من حيث نظرته إليها، وما عجزت في العصر الإسلامي الذي تطور تطوراً عظيماً وكبيراً عن العصر الجاهلي في كل شيء، ولا سيما في العقيدة والعبادة والنظام الاجتماعي والأخلاقي والسياسي والاقتصادي. بكلمة مختصرة: قلب الجاهلية رأساً على عقب، وأدت اللغة دورها في كل ذلك أتم ما يكون وأحسن ما يراد.

كيف نرضى للغتنا العربية الجميلة، لغة القرآن، والعبادة، والعلم والحضارة، أن تظل مهجورة لا يُنطق بها إلا على أعواد المنابر

ـ هذا الكم الهائل من التراث الذي خلفه أجدادنا العظام، من شعر ونثر، وخطب ومقالات في مناسبات شتى، وأحكام فقهية وتشريعية، وتاريخ وأدب وجغرافيا.. إلخ. كيف تم ذلك كله لولا قدرة اللغة على الوفاء بحاجاتهم، والاستجابة لمتطلباتهم العلمية تلك؟

لقد كان الواحد منهم إذا أراد أن يشعر (يقول شعراً) كان يقول: إن الكلمات لتزدحم في ذاكرتي حتى لأحار في أيّها آخذ، وذلك لغزارة الألفاظ المترادفة التي تؤدي معنى واحداً في هذه اللغة دون غيرها، ورحم الله شاعر النيل حافظ إبراهيم الذي رد على هؤلاء الأدعياء أول نشأتهم على لسان اللغة العربية المظلومة حين قال:

وسعتُ كتابَ الله لفظاً وغاية
وما ضِقتُ عن آيٍ به وعظات
فكيف أضيق اليومَ عن وصف آلةٍ
وتنسيق أسماءٍ لمخترعات
أنا البحرُ في أحشائه الدر كامن
فهل سألوا الغوّاص عن صدفاتي

ـ اللغة التي استوعبت منهج الله لعباده في كتابه الكريم وقرآنه العظيم بألفاظه ومعانيه، وأدت المطلوب منها في بلاغة واضحة وبيان تام وإعجاز نادر، سواء في الإنجاز والاختصار، أو في الإسهاب والإطناب، حسبما يقتضيه الموضوع.

ونحن نعلم أن القرآن الكريم طرق في بيانه المعجز موضوعات شتى: عقيدة، وعبادة، ومعاملات، وتشريع، وتاريخ، وبيئة، إنسانية ونفسية أي (الكلام الذي يجري في نفس الإنسان أو يقوله في نفسه دون أن تسمعه أذناه) كما قال تعالى: *يقولون في أنفسهم...*. **المجادلة**:٨. وذكر القرآن فضلاً عما تقدم مخلوقات مادية مرئية محسوسة كالأرض وما عليها من جبال وأنهار وبحار، وإنسان، وحيوان، وجماد، وأخرى غيبية غير مرئية (ميتافيزيك) أي تجاوز عالم الإنسان والعالم المرئي المحسوس، وعبر إلى ما هو غير محسوس أو لا يقع تحت الحس، فتحدث عن عالم الجن، وعالم الملائكة، وإلى أبعد من هذه العوالم، مما يتعلق بعالم ما بعد الموت الذي يسميه القرآن حينا (عالم البرزخ) وحينًا (عالم الآخرة) وفرّق بين العالمين بألفاظ دقيقة، لأنهما عالمان مختلفان كاختلاف الجنين في بطن أمه عن عالم الإنسان في هذه الحياة الدنيا، ووصف كل ذلك وصفًا دقيقًا لم يُسبق إليه، وما كان للغة العربية أن تبلغها لولا الوحي الذي أنزله الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، (وهذا تشريف للغة العربية وأي تشريف..!)


سلامة موسى

هذه اللغة العظيمة التي وسعَتْ كتاب الله لفظًا وغاية ووسعت تلك العوالم العجيبة بما فيها عالم الغيب والشهادة في ألفاظ دقيقة معبرة، وبلاغة واضحة، وإعجاز نادر. كيف استوعبت ألفاظها وقوالبها تلك المناظر الغريبة العجيبة (في الجنة أو في النار) لا غرو.. إذا علمنا أنه كلام الله عز وجل الخالق العظيم الذي: *... وعلَّم آدمَ الأسماء كلَّها*. **البقرة**:٣١. فصب تلك المعاني والمرائي في قوالب لفظية بديعة رائعة حلوة عذبة رقراقة كالماء السلسبيل حتى لتكاد تعيشها وأنت في عالم الشهادة.

لقد كانت هذه اللغة يومًا هي اللغة العالمية، وكانت المؤلفات لا تكاد تنشر إلا بها، كانت لغة دولية (بمصطلح اليوم) والأولى في العالم أجمع.

فما الذي حصل حتى صارت لغة مهجورة، متخلفة، سبقتها لغات لم يكن لها وجود..!؟

علينا أن نراجع حساباتنا مع أنفسنا ونوازن بين ماضينا الناصع، وحاضرنا المؤلم، ومستقبلنا الغامض الأدكن.. لعلنا نتدارك تفريطنا فنؤدي بعض حقوق هذه اللغة علينا فنكون من أبنائها البررة.

ترى ماذا أعددنا للغتنا العربية الجميلة، نحن أبناء اليوم، وقد دخلنا القرن الحادي والعشرين عصر الإنترنت، والحاسوب، والإنسان الآلي، والأقمار الصناعية، وقنوات التلفزة، عصر السرعة والانفتاح على العالم في نظام عالمي جديد؟

وماذا فعلنا لإدخال الفصحى في هذه البرامج الالكترونية، والأقراص المجمعة لأنواع العلوم ومختلف اللغات والفنون؟

وهل أخذت العربية الفصحى حقها وافيًا من تلك البرامج، وتبوأت مقعدها المناسب ومكانتها الجديرة بها بين لغات العالم...؟

وهل استوفت نصيبها من هذه الأقراص التي يضم كل قرص منها مكتبة كاملة وموسوعة علمية؟

لنا وطيد الأمل في القائمين على المؤسسات العلمية، والمجامع اللغوية، ومن لهم الصدارة وبيدهم القيادة والتوجيه أن يفكروا في هذا الأمر بجدية أكثر، ويعملوا بإخلاص وصدق، فإن ناقوس الخطر يدق، والفصحى تستغيث، وترنو ببصرها إليكم يا حماة الديار وحراس الوطن، ويا أيها الأمناء على مستقبل الأمة ولغتها.. فإن أديتم واجبكم نحو أمتكم ولغتها فبها ونعمت وأنتم الأوفياء حقًا، وإلا فإن اللغة العربية ترفع شكواها ومعاناتها إلى الله تعالى العلي القدير قائلة بلسان حالها: *إنما أشكو بثي وحزني إلى الله*. **يوسف**:٨٦. وهو سبحانه وتعالى خير الفاصلين.

طروب.. محظية أمير الأندلس عبدالرحمن الأوسط

خالد بن عبدالكريم البكر
الرياض - السعودية

ظاهرة الجواري في بلاط الأسر الحاكمة، من الظواهر التي عرفها التاريخ الإسلامي، فقد ملئت قصور الخلفاء والأمراء والولاة والقادة بعدد وافر من الجواري، وتباينت أعمالهن في القصور تبعاً لاختلاف الغاية من وراء جلبهن، فمنهن الخادمة، ومنهن المؤدبة، ومنهن من اتخذن للتسلية وتزجية الوقت كالمغنيات والشطرنجيات، وأكثرهن حظوة اللواتي اتخذن لطلب اللذة والاستمتاع، فصار قسم منهن أمهات أولاد.

ومعلوم أن أحكام الشرع الإسلامي تحظر بيع الجارية أو إهداءها متى صارت أم ولد، وهذا الوضع القانوني لأمهات الأولاد أتاح لهن ممارسة دور أكبر في بلاط الخلفاء، حتى صار لبعضهن سطوة ونفوذ، وأمر ونهي في تقرير مصاير الدول.

ولقد غصت قصور الأمراء الأمويين في الأندلس بعدد كبير من الإماء والجواري، خصوصاً أن الأندلس كانت من أكبر أسواق الرقيق الأبيض في العالم الإسلامي، مما أتاح لأمرائها أن يضعوا أيديهم على عدد غير قليل من الجواري الفائقات في حسنهن وجمالهن وبراعة أدبهن، وسعة حيلتهن في الاستحواذ على قلوب أسيادهن من الأمراء، فحظين بمنزلة رفيعة، وصرن أمهات أولاد. ويكفي للتدليل على صحة هذا الزعم أن ننبه هنا على أن جميع أمهات الأمراء الأمويين في الأندلس هن من الجواري أمهات الأولاد(١).

أيام العروس

وتعد فترة حكم الأمير عبدالرحمن (الأوسط) ابن الحكم والممتدة من سنة (٢٠٦ هـ إلى سنة ٢٣٨هـ) من أزهى فترات عصر الإمارة الأموية في

الأندلس، وكانت في معظمها أيام هدوء وسكون، بل نعتها المؤرخون بـ «أيام العروس»(٢)، وذلك لما تميزت به من استقرار سياسي وازدهار اقتصادي، انعكست مظاهره على أعمال التشييد والعمران، كبناء المساجد والمدن والمتنزهات والحصون والأسوار، وانعكست مظاهره أيضاً على تنشيط الحركة التجارية مع أقاليم المشرق الإسلامي، حتى هرع التجار صوب الأندلس من كل مكان، حاملين معهم صنوفاً متنوعة من تجارة الكماليات في المشرق الإسلامي(٣)، مما يشي بمستوى الترف الذي أصابته الأندلس في ذلك العهد. وبالطبع لم ينس عبدالرحمن نصيبه من الدنيا، فأقبل يستمتع بها في حدود المباح، واقتنى في قصره عدداً من الجواري، إذ كان مولعاً بالنساء(٤)، وقد أشارت المصادر إلى أسماء الشهيرات منهن، كطروب وفجر والشفاء والمؤامرة وفضل وعلم وقلم، وضربت صفحاً عن ذكر أسماء الأخريات. ولكن من المرجح أن عدد الجواري في قصر عبدالرحمن يحسب بالمئات، لأن مغنيه زرياب كان يمشي وحده في مئة مملوك، فكيف بالأمير! ثم إن عبدالرحمن أنجب من الأولاد سبعة وثمانين، ما بين ذكور وإناث(٥)، ومن المؤكد أن قسماً من أمهات أولاده هن من جواريه، إن لم يكن جميعهن كذلك.

طروب الفائزة

ومهما كان عدد الجواري كثيراً في قصر الأمير عبدالرحمن، فإن واحدة منهن فقط هي من فازت بقلب الأمير، واستحوذت على اهتمامه الوجداني والعاطفي دون غيرها. و تلكم هي جاريته طروب(٦).

لا نعرف على وجه الدقة إلى أي من الأصول العرقية تنحدر طروب. غير أنه من المحتمل أنها سبي البشكنس أو جليقية، فهذان الإقليمان الواقعان إلى الشمال من الأندلس، هما أكبر ممون للرقيق في الأندلس، إما بواسطة التجار وإما عن طريق الحملات العسكرية المتبادلة بين المسلمين وجيرانهم من نصارى الشمال. ولعلها وصلت إلى قصر الأمارة بواحد من هذين الطريقين، فتعلق بها الأمير عبدالرحمن لما رآه من براعة جمالها وفرط حسنها، فكانت لها دالة عليه بسبب من ذلك، فهي لم تكن من ذاك النوع من الجواري المحسنات للغناء، أو غيره من ألعاب التسلية، وإنما هي من جواري اللذة والاستمتاع، فاتخذها سرية، وأنجب منها ابنه عبدالله، فزاد ذلك من حظوتها عنده، وعلت مكانتها لديه عما كانت من قبل، حتى إنها لتجرؤ على مغاضبته وهجرانه، وقد فعلت ذلك ذات يوم، فأغلقت على نفسها الباب، واجتهد الأمير عبدالرحمن في استرضائها ولكن دون جدوى. فأمر عندئذ بوضع أكياس مملوءة من الدراهم قدر ارتفاع الباب، إمعاناً منه في استعطاف وصلها، فلما فتحت الباب تساقطت عليها أكياس الدراهم من كل جانب، فأخذتها ووجدت فيها قرابة عشرين ألف درهم(٧).

> لئن أخذ منا العجب مأخذه في هوان الأموال على الأمير عبدالرحمن في هوى جاريته طروب، إن قعوده ـ أحياناً ـ عن أداء واجباته أشد وأنكى

إنها لحظة عاطفية مشبوبة، استسلم فيها الأمير عبدالرحمن لضعفه البشري، فاستوحى هذا التصرف من قلبه لا من عقله، وإلا لما بدد أموال الدولة للذائذه الشخصية. وعلى أية حال فإن ذلك الصنيع لا يعد في جملة مناقبه.

ولقد أنكر عليه بعض وزرائه حينما أمر لجاريته طروب بعقد قيمته عشرة آلاف دينار! فما كان جوابه إلا أن قال: «إن لابسه أنفس منه خطراً، وأرفع قدراً، ولئن راق من هذه الحصباء منظرها، ورصف في النفس جوهرها، لقد برأ الله من خلقه جوهراً يغشى الأبصار، ويذهب بالألباب. وهل على وجه الأرض من زبرجدها وشريف جوهرها أقر لعين، وأجمع لزين من وجه أكمل الله فيه الحسن

ونظرته، وألقى عليه الجمال وبهجته؟»(٨).

فأنت هنا ترى الأمير عبدالرحمن يسرف في أعطياته وهباته لجاريته طروب دون تحفظ أو حساب، فإذا لامه خاصته، راح يشرح لهم بلغة العاشقين والمعشوقين، أن قيمة محبوبه أنفس وأغلى من قيمة العقد! ثم لا يكتفي بذلك؛ بل يأمر شاعره عبدالله بن الشمر أن يقول شعراً في هذه المناسبة، فينشده قوله:(٩)

أتقرن حصباء اليواقيت والشذر
إلى من تعالى عن سنا الشمس والبدر
إلى من برت قدما يد الله خلقه
ولم يك شيئاً غيره أحد يبري
فأكرم به من صيغة الله جوهراً
تضاءل عنه جوهر البر والبحر
له خلق الرحمن ما في سمائه
وما فوق أرضيه ومكّن في الأمر

فيهتز الأمير طرباً للأبيات، ويستجمع خاطره ليزيد عليها فيقول:(١٠)

قريضك يابن الشمر عفى على الشعر
وأشرق بالإيضاح في الوهم والفكر
إذا جال في سمع يؤدي بسحره
إلى القلب إبداعاً يجلّ عن السحر
وهل برأ الرحمن في كل مابرا
أقر لعين من منعمة بكر
ترى الورد فوق الياسمين بخدها
كما فوف الروض المنور بالزهر
فلو أنني ملكت قلبي وناظري
نظمتهما منها على الجيد والنحر

فإذا فرغ من ذلك أمر أيضاً لشاعره بخمسمئة دينار(١١)!

أشد وأنكى

ولئن أخذ منا العجب مأخذه في هوان الأموال على الأمير عبدالرحمن في هوى جاريته طروب، إن قعوده - أحياناً - عن أداء واجباته السياسية والعسكرية، وانصرافه عوضاً عن ذلك لملاقاة

جانب من قصر الزهراء الذي سمي باسم إحدى الجواري

طروب؛ أشد وأنكى، فمن ذلك مثلاً ما رواه المؤرخون من أن الأمير عبدالرحمن بن الحكم، خرج لغزو جليقية سنة (٢٣٥هـ)(١٢) فلم يكد الجيش يبلغ وادي الحجارة حتى تحركت لواعج الشوق في نفس الأمير، فاستخلف على الجيش ابنه الحكم، وقفل عائداً إلى قرطبة على وقع أبيات

شاعره ابن الشمر، الذي قال على لسان الأمير، متشوقًا إلى طروب:(١٣).

فقدت الهوى مذ فقدت الحبيبا
فما أقطع الليل إلا نحيبا
ولما بدت لي شمس النها
ر طالعة ذكّرتني طروبا
فيا طول شوقي إلى وجهها
ويا كبدًا أورثتها ندوبا
ويا أحسن الخلق في مقلتي
وأوفرهم في فؤادي نصيبا
لئن حال دونك بعد المزا
ر من بعد أن كنت مني قريبا
لقد أورث الشوق جسمي الضنا
وأضرم في القلب مني لهيبا
عداني عنك مزار العدا
وقودي إليهم لهامًا لهيبا
كأين تخطيت من سبسب
وجاوزت بعد دروب دروبا
ألاقي بوجهي حر الهجي
ر إذ كان منه الحصى أن يذوبا

ربما كانت طروب تبادل سيدها حبًا بحب وغرامًا بغرام، لكنها مع ذلك لم تغفل عن التمكين لولدها عبدالله بن الأمير عبدالرحمن، لنيل منصب إمارة الأندلس بعد والده، مستفيدة من منزلتها العالية في قصر الإمارة، إضافة إلى غموض مسألة ولاية العهد في الأندلس خلال عصر الإمارة الأموية، وعدم استنادها إلى معايير محددة، وأحسب ألا تثريب عليها في تفكيرها وتدبيرها، فهي لم تكن بدعا من نساء القصور اللواتي شعرن بمثل هذا الشعور تجاه أولادهن، واستبدت بهن عاطفة الأمومة، حتى وإن كان أبناؤهن لا يصلحون لحراسة الدين وسياسة الدنيا.

ومن هنا انطلقت طروب تعمل أولاً على استمالة نساء القصر، واصطناع كبار موظفي البلاد، وعلى رأسهم نصر الخصي الصقلبي فوفقت في مسعاها، ونجحت في تكوين جبهة مؤيدة داخل قصر الإمارة لابنها عبدالله(١٤)، وكان من أشدهم في ذلك نصر الخصي، حاجب الأمير عبدالرحمن، المقدم على جميع خاصته، المدبر لأمر داره، المشارك لأكابر وزرائه في تصريف ملكه(١٥)، والذي بلغ حدًا لا مزيد عليه في تأييد عبدالله بن الأمير عبدالرحمن، وترشيحه لنيل الإمارة بعد والده، وجرّه ذلك إلى استفساد قلب الأمير محمد ـ وهو الابن الأكبر لأمير الأندلس عبدالرحمن الأوسط ـ فكان نصر مبغضًا لمحمد، مناوئًا له(١٦)، وهذه المجافاة والمباعدة ليستا بالغريبة فيما لو كانتا بين طروب ومحمد بن الأمير عبدالرحمن، لكنهما تبدوان أمرًا غير مقبول عندما يكون نصر الخصي طرفًا فيهما، فما الذي حمله على الخوض في لجة النزاع على منصب الإمارة بين أفراد البيت الحاكم، ومن ثم مجاهرة الابن الأكبر لسيده بالعداوة والبغضاء، إلى غير ذلك من التصرفات غير المسوغة من قبل نصر الخصي. إلا أن يكون الرجل ـ أعني نصرًا ـ كان يمهد مستقبله الشخصي، فلعل نفسه تاقت إلى ممارسة السلطة بصورة فعلية، فاستحسن فكرة المجيء بشخص ضعيف، يفتقر إلى المؤهلات المطلوبة في شؤون الإدارة والحكم، ليكون أميرًا على البلاد من الناحية الاسمية فقط، وما عداها يقع تحت تصرف نصر الخصي. وهكذا مضى نصر بعزم ومضاء يدعم فكرة طروب في ترشيح ابنها عبدالله، حتى إذا آنس من سيده الأمير عبدالرحمن الأوسط ـ أواخر حياته ـ ميلاً نحو ابنه الأكبر محمد؛ أشفق نصر على نفسه من مغبة هذا التحول المفاجئ، ففكر في التخلص من أمير البلاد عبدالرحمن الأوسط، وأعمل وجوه الحيلة في تدبير اغتياله، فاتفق مع طبيب مشرقي وافد إلى الأندلس، يعرف بـ «الحرّاني» على تحضير شراب مسموم مقابل ألف دينار. فتم له ذلك على النحو الذي أراد، وحمله نصر معه ليدسه بين الأدوية التي كان يستعملها الأمير في أثناء مرضه، لكن

> أمر عبدالرحمن الأوسط بوضع أكياس مملوءة من الدراهم قدر ارتفاع الباب، إمعانًا منه في استعطاف وصلها، فلما فتحت الباب تساقطت عليها أكياس الدراهم

وخز الضمير ألح على الطبيب الحراني بضرورة إفشاء الخبر قبل أن تقع الواقعة. فاتصل خفية بمحظية أخرى للأمير عبدالرحمن، وتدعى (فجر) - وكانت ضرة لطروب - فكشف لها تفاصيل المؤامرة، فطارت بالخبر إلى سيدها، والذي رغب في معالجة الموقف بأسلوبه الخاص، فلم غير ولم يبدل شيئًا من عاداته اليومية، حتى لا يشعر المتآمرون بأنه اطلع على مخططاتهم؛ وإنما التزم الهدوء والثبات، فما إن دخل عليه نصر بالدواء المعتاد، حتى اعتذر الأمير عن شربه، بحجة أنه لم يعد يستسيغ الأدوية، ثم طلب الأمير من نصر أن يشرب هو الدواء الذي جاء به بدلاً عنه، لكن نصرًا امتنع في البداية، ثم اضطر إلى تنفيذ أوامر سيده، لما رأى من عزمه وإصراره على ذلك. فشرب الدواء المسموم واستأذن بعدها في الخروج، فركب مباشرة إلى الطبيب الحرّاني مستغيثًا به، فأشار بشرب لبن الماعز، إلا أنه عوجل قبل أن يؤتى به، فكانت وفاته على هذا النحو مثلاً وعبرة(١٧).

ولكن ماذا عن طروب؟ أكانت ضالعة في المؤامرة التي استهدفت حياة سيدها؟ أم أن نصرًا سعى بمفرده إلى تجاوز قواعد اللعبة؟

الحق؛ أن المصادر التي أوردت خبر المؤامرة، لم تذكر أدنى إشارة إلى أن طروب واطأت نصرًا على الفتك بحياة أمير الأندلس، وجل ما كانت تطمح إليه السيدة، هو التمكين لابنها عبدالله في ولاية العهد، عن طريق استمالة رجال الخدمة في القصر، وكبار موظفي البلاط، لا بواسطة التصفية الجسدية وأسلوب الاغتيالات. فهي وان كانت قد أبدت شيئًا من الأثرة والانتهازية؛ إلا أنها من المستبعد أن يصل بها الأمر إلى قتل سيدها الذي أحبها حبًا عظيمًا. لا سيما وأن التمعن في مكنونات شخصيتها، يفيد أنها ذات سلوك سويّ مستقيم، فهي إلى الصلاح والعفاف أميل منها إلى غيرهما. فقد ابتنت مسجدًا في الربض الغربي من قرطبة، إضافة إلى قيامها بعدد من أعمال البر في هذا الحيّ(١٨).

ثم لو كانت طروب متورطة في هذه المؤامرة لما أفلتت من العقاب. إذ لم نقرأ ما يدل على أن الأمير عبدالرحمن غضب عليها، وهذا ما دفع أحد الباحثين إلى الشك في المؤامرة كلها(١٩). وهو استنتاج لا يمكن أن نقره عليه، لأن الثقات من مؤرخينا أوردوا خبر المؤامرة بتفاصيله الدقيقة. ولكن حسبنا القول أن طروب كانت - فيما يبدو - بمنأى عن هذا المنزلق المروِّع، الذي انحدر إليه نصر الخصيّ، فلم يكاشفها أحد بعتاب أو عقاب، وظلت كذلك حتى بعد وفاة سيدها الأمير عبدالرحمن الأوسط، ومجيء ابنه الأمير محمد بن عبدالرحمن إلى سدّة الحكم.

المراجع والهوامش

١. ابن حزم، طوق الحمامة، ص٢٨ - ٢٩.
٢. ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج١، ص٤٦.
٣. ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٩١.
٤. ابن سعيد، المغرب، ج١، ص٤٧.
٥. ابن عذاري، البيان، ج٢، ص٨١.
٦. ابن حزم، طوق، ص٥.
٧. ابن عذاري، البيان، ج٢، ص٩٢.
٨. المصدر نفسه، ج٢، ص٩٢.
٩. ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص١١٧.
١٠. المصدر نفسه، ج١، ص١١٧.
١١. ابن عذاري، البيان، ج٢، ص٩٣.
١٢. ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص١٠٨.
١٣. ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص١١٤ - ١١٥.
١٤. ابن القوطية، تاريخ، ص١١٧.
١٥. ابن حيان، المقتبس في تاريخ رجال الأندلس، تحقيق محمود علي مكي، ص٨.
١٦. ابن القوطية، تاريخ، ص١١٧.
١٧. ابن حيان، المقتبس، ص١٠ - ١١.
١٨. ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبدالسلام الهراس، ج٤، ص٢٤٢.
١٩. انظر تعليقات الدكتور حسين مؤنس على كتاب الحلة السيراء لابن الأبار، ج١، ص١١٤، هامش رقم١.

صورة المرأة الفرنجيّة في النّثر العربيّ زمن الحروب الصّليبيّة

شفيق محمد عبدالرحمن الرقب
مؤتة - الأردن

كانت الحروب الصّليبيّة مواجهة حضاريّة شاملة بين الحضارة العربيّة الإسلاميّة والغرب الأوروبي. وقد أعدّ الفرنجة ما استطاعوا من قوّة لهذه المواجهة، وتمكنوا خلال المرحلة الأولى من الصّراع من الاستيطان في أجزاء من بلاد الشّام، وإقامة كيانات لهم ظلّت تستقبل جموعهم الّتي كانت تتوافد من وراء البحار.

وقد لاحظ الكتّاب المسلمون المعاصرون الأحداث أنّ عادات هؤلاء القوم وتقاليدهم وأنماط سلوكهم وطرائق عيشهم، تختلف عمّا لدى المسلمين؛ فرصدوها، وعبّروا عن مواقفهم منها.

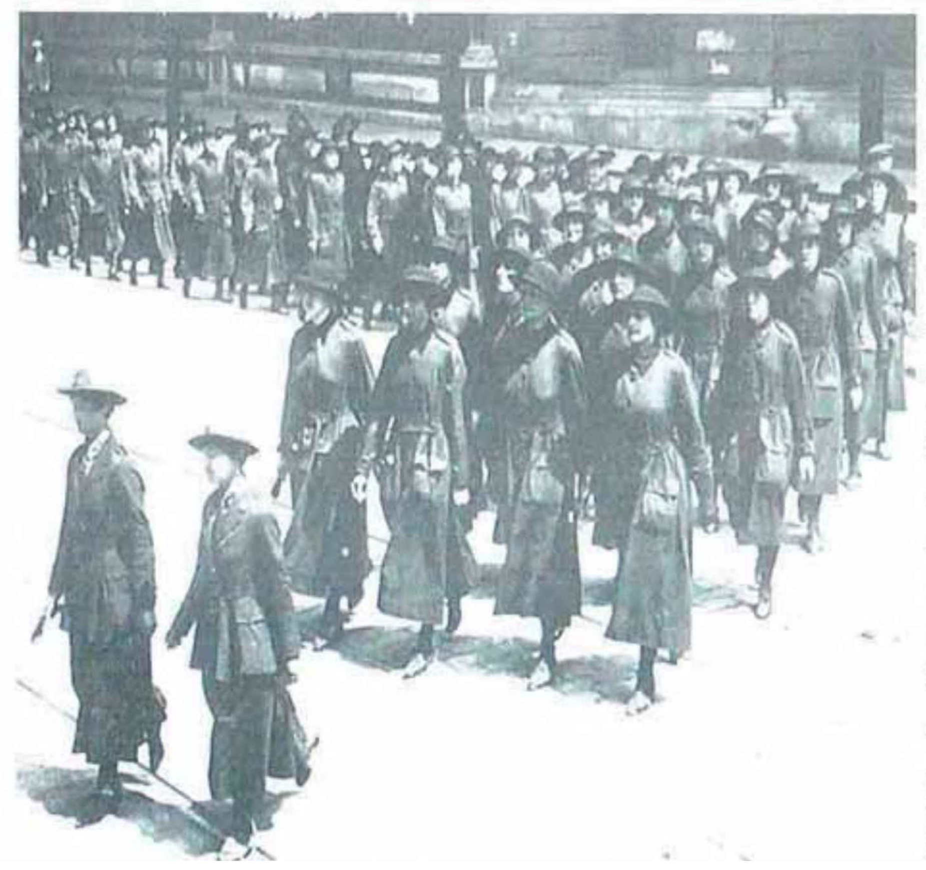
وسأتناول في هذه السطور الصّورة الّتي رسمها الكتّاب المسلمون للمرأة الفرنجيّة والنّشاطات المتعدّدة الّتي كانت تقوم بها. فقد أوضحت المصادر أنّ قادة الفرنجة كانوا يتشددون في مشاركة المرأة في الحملات الأولى، وأنهم كانوا يستبعدون النساء من معسكرات الجند من أجل توفير الغذاء لهم؛ فبينما كان الصليبيّون محاصرين لأنطاكية نفدت أقواتهم، مما دفع المحاصرين إلى إبعاد «النساء المرافقات للحملة، المتزوجات وغير المتزوجات على حد سواء، من أجل توفير القوت للمحاربين. وفي عام ١١٠٧م لم يسمح القائد الصليبي بوهيموند «للنساء بالعبور معه لئلا يشكلن عائقاً وعبئاً على الجيش»(١).

ويبدو أن الظروف الصعبة التي واجهتها القوات الغازية في المراحل الأولى من الحروب الصليبية، خصوصاً فيما يتعلق بالنقص الشديد في المؤن والغذاء كانت من الأسباب التي جعلت قادة الفرنجة يقفون من مشاركة المرأة في الحملات الصليبية هذا الموقف. فعندما كان الفرنجة محاصرين لأنطاكية «تزايد البؤس في نفوس الكبار والصغار بسبب الجوع الشديد، وأكل الناس جذوع البقليّات ... وحتى الأشواك... وأكلوا الخيول... والحمير والجمال والكلاب... بل إن الفقراء منهم أكلوا جلود الحيوانات وبذور الحبوب التي وجدوها في روث الماشية»(٢).

مشاركة فعالة

وبعد أن نجحت الحملة الصليبية الأولى، واستقرت أمور الفرنجة في البلاد المحتلة، أخذت المرأة الصليبية تظهر على مسرح الأحداث، فقد ذكر الكتّاب أن هذه المرأة ساهمت بشكل أو بآخر

في الحملات الصليبية، سواء أكان ذلك بالتحريض على القتال، أم بالاضطلاع بمسؤوليات قيادية، أم بالمشاركة الفعلية في ميادين القتال. ويبدو أن العجائز الصليبيات كنّ يقمن بتحريض الجند على القتال، وبعث الحماسة الدينية في نفوس المقاتلين، وفي ذلك يقول العماد الأصفهاني: «وأما العجائز فقد امتلأت بهن المراكز، وهنّ يشددن تارة ويرخين، ويحرضن وينخّين، وقلن: إن الصليب لا يرضى إلا بالإباء، وإنه لا بقاء إلا بالفناء، وإن قبر معبودهم تحت استيلاء الأعداء»(٣).


المرأة الأوروبية ومشاركة فعالة في الحروب

وكانت حماسة الملكات الفرنجيات اللواتي تربّعن على كرسي الحكم في أوروبا لا تقلّ حماسة عن الملوك في المشاركة في الحملات الصليبية، فقد بيّن القاضي الفاضل في كتاب بعثه إلى الخليفة ببغداد أمر عدد من النسوة الإفرنجيات اللواتي كان من بينهن ملكات جمعن الجيوش، وجهّزن الجنود الذين كانوا يأتمرون بأمرهن، وذلك إذ يقول: «خرجت النساء من بلادهن متبرزات، وسرن إلى الشام في البحر متجهزات، وكانت منهن ملكة استتبعت خمسمائة مقاتل، فارس وراجل، ورامح ونابل، والتزمت بمؤونتهم، فصودف مركبها بقرب الإسكندرية، فأُخذت برجالها، وأراح الله من شر احتفالها. ومنهنّ ملكة وصلت مع ملك الألمان...» (٤)، وتعجّب العماد الأصفهاني من أمر هذه المرأة القائدة، فصوّر شجاعتها، وانصياع الجند لها، وتلبيتهم أوامرها، وذلك إذ يقول: «ووصلت في البحر امرأة كبيرة القدر، وافرة الوفر، وهي في بلدها مالكة الأمر، وفي جملتها خمسمائة فارس بجند لهم وأتباعهم وغلمانهم وأشياعهم، وهي كافلة بكل ما يحتاجون إليه من المؤونة، زائدة بما تنفقه فيهم على المعونة، وهم يركبون بركباتها، ويحملون لحملاتها، ويثبون لوثباتها...»(٥).

وقد باشرت المرأة الفرنجية القتال إلى جانب الرجل(٦)، واسترعت هذه المرأة أنظار الكتّاب المسلمين، فصوروا بزّتها، وهيئة خروجها، وشجاعتها، والحماسة الدينية الّتي كانت تدفعها إلى القتال في المواقف الصعبة. من ذلك قول العماد الأصفهاني: «وفي الفرنج نساء فوارس، لهنّ دروع وقوانس، وكنّ في زيّ الرجال، ويعملن عمل

أرباب الحجا وهنّ ربات الحجال، وكل هذا يعتقدنه عبادة، ويخلن أنهنّ يعقدن به سعادة»(٧). ولا يختلف وصف القاضي الفاضل هؤلاء النسوة المقاتلات عن الوصف السابق للعماد، وذلك إذ يقول: «وذوات المقانع من الفرنج مقنعات مقارعات يحملن إلى الطعان الطوارق والقنطاريات، وقد وجد في الوقعات التي جرت عدة منهنّ بين القتلى، وما عُرفن حتى سُلبن»(٨). ووصف بهاء الدين بن شداد براعة إحدى النساء الفرنجيات في الرمي، وإثخانها في صفوف المسلمين الذين كانوا يرابطون حول عكا، وذلك في قوله: «ورُئيت امرأة عليها ملّوطة* خضراء، فما زالت ترمي بقوس من خشب حتى جرحت جماعة، ثم قُتلت وحُملت إلى السلطان، فعجب من ذلك»(٩).

كانت حماسة الملكات الفرنجيات اللواتي تربّعن على كرسي الحكم في أوروبا لا تقلّ حماسة عن الملوك في المشاركة في الحملات الصليبية

نساء للترفيه

وقامت المرأة الصليبية بدور آخر غير المشاركة في القتال إلى جانب الرجل، فقد كانت مجموعات منهن تأتي من أوروبا بقصد الترفيه عن الجند المشاركين في الحملات الصليبية، وقد رسم العماد الأصفهاني صورة مثيرة لهؤلاء النسوة، فوصف حسنهن، وتوقُّد الغريزة النوعية فيهن، وكيف أنهنّ كنّ يبذلن أجسادهن للجند عادّات ذلك عبادة يتقرّبن بها إلى الله. يقول: «وصلت في مركب ثلاثمائة امرأة فرنجية مستحسنة، متحلية بشبابها وحسنها متزينة، قد اجتمعن من الجزائر، وانتدبن للجزائر، واغتربن لإسعاف الغرباء، وتأهبن لإسعاد الأشقياء، وترفّدن على الإرفاق والإرفاد، وتلهّبن على السفاح والسفاد.. فوصلن وقد سبّلن أنفسهن، وقدّمن للتبذل أصونهن وأنفسهن، وذكرن أنهنّ قصدن بخروجهن تسبيل فروجهن، وأنهنّ لا يمتنعن من العزبان»(١٠). ويقول العماد في موضع آخر: «وزعمن أن هذه قُربة ما فوقها قُربة، لا سيما فيمن اجتمعت عنده غربة وعزبة»(١١). وقد كان العماد الأصفهاني أمينًا على التاريخ عندما ذكر أن عددًا من الجند المسلم قد أغرته أولئك النسوة، فمال إليهن، وفي ذلك يقول: «وأبق من المماليك الأغبياء، والمدابير الجهلاء جماعة جدّ بهم الهوى، واتبعوا من غوى، فمنهم من رضي للذة بالذلة، ومنهم من ندم على الذلة فتحيل في النقلة»(١٢).

وقد أشارت المصادر الغربية إلى هذا الدور الذي كانت تقوم به المرأة الصليبية في معسكرات الجند، بيد أنها انتقدته وتذمرت منه بسبب الفساد الذي كانت تشيعه هؤلاء النسوة في صفوف المقاتلين الصليبيين. فقد ألصقت هذه المصادر بهنّ صفة الابتذال وسوء الأخلاق، وحملتهن مسؤولية انعدام العفة والاتزان والإيمان والإحسان، كما يبدو من هذه الشكوى التي بثها أحد البطاركة سنة ٥٩٧هـ/١١٩١م حيث قال: لقد «سرنا نحو جيشنا في عكا فوجدنا جنودنا هناك، وأقولها بكل ألم وحزن قد أسلموا أنفسهم لأفعال مخزية، واستسلموا للراحة والشهوة»(١٣).

تحلل وفجور

ولم يكن فجور المرأة الصليبية مقصورًا على معسكرات الجند، فقد كنّ ينتبذن أماكن بعيدة عن هذه المعسكرات، ويضربن فيها قبابهنّ وخيامهنّ، ويقصدهن طلاب الهوى، وقد صوّر العماد هؤلاء النسوة قائلاً: «وتفرّدن بما ضربنه من الخيم والقباب، وانضمت إليهن أترابهن من الحسان والشّوابّ، وفتحن أبواب الملاذ، وسبّلن ما بين الأفخاذ.. ونفّقن سوق الفسوق، ولفّقن رتوق الفتوق»(١٤). كما أقيمت لهؤلاء النسوة بيوت خاصة في بعض المدن المحتلة، فعندما دخل صلاح الدين عكا كبس جنده «ليلة سوق الخمارات والعواهر، وسبوا عدة من المستحسنات الفواجر»(١٥).

وقدّمت المصادر صوراً أخرى تدل على تحلل المرأة الصليبية وانعدام العفة لديها، فقد ذكر العماد الأصفهاني أنه عندما أسر صلاح الدين أحد قادتهم اقترنت امرأته بالكند هنري(١٦)، ودخل بها «في ليلته، وادعى أنه أحق بزوجته، وكانت حاملاً، فما منع الحمل من نكاحها، وذلك أفظع من سفاحها. فقلت لبعض رسلهم: إلى من ينسب الولد؟ فقال: يكون ولد الملكة. فانظر إلى استباحة الطائفة المشركة»(١٧).

ومن الصور التي عرضها الكتّاب المسلمون للمرأة الصليبية صورة المرأة الراهبة(١٨). فقد شاهد العماد الأصفهاني بعد أن فتح المسلمون بيت المقدس ملكة مترهبة كانت تقيم في المدينة، وتحدث العماد عن حماستها الصليبية، وحزنها الشديد على استرداد المسلمين المدينة المقدسة، ومع ذلك فقد عفا عنها الملك الناصر صلاح الدين، وسمح لها بمغادرة المدينة حاملة ما تستطيع من أملاكها ومدخراتها، ومصطحبة أتباعها وحاشيتها، وفي ذلك يقول: «وكانت بالقدس ملكة رومية متعبدة مترهبة، في عبادة الصليب متصلبة، وعلى مصابها متلهبة، وفي التمسك بملتها مستصعبة متعصبة، أنفاسها متصاعدة للحزن، وعبراتها متحدرة تحدر القطرات من المزن، ولها رجال ومتاع، وأشياء وأشياع، فاستعاذت السلطان وأعاذها، ومنّ عليها وعلى كل من معها بالإفراج، وأذن في إخراج ما لها في الأكياس والأخراج.. فخرجت بجميع مالها ورحالها ونسائها ورجالها وأسفاطها وأعدالها، والصناديق بأقفالها...»(١٩).

تنصير الأطفال

ولعله من الجدير بالذكر هنا أن المرأة الفرنجية التي انخرطت في المؤسسات الدينية الصليبية كانت تقوم بدور خطير فيما يتعلق بأحداث الصراع بين المسلمين والفرنجة. فقد كانت تقوم بتنصير أطفال المسلمين الذين يُسبون في الحروب، فعندما هاجم الفرنجة جبيل والطور والناصرة سنة ٦١٤هـ/١٢١٧م سبوا عدداً كبيراً من النساء والأطفال، وقد قام بطريرك عكا بتوزيع الأطفال على الراهبات لتعليمهم النصرانية(٢٠).

وبحكم الحرب فقد سُبيت بعض النساء الصليبيات. وقد وصف العماد الأصفهاني السبايا الصليبيات اللواتي استقل بهنّ المسلمون من الناصرة وقيسارية والبلاد المجاورة لطبرية، واستوقفه جمالهن، وما كنّ يتحلين به من صفات حسن، فتفنّن في الحديث عنهن تفنناً لعله يشي بنوازع نفسه، كما في قوله: «وجاؤونا بكل مليحة مليحة، متعبة مريحة، مقبلات أوايب، طويلات الذوايب، ثقيلات

> قامت المرأة الصليبية بدور آخر غير المشاركة في القتال إلى جانب الرجل، فقد كانت مجموعات منهن تأتي من أوروبا بقصد الترفيه عن الجند المشاركين في الحملات الصليبية

الروادف، خفيفات المعاطف»(٢١). وتقترب لغة العماد من لغة الغزل والتصوير الشعري حين يصور جمال هؤلاء السبايا وحسنهن، وكأنه يعبر عن افتتانه بهن، وذلك في قوله: «... من كل غانية غانية، ورقيقة رقيقة، ومصابة مصبية، ومجلوة مجلوبة، وسالبة مسلوبة، ودمية دامية، وجارية لطيفة بالعنف جارية.. وعذراء مفترعة، وحسناء منتزعة، ومخطفة مختطفة، وقوية مستضعفة... وغريرة غرّاء، وظبية ظمياء، وغضيضة غضة، وفضة منفضة، وخمّارة مخمورة، وسحّارة مسحورة، ومخدّرة مهتوكة، وموقرة منهوكة»(٢٢). إلا أن العماد ينقل وجهاً آخر لهذا المشهد، وهو الوجه الإنساني المؤلم الذي يصوّر حزن هؤلاء السبايا وبكاءهن، وذلك في قوله: «... وثاكلة لواحدها، وآكلة لساعدها، وعاضة على يديها، وفاضة ختم الدمع على خديها..»(٢٣).

وكان المسلمون يتسرون بالسبايا الصليبيات ويتهادونها فيما بينهم، فقد ذكر أسامة بن منقذ أنه صار إلى دار والده «عدة من الجواري... فرأى منهنّ جارية مليحة شابة فأهداها إلى صاحب قلعة جعبر فوافقته واتخذها لنفسه»(٢٤). وتحدّث العماد عن عدد كبير من السبايا الصليبيات اللواتي سباهن المسلمون بعد فتح القدس، وتسرّى بهنّ الجند المسلم، وذلك في قوله: «فكم محجوبة هُتكت، ومالكة مُلكت، وعزباء نُكحت، وعزيزة منحت، وبخيلة تسمحت، وحيية توقّحت، ومجدّة مزحت، ومصونة ابتذلت... وعذراء افترعت»(٢٥). و«كم تسرّى منهنّ سريّ، وتجرأ عليهنّ جريّ، وقضى وطره عزب، ونفى نهمه سغب، وفثأ ثورته شغب»(٢٦).

المرأة الفرنجية التي انخرطت في المؤسسات الدينية الصليبية كانت تقوم بتنصير أطفال المسلمين الذين يسبون في الحروب

وهكذا فقد اندفعت المرأة الفرنجية نحو ديار الإسلام مساهمة في الحملات التي شنّها الغزاة على الرغم من القيود التي فُرضت عليها في المراحل الأولى بسبب الظروف الصعبة التي مر بها الفرنجة. وقد اضطلعت هذه المرأة بدور واضح في الحركة الصليبية سواء أكان ذلك بالتشجيع على القتال، أم بتجهيز الجيوش، أم بالمشاركة الفعلية في القتال. غير أن هناك نساء صليبيات وفدن من أوروبا لغايات الترفيه عن الجند، وقد كنّ يشكلن خطراً واضحاً على جيش الفرنجة، ومن ثم عمل القادة الصليبيون على إبعادهن عن معسكرات الجند. وقد عانت المرأة الصليبية من السّبي، مما أدى إلى تكاثرهنّ في المجتمع الإسلامي، وشيوع ظاهرة التسرّي بهن.

المراجع والهوامش

١. فوشيه الشارتري: تاريخ الحملة إلى القدس ١٤٣.
٢. المصدر السابق ٥٥ ـ ٥٦.
٣. العماد الأصفهاني: الفتح القسي في الفتح القدسي، ٣٤٩.
٤. أبو شامة المقدسي: كتاب الروضتين في أخبار الدولتين٢: ١٦٢.
٥. العماد الأصفهاني: الفتح القسي في الفتح القدسي ٣٤٩.
٦. انظر: وليم الصوري: الأعمال المنجزة ١: ٤٢٧.
٧. المصدر السابق ٣٤٩.
٨. أبو شامة: كتاب الروضتين ٢: ١٦٢.
* ملوطة: ورد في لسان العرب: «اللوط: الرداء»، ولعله المعنى المقصود. لسان العرب (لوط).
٩. أبو شامة: كتاب الروضتين ٢: ١٨٦، وانظر ابن شداد: النوادر السلطانية ١٦٧.
١٠. العماد: الفتح القسي ٣٤٧.
١١، ١٢. المصدر السابق ٣٤٨.
١٣. انظر: د.طه الطراونة: المرأة الصليبية ٨٣.
١٤. العماد: الفتح القسي ٣٤٧.
١٥. المصدر السابق ٣٤٥.
١٦. الكند هنري (هرّي): تولى الحكم في صور بعد مقتل صاحبها المركيس سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م، مات سنة ٥٩٤هـ/١١٩٨م. ابن الأثير: الكامل ١٢: ٧٩٧٨.
١٧. المصدر السابق ٥٩٠.
١٨. اهتم الفرنجة بإنشاء الأديرة للراهبات في أنحاء متفرقة من الأرض المحتلة انظر: د.سعيد البيشاوي: الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس: ٢٤١ ـ ٢٤٣.
١٩. أبو شامة: كتاب الروضتين: ٢: ٩٦.
٢٠. انظر:
Edward Peter, Christian Society and the Crusaders, University of Pennsylavania, Philadelphia, 1971, P.55.
٢١. العماد الأصفهاني: سنا البرق ٣٠١.
٢٢. العماد: الفتح القسي.
٢٣. المصدر السابق.
٢٤. أسامة بن منقذ: الاعتبار ١٦٦ ـ ١٦٧طبعة برنستون.
٢٥. العماد: الفتح القسي ١٣٥.
٢٦. المصدر نفسه ١٣٦.

السموم
كيف تؤثر في صحة الإنسان وحياته؟

مسعد شتيوي
بورسعيد - مصر

يعيش الإنسان في بيئة تحتوي على نحو عشرة آلاف مركب كيماوي على الأقل، ويضاف إليها سنويًا ما يقرب من ٧٠٠ إلى ١٠٠٠ مركب جديد. وسنحاول في هذا المقال أن نلقي الضوء على أهم مصادر هذه المركبات السامة، وكيف تصيب أجهزة الجسم المختلفة بعدد من العلل والأمراض.



أولاً: المصادر المختلفة للسموم

أ. الهواء Air:

يتعرض الإنسان في حياته اليومية لاستنشاق الكثير من المركبات السامة القادرة على إحداث الأذى والتلف في جهازه التنفسي، ففي المنزل يؤدي الطبخ بالغاز Gas

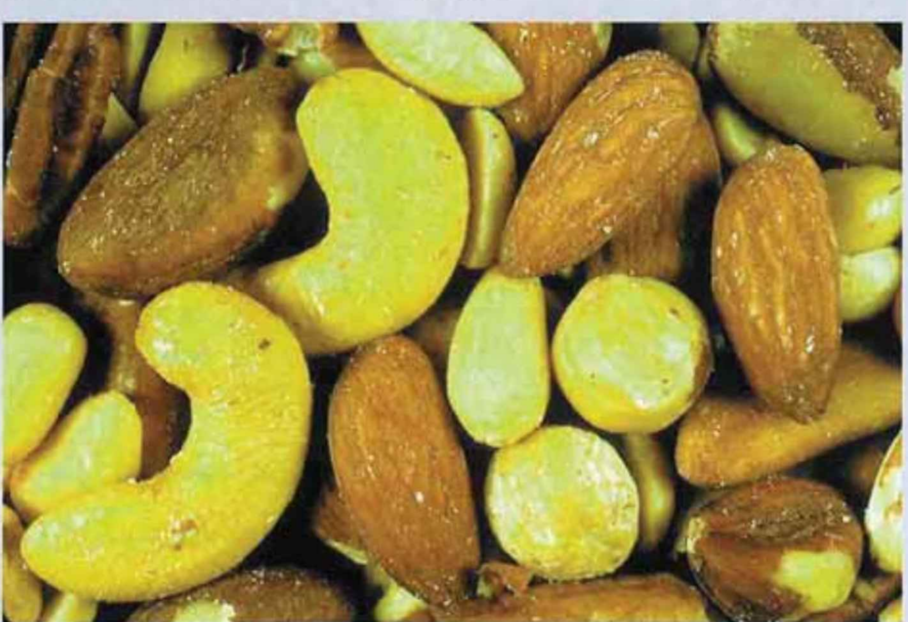
Cooking إلى انبعاث ثاني أكسيد النتروجين وأول أكسيد الكربون، وقد يصلان إلى تركيزات مرتفعة في المطبخ حول الموقد، ويؤدي زيادة إحكام غلق المنازل وأماكن العمل بهدف توفير الطاقة إلى زيادة تركيز الملوثات في الداخل. والهواء في أجواء المدن الصناعية Industrial at-mospheres يحتوي على كثير من المواد السامة موازنة بمثيله في المناطق الريفية. ومن المثير أن نعرف أن ممارسة التمرينات الرياضية في الأماكن الملوثة له من المضار أكثر مما له من المنافع، إذ يتعرض الإنسان لاستنشاق جرعات من السموم أكثر من تلك التي ينالها في أثناء الراحة بسبب زيادة سرعة التنفس التي تصاحب النشاط العضلي. وفي الدول الصناعية كانت المصانع التي تبث الدخان والهباب القاتل في الجو هي السبب الرئيس لتلوث الهواء، أما اليوم فتشير التقارير إلى أن السيارات قد تصدرت القائمة، ففي دراسة صدرت عن مستشفى سان جورج الطبية في لندن وجد أن الملوثات المنبعثة من عوادم السيارات هي السبب في حدوث ٢٪ من الأزمات القلبية التي تم علاجها؛ وعلى مستوى بريطانيا كلها فإن هذه النسبة تعادل ٦٠٠٠ أزمة قلبية كل عام. لذلك لم يشكل التصريح الذي أعلنته وزارة الصحة البريطانية مفاجأة كبيرة للبريطانيين، ومضمونه أن تلوث الهواء في بريطانيا يتسبب في وفاة ١٢ إلى ١٤ ألفًا من المواطنين كل عام، بالإضافة إلى ما يقرب من ١٤ إلى ٢٤ ألفًا يتلقون العلاج بالمستشفيات. وتعدُّ معدلات الإصابة بالحساسية الصدرية والربو في بريطانيا من أعلى المعدلات في أوربا حيث تصيب واحداً من كل ٢٥ من البالغين، وواحداً من كل سبعة أطفال.

ومن الجدير بالذكر أن استنشاق الهواء الملوث بعوادم السيارات أكثر خطورة على الصحة من تناول الأغذية الملوثة، ففي الحالة الأولى تنتقل الملوثات بنسبة ١٠٠٪ من الهواء المستنشق إلى الدم، أما في حالة الملوثات المأخوذة عن طريق الغذاء فإن نسبة معينة منها فقط هي التي تُمتص من الأمعاء إلى الدم.

هل نضحي بالسيارات من أجل صحة أفضل؟

قبل أن تجيب عن هذا السؤال ينبغي أن تعرف أولاً أن العادم المنبعث من معظم السيارات يحتوي على أربعة أنواع من السموم الخطيرة:

- أول وثاني أكسيد الكربون CO & CO2: أول أكسيد الكربون CO غاز عديم اللون والرائحة - وهذه توضع في ميزان سيئاته - وهو ينتج بسبب الاحتراق غير الكامل للوقود، ولذلك فإنه مكون رئيس من مكونات عوادم السيارات، وتشير التقارير إلى أن قطاع النقل يولد ٦٠٪ من CO الموجود في الجو على المستوى العالمي.


المبيدات تخترق القشرة السميكة للمكسرات

يُعدُّ التسمم بهذا الغاز من أكثر أنواع التسمم شهرة ووضوحاً، فهو يتّحد بشراهة بالهيموجلوبين الموجود في كرات الدم الحمراء فيعوقها عن القيام بأداء وظيفتها الطبيعية في حمل الأكسجين لجميع خلايا الجسم فيحدث الاختناق Anemic Hypoxia

بسبب عدم وصول الأكسجين إلى المخ؛ وقد تم اكتشاف هذه العملية قديمًا (١٨٦٥م) على يد العالم الفرنسي الشهير كلودبرنارد Clude Bernard وأمكن صياغتها رياضياً بواسطة دوجلاس وهالدين Douglas & Haldane عام ١٩١٢م في صورة معادلة عرفت باسم معادلة هالدين وتحدد العلاقة بين غاز CO وغاز الأكسجين ومقدرتهما على الاتحاد بالهيموجلوبين (الحديدوز Ferrous بداخله) حيث يتحد CO بشراهة مع الهيموجلوبين محولاً إياه إلى كربوكسي هيموجلوبين CoHb بدلاً من الأكسي هيموجلوبين المعتاد. ولحسن الحظ (إلى حد ما) فإن هذه المادة CoHb - على سُمِّيتها الشديدة - قابلة للتحلل Dissociable والتخلص من Co عن طريق الرئتين إذا ما تمت تهوية المكان، وتعريض الشخص المصاب للأكسجين، ويعود الهيموجلوبين إلى طبيعته ويتحد بالأكسجين. أما إذا ما استمر التعرض لغاز CO مدة طويلة بكميات كثيرة Single massive exposure فيحدث اختناق وتلف مستديم Permanent للخلايا العصبية في المخ، ثم تحدث الوفاة.

ويعد التلوث بغاز CO من أخطر أنواع التلوث التي يتعرض لها الإنسان، ولاسيما المرضى والمسنون والأطفال والحوامل. فقد أوضحت الدراسات التي أجريت في مصر أن التسمم بهذا الغاز يشكل ٦٣٪ من أسباب الإعاقة لدى الأطفال موازنة بأنواع التلوث الأخرى التي تسبب الإعاقة. وقد بلغ عدد الأطفال المصابين بالإعاقة بسبب التلوث بصفة عامة نحو ٣٫٥ ملايين طفل. وتشير الدراسات أيضًا إلى أن الأجنة والنساء الحوامل كانوا من أكثر الفئات تعرضًا وتأثرًا بتلوث الهواء بغاز CO وأن الكربوكسي هيموجلوبين يتركز في دماء الأجنة بنحو ثلاثة أضعاف تركيزه في دماء أمهاتهم.

إن ثاني أكسيد الكربون CO_2 من الغازات الضارة بصحة الإنسان لأنه يتحد أيضًا بهيموجلوبين الدم، وكلما زاد تركيزه في أنسجة الجسم قلت قابلية الهيموجلوبين للاتحاد بالأكسجين (وهو ما يعرف بتأثير بوهر Bohr، ولذلك فإنه يسبب الاختناق عند زيادة معدلاته بدرجة كبيرة.


جوزة الطيب تحتوي على مادة تسبب الغثيان والهلوسة

وتشير تقارير الأمم المتحدة إلى أن الأنشطة البشرية تتسبب في إطلاق ١٧٧ مليون طن من CO_2 على مستوى العالم، وفي الكويت وحدها أدت حرائق آبار النفط (نحو ٨ ملايين برميل يوميًا) بسبب الغزو العراقي إلى إطلاق نحو مليوني طن من هذا الغاز في سماء الكويت. ويؤدي غاز CO_2 إلى تسخين مناخ الكرة الأرضية وهو ما يعرف بتأثير الدفيئة أو الصوبة الزجاجية Greenhouse effect فالأشعة الشمسية عندما تصل إلى سطح الأرض يتم امتصاص جزء منها وانعكاس الجزء الآخر، هذا الجزء الأخير لا يمر بطلاقة عبر الهواء الجوي إلى الفضاء، بل يتم امتصاص جزء منه بواسطة CO_2 وبخار الماء وغازات أخرى، فيسخن الهواء، ويقوم بدوره بإطلاق بعض الحرارة إلى الأرض، ومن ثم تصبح الأرض أكثر دفئًا نتيجة هذا الاحتباس الحراري. ويساهم غاز CO_2 بمقدار النصف في حدوث هذا التسخين، وتساهم غازات الكلوروفلورو كربون

CFC مع بقية الغازات بالنصف الآخر. ويعتقد أن ارتفاع حرارة الأرض بسبب غازات الدفيئة هو السبب وراء ارتفاع مياه البحار وكثرة الفيضانات والعواصف، وانخفاض معدلات سقوط الأمطار، وقلة المياه الصالحة للشرب، ويتوقع الخبراء اختفاء ١٩٪ من الأراضي الزراعية في مصر بحلول عام ٢٠٥٠. كما أن المحاصيل الزراعية في مختلف دول العالم ستنخفض بشكل كبير في المستقبل إذا لم تتخذ الاحتياطات الكافية للحد من التلوث.

ويقول الدكتور مصطفى كمال طلبة الخبير العالمي في مجال البيئة والتنمية: إن إنتاج CO2 للفرد في منطقة الخليج يبلغ نحو ٥ر٤ أطنان في العالم، وهو ما يعادل مثيله في أعلى المناطق الصناعية في العالم كالولايات المتحدة، ولذلك عندما يتم التفكير للحد من هذا الاتجاه سوف تصبح المشكلة بالنسبة إلى دول الخليج أكثر قسوة، لأنه قد تكون لديها الأموال لشراء تكنولوجيا نظيفة بديلة، ولكن التدريب على هذه التكنولوجيا سوف يحتاج إلى وقت طويل، وهذا عكس ما سيحدث في الدول المتقدمة.

ـ أكاسيد النتروجين (NO & NO2)، ثاني أكسيد الكبريت (SO2): تنبعث هذه الأكاسيد الحمضية من محركات الديزل ومن المصانع أيضا، وتسبب أضرارا رئوية خطيرة، حتى المستويات المنخفضة منها تؤذي المصابين بالحساسية الصدرية والربو. وتزداد خطورة هذه الأكاسيد عند سقوط الأمطار إذ تتحد مع مياه الأمطار مكونة أحماض النيتريك والكبريتيك التي تسقط فوق رؤوس المشاة. وينتقل هذا المطر الحمضي acid rain بفعل الرياح ويتساقط فوق الغابات والأنهار والبحيرات والأراضي الزراعية فيلوثها ويقضي على الحياة فيها. وقد لاحظ العلماء أن المطر الذي يسقط فوق أوربا حاليا يحوي من الحامض نحو ثمانين ضعفا مما كان عليه عام ١٩٥٠م. هذا بالإضافة إلى أن المطر الحمضي خلال سقوطه يختلط بكثير من المعادن السامة مثل الزئبق والزنك والألمونيوم والرصاص والمنجنيز فيؤدي إلى اختناق كثير من الكائنات الحية وتسممها.

ـ الأوزون الأرضي ground -level ozone: هو أحد الملوثات القوية التي تسبب الكحة وآلام الصدر حتى لأكثر الناس صحة. ويتركب من ثلاث ذرات من الأكسجين O3 وهو يختلف في ذلك عن الأكسجين الذي نستنشقه ويتركب من ذرتين فقط O2. والأوزون الأرضي يتكون بالتفاعل الكيماوي بين أكاسيد النتروجين والهيدروكربونات البترولية بتأثير أشعة الشمس، ولذلك تزداد موجات التلوث الأوزوني في فصل الصيف. ويجب ألا يتم الخلط بين الأوزون الأرضي وأوزون الطبقات العليا من الجو stratospheric ozone الموجود على ارتفاع ٢٥ ـ ٤٠كم فوق سطح الأرض، ويقوم بامتصاص الأشعة فوق البنفسجية الضارة ومنعها من الوصول إلى سطح الأرض، والذي يتضاءل حجمه أو يقل سمكه بزيادة التلوث. ولولا طبقة الأوزون هذه لقضت الأشعة فوق البنفسجية على الحياة على وجه الأرض.


تزداد خطورة الأكاسيد الحمضية عند سقوط الأمطار

ـ مجموعة الـ PM10: في السنوات الحديثة تركز الاهتمام في مجموعة من الملوثات تعرف بـ PM10 وقد أطلق عليها هذا الاسم بسبب أن قطر جزيئاتها يبلغ نحو ١٠ ميكرونات، وبسبب هذا الحجم المتناهي في الصغر فإنها تتجمع في الرئتين مسببة آلاما شديدة وأزمات



أنابيب البترول تلوث مياه البحار والمحيطات

هذه الحالة فقط نستطيع أن ننعم بهواء نقي وصحة جيدة، وفي الوقت نفسه نتمتع بركوب السيارات، وإنجاز أعمالنا بسهولة ويسر. ولكن يجب التنبيه على أن الاستخدام المكثف للسيارات والاعتماد عليها تماماً في قضاء جميع حاجاتنا وتنقلاتنا يؤدي إلى قلة النشاط البدني مع ما يصحبه من أمراض كثيرة مثل السكر، وهشاشة العظام، وأمراض القلب والأوعية الدموية، كما تؤكد معظم التقارير الطبية.

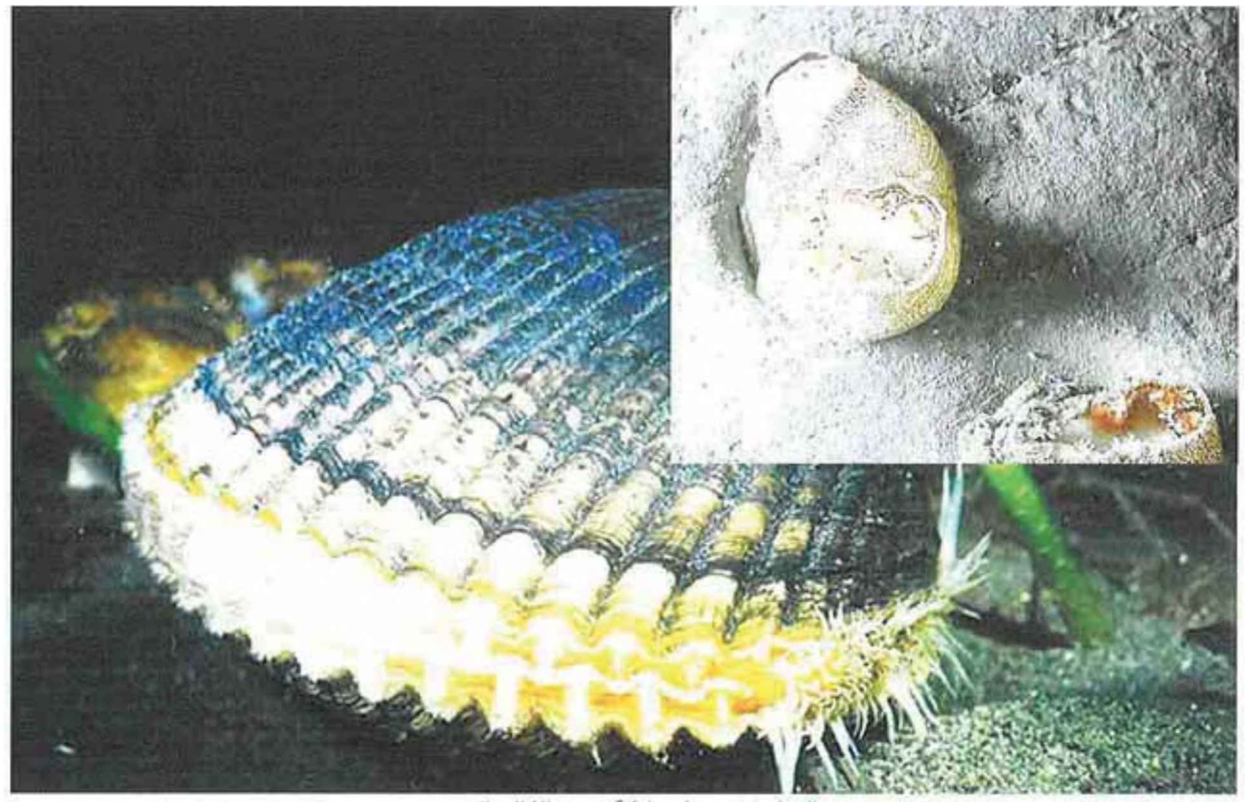
ب ـ أشعة الشمس Sunshine وأخطار الأشعة فوق البنفسجية:

على الرغم من أن الشمس أساس الحياة على الأرض، إلا أنها المصدر الرئيس للأشعة فوق البنفسجية الخطيرة Ultraviolet B (UVB). ولحسن الحظ فإن غالبية هذه الأشعة يتم امتصاصها عبر طبقة الأوزون، إلا أن استعمال غازات الكلوروفلورو كربون Chlorofluorocarbons (CFC) قد قلل من سمك هذه الطبقة.

هذه المركبات CFC تستعمل بكثرة في الإيروسولات Aerosols والثلاجات وتتمتع بالثبات Stability وقلة السمية Lack of toxicity ولذلك فإنها لا تتحطم عندما تصل إلى الجو، بل تتصاعد إلى الطبقات العليا Stratosphere، وتستغرق رحلتها منذ انطلاقها في الهواء حتى تصل إلى طبقات الجو العليا نحو ثماني سنوات، وتبقى هناك فترات طويلة حتى تبدأ في التفكك ـ تحت تأثير الأشعة فوق البنفسجية ـ وعندئذ ينطلق الكلور الذي

نفسية ومزيداً من العمل في أقسام الطوارئ بالمستشفيات، وقد لا يجدي معها علاج.

وبعد هذا العرض المخيف للمخاطر البيئية والصحية التي نتعرض لها من جراء ركوب السيارات، هل نستطيع أن نضحي بها من أجل سلامتنا وسلامة البيئة ونعدّها نقمة وليست نعمة.. في الحقيقة أننا لا نستطيع الاستغناء عنها تماماً بعد أن أصبحت من ضرورات الحياة الحديثة، ولكن من الممكن ترشيد استخدامها على أنه حل سريع للمشكلة، وفي الوقت نفسه يجب تطويرها تقانياً (تكنولوجياً) من حيث نوع الوقود المستخدم أو طريقة احتراقه حتى لا تسبب أي تلوث في الهواء، في



المحار تحتوي على مادة قد تسبب الشلل والموت

يتحد مع الأوزون، ويحوله إلى أكسجين عادي O2، ومن ثم يقل سمك طبقة الأوزون تدريجيا. ومنذ منتصف الثمانينيات بدأ العلماء إجراء القياسات، فلاحظوا ثقباً كبيراً في طبقة الأوزون فوق القطب الجنوبي antarctic يحدث في الربيع من كل عام، وقد ازداد هذا الثقب في الاتساع حتى وصل إلى ٢٦ مليون كيلو متر مربع في عام ١٩٩٨م، بالإضافة إلى حدوث ثقوب أخرى أقل اتساعاً تحدث في مناطق أخرى، مما يؤدي إلى تسرب المزيد من الأشعة فوق البنفسجية الضارة UVB إلى سطح الأرض.

ويتركز الاهتمام حول تأثير UVB في حدوث السرطانات الجلدية، فهي السبب وراء الارتفاع الوبائي في معدلات سرطانات الجلد بجميع أنواعها في شتى دول العالم. ففي أستراليا ـ على سبيل المثال ـ تشير الأدلة إلى إصابة اثنين من بين كل ثلاثة أفراد بنوع من السرطانات الجلدية خلال حياتهم. وفي الفترة من ١٩٧٩ إلى ١٩٩٣م ارتفعت الإصابة بالميلانوما غير الخبيثة non- malignant melanoma ـ أكثر أنواع السرطانات الجلدية انتشاراً ـ نحو ١٠٪ في نصف الكرة الشمالي. ويقدر العلماء أن النقص في طبقة الأوزون بمقدار ١٪ يؤدي إلى زيادة مقدارها ٢٪ في معدل الإصابة بهذا النوع من سرطان الجلد. لذلك فمن المتوقع أن تزداد الإصابة بهذا المرض بنحو ٢٥٪ بحلول عام ٢٠٥٠م إذا ما استمر التناقص في طبقة الأوزون بالمعدلات الحالية نفسها. ويخشى العلماء من انتشار سرطان الجلد (الأقل شيوعاً حالياً) المعروف بالميلانوما الخبيثة malignant melanoma الذي يعدّ السبب الرئيس لحدوث الوفيات بسبب السرطان بين الأستراليين تحت عمر ٤٥ سنة.

تتسبب الأشعة فوق البنفسية UVB أيضاً في الإصابة بالكتاراكت Cataract (إعتام عدسة العين)، فكل نقص مقداره ١٪ في سمك طبقة الأوزون يؤدي إلى إصابة ١٥٠ شخصاً بالكتاراكت على مستوى العالم.

وهناك من الأدلة ما يؤكد أن الـ UVB تلحق الضرر بالجهاز المناعي، ومن ثم تقل مقدرة الجسم على مقاومة الأمراض الخطيرة مثل الدرن والملاريا والجذام، والعياذ بالله. كذلك تسبب الـ UVB في تنشيط الفيروس المسبب لمرض الإيدز HIV. وهناك مخاوف من إمكانية تحول ميكروبات غير ضارة إلى ميكروبات ضارة ممرضة بفعل هذه الأشعة. ولهذا فإن تضاؤل طبقة الأوزون من شأنه أن يؤدي إلى ازدياد معدل انتشار الأمراض الوبائية، ومن هنا جاءت الدعوة إلى حظر استعمال مركبات الكلوروفلورو كربون CFC حتى نسمح لثقب الأوزون بالالتئام. أما إذا اتجهت الأمور إلى الأسوأ فقد تجد نفسك بعد عشر سنوات مضطراً إلى استعمال الدهانات Sunscreen والنظارات والملابس الواقية من الأشعة على مدار السنة حتى ولو كان الجو غائماً.

ج ـ المياه Water:

يقترن وجود الماء دائماً بوجود الحياة، وقد أشار المولى عز وجل إلى هذه الحقيقة في كتابه الكريم: *وجعلنا من الماء كلّ شيءٍ حيّ*. الأنبياء: ٣٠. *وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزّت وربت وأنبتت من كلّ زوجٍ بهيج*. الحج: ٥. ولعل أبلغ دليل على أهمية الماء وقدسيته أن الله تعالى ذكره في محكم التنزيل ٥٢ مرة، فالماء يدخل في تركيب جميع الكائنات الحية بنسبة لا تقل عن ٧٠٪، *والله خلق كلّ دابّة من ماء*. النور: ٤٥. ولأن الماء هو الوسط الذي يتم فيه انتقال جميع المواد الغذائية داخل الجسم، وتتم فيه جميع التفاعلات الكيماوية، والتحولات الغذائية المسؤولة عن استمرار الحياة، وجب أن يكون هذا الماء نظيفاً نقياً طاهرا بالصورة التي خلقه الله سبحانه وتعالى عليها. ولكن الإنسان لم يقدر الماء حق قدره، وأساء استخدامه، ولوثه بشتى أنواع السموم والملوثات. *إنه كان ظلوماً جهولا*. الأحزاب: ٧٢ فالصرف الصحي والصناعي والزراعي في مياه البحار والأنهار يؤدي إلى ارتفاع معدل تلوث المياه بدرجة كبيرة. ويؤدي الاستعمال الآدمي لهذه المياه الملوثة ـ إذا لم تتم معالجتها بطريقة سليمة ـ إلى الإصابة بعدد من الأمراض مثل الإسهال والقيء، والالتهاب الكبدي. كذلك فإن السباحة في الشواطئ الملوثة تصيب الإنسان بعدد من الأمراض، وتجعل الناس يعزفون عن ارتياد مثل هذه الشواطئ. ويؤدي الصرف الزراعي إلى زيادة انتشار المبيدات في المياه الخاصة في مناطق الزراعات الكثيفة، حيث تستخدم النترات Nitrates في التسميد. كذلك فإن القطران الذي كان يستخدم في طلاء أنابيب المياه لمنع الصدأ يحتوي على الكثير من الهيدروجينات الحلقية Polyaromatic Hydrocarbons (PAH) التي تسبب السرطان.



الموز يخلو من المبيدات لوجود القشرة

كما تشير التقارير إلى أن المياه الجوفية، شأنها شأن الأنهار والبحيرات العذبة، تعاني مشكلتين رئيستين هما: الاستنزاف والتلوث (انظر مجلة الفيصل العدد ٢٨٣)، ومن المعروف طبقًا لإحصاءات الأمم المتحدة للبيئة أن أكثر من مليار ونصف المليار من البشر يعتمدون على المياه الجوفية لتلبية احتياجاتهم من المياه العذبة.

وقد أشارت التقارير إلى وجود أكثر من ٨٠٠ مادة كيماوية في إمدادات مياه الشرب عالميًا، بما في ذلك المبيدات الحشرية، والمضادات الحيوية، والنترات التي قد تتفاعل مع مواد كيماوية أخرى لتكوين مركبات تسبب الأورام والسرطانات، بالإضافة إلى الألومنيوم المشتبه الأول في الإصابة بمرض الزهايمر «فقدان الذاكرة أو الخرف المبكر».

لذلك ينصح بعدم الإفراط في شرب المياه خشية التعرض لمزيد من السموم، ويفضل شرب الكمية الموصى بها فقط وهي عدة أكواب يوميًا تحت الظروف العادية، أما في حالات الإجهاد الناتج من ممارسة التمرينات الرياضية، أو الحمل أو الرضاعة، أو الجو الحار فيمكن زيادة الكمية على ذلك.

ويؤدي تلوث مياه الأنهار والبحار بمخلفات الصناعة إلى تلوث الأسماك وبعض الكائنات البحرية بالمعادن الثقيلة، خاصة الزئبق، أكثر المعادن الثقيلة سمية، إذ يتم احتجازه في أجسامها وارتباطه بالدهن والبروتين، ثم ينتقل إلى الإنسان عند استهلاك هذه الأسماك الملوثة فيؤدي إلى إصابة جسمه - خاصة الجهاز العصبي - بالتسمم. والكادميوم أيضًا يعدّ من المعادن الثقيلة الشديدة السمية ذات التأثير التراكمي، وتظهر آثاره السيئة على مدى سنوات، إذ يؤدي في الحالات المتقدمة إلى الفشل الكلوي، ولين العظام بسبب حلوله محل الكالسيوم بالعظام.

وتشير الدراسات إلى أن أكثر من ثلث الوفيات في الدول النامية سببها تلوث المياه، وأن ٥٥٪ من سكان الريف، و ٤٠٪ من سكان الحضر يفتقدون إلى وجود المياه المأمونة. ويقدر الخبراء في منظمات البيئة العالمية أن ١٤ مليون طفل يموتون سنويًا بسبب عدم توافر مياه الشرب النقية، وغياب وسائل الصرف الصحي، منهم نحو أربعة ملايين طفل دون الخامسة من العمر يموتون بسبب الإسهال الذي يسببه الماء الملوث.



استنشاق الهواء الملوث بعوادم السيارات أكثر خطورة على الصحة من تناول الأغذية الملوثة

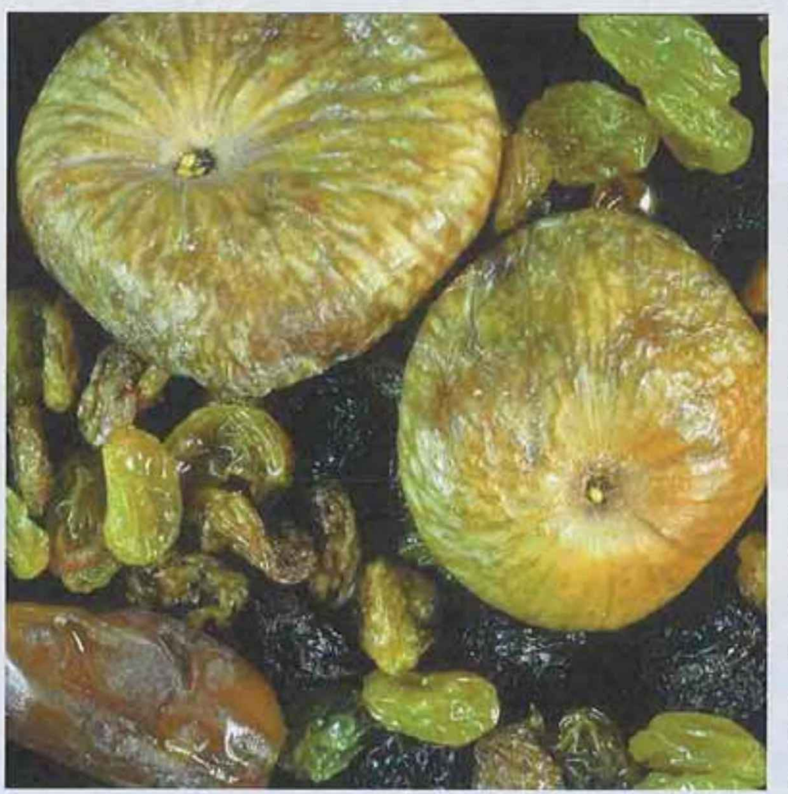
د - التربة والغذاء Soil and Food:

يؤدي الإسراف في استخدام مبيدات الآفات (حشرات، فطريات، حيوانات، أعشاب) إلى انتقال كثير من العناصر السامة إلى التربة والنبات ثم الحيوان، لتصل في النهاية إلى الإنسان فتصيبه بمختلف الأمراض، وتؤدي إلى ظهور الأورام السرطانية والتشوهات الخلقية من وقت إلى آخر. وإذا تولّى سعَى في الأرض ليُفسدَ فيها ويُهلكَ الحَرْثَ والنَّسْلَ والله لا يُحبُّ الفَسَاد. البقرة:٢٠٥. والكثير من هذه المركبات تمتلك خاصية التراكم فتظهر آثارها السلبية في البيئة والإنسان بعد سنوات. فعلى سبيل المثال، تشير الدراسات إلى أن الأرض الزراعية المصرية لا تزال تحتفظ ببقايا المبيدات التي استخدمت في مصر منذ أكثر من عشرين عامًا، وقد راوحت نسبتها بين ١٠ و٤١٪ من نسبة المبيد المستخدم.

وفي دول الخليج العربية، يتزايد استخدام المبيدات والمخصبات الزراعية بدرجة كبيرة، وبسبب أن التربة في هذه المنطقة ضعيفة في محتواها من الطمي والمادة العضوية فإن المبيدات تنتقل بسهولة مع مياه الصرف الزراعي إلى التجمعات المائية السطحية، ومن ثم تنتقل عبر السلسلة الغذائية إلى

الإنسان، وقد بينت الدراسات أن ٩٠٪ من المبيدات لا تصل إلى الآفة المستهدفة، وتؤدي من ثم إلى تلويث الأرض والمياه والهواء.

والخوف من مبيدات الآفات هو السبب الرئيس الذي جعل الناس يتجهون نحو الغذاء العضوي Organic Food (الغذاء الناتج من دون استخدام أي مبيدات آفات أو مخصبات). ففي بريطانيا، على سبيل المثال، تم اعتماد أكثر من ٣٥٠٠ نوع من مبيدات الآفات. وكثير من هذه المبيدات ذات سمية عالية، وتظل مدة طويلة في الهواء والماء والتربة لتتجمع في النهاية في جسم الحيوان أو الإنسان. بعض أنواع الخضر والفاكهة يتم رشها بمعدلات كبيرة من المبيدات تصل إلى عشرين مرة، وبالطبع تتجمع بقايا المبيدات في هذه المنتجات لتصل إلينا في النهاية. وتجدر الإشارة إلى أن تقشير الفاكهة أو الخضراوات لا يعني خلوها من المبيدات، فالمبيدات تخترق القشرة وتصل إلى داخل الثمار، حتى المكسرات Nuts، فعلى الرغم من تميزها بالقشرة السميكة، اكتشفوا آثاراً للمبيد بداخلها، ولكن بكميات بسيطة لا تدعو إلى القلق. وعموماً فإن هناك كمية معينة من بقايا المبيدات الحشرية مسموح بوجودها في الغذاء دون أن تحدث أضراراً صحية، ويطلق عليها Acceptible Daily Intake (ADI) أي الكمية المسموح بتناولها يومياً. وتحاول الحكومات أن تضع القوانين بحيث يكون الحد الأقصى لبقايا المبيدات في أي مادة غذائية أقل من الكمية المسموح بتناولها يومياً. ومع ذلك فالناس يتشككون في المعايير التي تضعها الحكومات وذلك لأنها تُبنى على أساس تعريض المنتجات الغذائية لمستويات قليلة من المبيدات بعكس ما يحدث في الواقع، مما يجعلها تفتقد الشمولية في التطبيق. هذا وتختلف بقايا المبيدات من مكان إلى آخر ومن محصول إلى آخر، وحتى داخل المحصول نفسه توجد مستويات مرتفعة وأخرى منخفضة، أي إنها في النهاية مسألة حظ. وعلى سبيل المثال، قام الباحثون بعمل اختبارات لعدة محاصيل ومنتجات في بريطانيا عام ١٩٩٥م فوجدوا أن واحداً من كل خمس عينات من الخس Lettuce وبعض عينات من الجزر Carrots واللبن Milk زادت بقايا المبيدات بها عن الحد المسموح به بل إن بعض عينات من الخس الشتوي احتوت على مبيدات غير مسموح باستعمالها على الإطلاق.



تظل بقايا المبيدات موجودة في الفواكه المجففة

وفي مصر، أجريت دراسة في كلية الزراعة في جامعة أسيوط على محتوى بعض أنواع الخضر من النترات Nitrate والنتريت Nitrite فاتضح منها أن جميع الخضراوات موضع الدراسة احتوت على نترات، وبعضها مرتفع جداً (٢٠١٥ جزء في المليون)، كما احتوى بعضها الآخر على نتريت بتركيزات مرتفعة أيضاً (٨٨ جزءاً في المليون). ومن المعروف أن جذور النباتات وأوراقها عموماً تحتوي على بعض النترات التي أثبتت أبحاث كثيرة أن نسبتها تزداد بزيادة التسميد

الأزوتي. والنترات في حد ذاتها لا تمثل خطورة على صحة الإنسان البالغ، وإنما الخطورة تأتي من إمكانية تحولها إلى نتريت، وهو مركب أكثر سمية، حيث يستطيع أكسدة الحديدوز Ferrous الموجود في هيموجلوبين الدم ويحوله إلى حديديك Ferric فتتحول صبغة الهيموجلوبين الحمراء إلى صبغة أخرى تسمى Methemoglobin ذات لون بني مخضر، ولا يمكنها الاتحاد ثانية بالأكسجين مما يؤدي إلى تسمم الجسم Anemic Hypoxia بسبب عدم قدرة الدم على حمل الأكسجين. هذا بالإضافة إلى أن النتريت Nitrite من الممكن أن تتفاعل مع بعض الأمينات Amines لتكوين

احتراق اللحم في أثناء الشي يؤدي إلى تكوين مركبات خطيرة

مركبات النيتروزامين Nitrosamine ذات السمعة السيئة بسبب نشاطها في تكوين الأورام السرطانية. أما الأمينات فهي مركبات وسطية توجد بالجسم كنواتج لتمثيل البروتينات، كما أنها توجد باللحوم والأسماك والجبن والفاكهة والخضراوات أيضاً.

متى تشتري الطعام العضوي؟

إذا لم تستطع شراء كل الأطعمة التي تحتاجها إليها المنتجات العضوية، فعليك أن تختار، فبعض الأغذية تكون عرضة للتلوث أكثر من غيرها. وإليك بعض النقاط المهمة التي يجب أن تضعها في حسبانك كدليل أو مرشد لك حتى تستطيع أن تقرر هل الأمر يستحق إنفاق مزيد من النقود في شراء الأغذية العضوية أم من الحكمة توفير بعضها إذا كانت المنتجات غير العضوية تفي بالغرض دون إضرار بالصحة، علماً بأن هذه البيانات مأخوذة تحت الظروف البريطانية، وبالقياس فإن الوضع بالدول العربية يكون أسوأ.

الفاكهة الطازجة: ترش الفاكهة عادة أكثر من الخضراوات وبأنواع كثيرة من مبيدات الآفات. وقد أوضحت الإحصاءات التي أجريت في بريطانيا عام ١٩٩٦م وجود بقايا مبيدات في ٨٣٪ من العينات المختبرة. ووجد أن التفاح والخوخ كانا أكثر المنتجات تعرضاً للمبيدات. فالتفاح من النوع كوكس COX يمكن أن يرش نحو ٢٠ مرة، وقد وجدت بقايا مبيدات (بما فيها الفوسفات العضوية الخطيرة) في نحو ثلاثة أرباع العينات التي تم فحصها. وجدت أيضاً بقايا في ٩٠٪ من عينات الفراولة و ٧٩٪ من عينات المشمش.

الفاكهة المجففة: وجدت بقايا مبيدات في ٦٩٪ من العينات.

المحاصيل الجذرية: مثل الجزر، والبطاطس. لوحظ وجود مستويات مرتفعة في الجزر عام ١٩٩٥م، ولو أنها انخفضت بعد ذلك، ووجد أن نحو نصف عينات البطاطس احتوت على مبيدات.

الطماطم: أكثر من نصف العينات احتوت على مبيدات، وقد وجدت مبيدات متعددة في ربع العينات.

اللبن: إحصاءات عام ١٩٩٥م دلت على وجود بعض المبيدات مثل الليندان Lindane بمستويات أكثر من المسموح به، ولكنها انخفضت ابتداء من عام ١٩٩٦م.

اللحم: اللحم العضوي يخلو من المضادات الحيوية.



أبحاث بريطانية أثبتت ارتفاع معدل التلوث في الخس عن الحد المسموح

تتركز بقايا المبيدات في الدهن، فإذا لم تستطع شراء اللحم العضوي فعليك بالتخلص من الدهن قبل طبخ اللحم. ومعظم المبيدات المتركزة في الدهن كانت من نوعي DDT, Lindane.

الأرز: وجدت بقايا مبيدات في ٦٧٪ من عينات الأرز الأبيض، ٨٣٪ من عينات الأرز البني الطويل. بعض العينات زادت بها بقايا المبيدات عن الحد المسموح.

الموز والأفوكادو والبطيخ والأناناس: كانت خالية من المبيدات بسبب وجود القشرة، على الرغم من أن بعض المبيدات ممكن أن تتسرب إلى داخل الثمرة.

أما إذا اقتصرت في طعامك على تناول الفاكهة والخضراوات العضوية الطازجة من دون مبيدات أو مخصبات، وامتنعت عن تناول الأغذية المعالجة والمعدلة وراثيا، فلا تعتقد أنك تأكل غذاءً صحياً نظيفاً خالياً تماماً من السموم.. فقد أكدت الأبحاث الحديثة أنه لا يوجد غذاء خال تماماً من السموم toxin - free food.. أتدري ما السبب؟

أولاً: إن المنتجات العضوية يمكن تلويثها عن طريق التربة الملوثة أو الماء أو الهواء أو حتى من تطاير المبيد عند رشه في المزارع المجاورة. ولكن لا تقلق، فالدراسات تؤكد أن الغذاء العضوي غالبا ما يكون خالياً من المبيدات - بسبب عدم رش المحصول نفسه - وإذا ما وجد المبيد فإنه لا يتجاوز الحد المسموح به. من أجل ذلك فقد أطلق أحد معاهد الأبحاث في بريطانيا حملة قومية تدعوك إلى أن تزرع فاكهتك وخضراواتك العضوية بنفسك في حديقة منزلك لتأكلها طازجة عند تمام نضجها. ويقول Eric Booth، أحد خبراء الزراعة العضوية: إن الزراعة العضوية تجعل الطبيعة تعطي كل إمكانياتها وتعقيداتها، مما يؤدي إلى إطلاق المزيد من المركبات النباتية المفيدة Phytochemicals في هذه المنتجات. بالإضافة إلى أن الطعم يكون أفضل حيث يأخذ الغذاء وقتاً أطول للوصول إلى تمام النضج والمذاق full mature flavor. *وأنبَتْنَا فيها من كلِّ شيءٍ موزون*. **الحجر**:١٩. علاوة على ذلك، فإنك لست مضطراً إلى تقشير الفاكهة والخضراوات العضوية لما في ذلك من فقدٍ للألياف والعناصر الغذائية المفيدة.

ثانياً: وإنه لأمر عجيب..! النباتات نفسها تقوم بتصنيع بعض المركبات السامة للدفاع عن نفسها ضد هجوم الحشرات والفطريات والبكتريا.. هذه المبيدات الطبيعية تصل في النهاية إلى طبق طعامك فتتناولها بنفس راضية، والأدهى أنك كلما ازددت حرصاً على تناول المزيد من الخضراوات والفاكهة الطازجة حفاظاً على صحتك، ازداد نصيبك من هذه المبيدات الطبيعية. والآن دعنا نر بعض أمثلة لهذه السموم الطبيعية، ولنبدأ بالكرفس Cel-ery (وتجدر الإشارة إلى أن الكرفس يحتوي على طاقة أقل مما يلزم لهضمه)، يحتوي هذا النبات على مركبات تسمى السورالينات Psoralenes، وإذا ما تم تنشيطها بأشعة الشمس فإنها قد تحدث أضراراً بالمادة الوراثية DNA مما يؤدي إلى إصابة الجسم بالسرطان. والسورالينات ليست مقتصرة على الكرفس فقط، وإنما توجد أيضاً في البقدونس والشاي والتين وزيت البرجموت Bergamot (نوع من الليمون يستعمل زيت قشرته في صنع العطور). أما عيش الغراب Mushrooms فمن المعروف أن هناك بعض الأنواع السامة Poisonous نحاول جميعاً تجنبها، ولكن كم منا يعرف أن أكثر الأنواع شيوعاً من الناحية التجارية Agaricus Bisporus تحتوي على مركبات شيطانية تعرف بالهيدرازينات Hydrazines أثبتت التجارب قدرتها على إحداث الأورام الرئوية في الفئران.



للرياضة منافعها، ولكن ممارستها في أماكن ملوثة أضرارها أكثر

وماذا عن البطاطس والفول والفلفل الأسود؟

البطاطس النابتة أو الخضراء Sprouting or Green Potatoes تحتوي على مادة السولانين Solanine التي تسبب تسمم الجهاز العصبي. والفول من النوع العريض Broad Beans (أكثر الأغذية شعبية في مصر) يحتوي على مركب يسمى فايسين Vicine يسبب نوعاً مميتاً من الأنيميا. أما الفلفل الأسود Black Pepper فيحتوي على كميات لا بأس بها من مادة السافرول Sa-frole المعروفة بتأثيراتها السرطانية القوية. لم نصل إلى النهاية بعد! فهناك طبق السلطة الخضراء الذي نحرص على تناوله يومياً.. هذا الطبق يحتوي على النترات Ni-trates (قد توجد أيضاً في مياه الشرب) المعروفة بارتباطها ببعض الأمراض الخطيرة مثل: سرطان المعدة، ومتلازمة الطفل الأزرق Blue - Baby Syndrome (عيب خلقي في القلب ينتج منه ضخ بعض الدم غير المؤكسج Deoxygenated Blood أو كله حول الجسم بدلاً من ضخه إلى الرئتين

رش المحاصيل الزراعية بالمبيدات له أضرار جسيمة على صحة الإنسان



ليتشبع بالأكسجين، ومن ثم يصبح لون الجلد والشفايف أزرق أو بنفسجياً)، ومن المثير أن النترات توجد أيضاً في أعشاب الراوند Rhubarb المعروفة بفوائدها الطبية.

يقول بروس أميس Bruce Ames، الخبير الأمريكي، والمعروف بأبحاثه الرائدة في هذا المجال: إن استهلاكنا من هذه المبيدات التي توجد طبيعياً في الخضراوات والفاكهة الطازجة أكثر من استهلاكنا من المبيدات الصناعية Synthetic Pesticides بنحو عشرة آلاف ضعف. والأدهى من ذلك أن هذه الكميات في تصاعد مستمر بسبب استنباط أنواع جديدة من النباتات - عن طريق تقنية الجينات - أكثر مقاومة للآفات، لذا فهي تحتوي على تركيزات مرتفعة من هذه السموم الطبيعية.

إعداد وجبة مميتة

Cooking Up a Lethal Meal

من المعروف أن طبخ الطعام يؤدي إلى إحداث عدد من التغيرات الفيزيائية والكيماوية بهدف تحسين الطعم والقوام، ولكن يا للأسف! فقد يؤدي الطبخ إلى حدوث تفاعلات كيماوية غير مرغوبة، فيتحول مركب بريء إلى مركب سرطاني مميت. فعلى سبيل المثال: احتراق البروتينات في أثناء شي اللحم وتحولها إلى اللون البني يؤدي إلى تكوين مركبات خطيرة لها القدرة على

إحداث طفرات في المادة الوراثية DNA مسببة أورامًا سرطانية. وبالمثل، فإن احتراق الكربوهيدرات لإنتاج المركبات الكراميلية Carmelized Products يؤدي إلى النتيجة السابقة نفسها.

يقول الخبير الأمريكي بروس أميس: إن معظم الناس تستهلك عدة جرامات من هذه المواد المحروقة يوميًا موازنة بنصف جرام فقط من القطران عند استهلاك علبتين من السجائر.

والسؤال الآن هو: كيف يستطيع الجسم الصمود أمام هذا الكم الهائل من المواد السامة في الغذاء، سواء أكانت طبيعية أم صناعية؟ ما نعرفه عما يحدث للسموم الطبيعية في الجسم قليل موازنة بالسموم المخلقة صناعيًا، ومعظم المعلومات المتوافرة لدينا أتت من تجارب على الفئران ومن الصعب تطبيقها على الإنسان. وتشير الأبحاث إلى وجود مواد طبيعية في الغذاء مضادة للسرطان Natural Anticarcinogens مثل الجلوكوزينولات Glucosinolates والسلفافانات Sulpha-phanes الموجودة في البروكلي والكرنب والقرنبيط، والأيزوفلافونات Isoflavons الموجودة في فول الصويا، والأليسين Allicin الموجود في الثوم، ومضادات الأكسدة الموجودة في الفواكه الحمضية (فيتامين C) والخضراوات (البيتاكاروتين) وزيت الزيتون (فيتامين E) والطماطم (الليكوبين)، وغيرها (انظر الفيصل العددين: ٣٠١، ٣٠٣)؛ هذه المواد قد تقوم بإبطال مفعول تلك السموم الطبيعية، بالإضافة إلى الأنزيمات المضادة للأكسدة Antioxidant enzymes الموجودة طبيعيًا بالجسم، وتقوم بإزالة التلفيات أو الأضرار التي تحدثها السموم الغذائية. وفي النهاية يؤكد العلماء أنه لا خوف من تناول الكثير من الخضراوات والفاكهة الطازجة، ولكن يجب الحذر عند تناول المشويات.

هل تأكل هذه الأطعمة؟

الطعام	التأثيرات السمية	درجة الخطورة أو الضرر
البطاطس الخضراء Green Potatoes	**تحتوي على السولانين Solanine الذي يوقف عمل الأنزيمات، ويؤثر في الجهاز العصبي.**	**لا خوف من تناولها بكميات بسيطة.**
جوزة الطيب Nutmeg	**تحتوي على ميريستيسن Myristicin الذي يسبب الغثيان والهلوسة.**	**يحدث الضرر عند تناول كميات كبيرة.**
زبدة الفول السوداني Peanut Butter	**ربما تحتوي على الأفلاتوكسين Afla-toxins التي تعد من أقوى المواد المسرطنة المعروفة.**	**لا خوف إذا ما تم تحضيرها من مصادر موثوقة بحيث تضمن خلوها من الفطريات أو عدم تجاوزها الحدود المأمونة.**
المحار Shellfish	**ربما تحتوي على ساكسي توكسين Saxitoxin بضعة مليجرامات منه تسبب الشلل أو الموت.**	**لا خوف إذا كان من مناطق منخفضة في البلانكتون Plankton (عوالق نباتية دقيقة).**



أشعة الشمس وخطورة الأشعة فوق البنفسجية على جلد الإنسان

ثانياً: تأثير السموم في أجهزة الجسم ووظائف الأعضاء المختلفة

ـ الجهاز التنفسي Respiratory System:

الوظيفة الرئيسة للرئتين هي التبادل الغازي، بمعنى توصيل الأكسيجين الجوي إلى أنسجة الجسم المختلفة خلال الدم، والتخلص من ثاني أكسيد الكربون الناتج من عمليات التمثيل الغذائي وتوليد الطاقة. ولتحقيق هذا الهدف زود الخالق عز وجل الرئتين بميكانيكية معقدة: المسطح الكبير Surface Area، الممرات الهوائية، الفاصل الدقيق بين الهواء الجوي والدم داخل الشعيرات الدقيقة. إلا أن السموم قد تجد طريقها إلى الجهاز التنفسي في عدة صور.. غازات، سوائل، أو مواد صلبة، ومن ثم تنتقل إلى الأعضاء الأخرى. وتستقبل الرئتان جميع الدم الذي يضخه القلب Cardiac Output ثم يحدث التبادل الغازي، ويتم توزيع الدم بسرعة على الأعضاء الأخرى.

وبسبب هذا الدور الحيوي الذي يؤديه الجهاز التنفسي، إن تعرضه للسموم يؤثر تأثيراً خطيراً في الصحة. وقد أدى إلى التقدم في وسائل التشخيص ودقة الاختبارات، بالإضافة إلى زيادة متوسط الأعمار إلى اكتشاف أعداد كبيرة من البشر تعاني الأمراض التنفسية المزمنة مثل الحساسية الصدرية أو الربو Asthma، والتهاب الشعب الهوائية Bronchitis، والأمفزيما Emphysema والتليف الرئوي Pulmonary Fibrosis. وقد أثبتت الاكتشافات الحديثة أن شبكة الأوعية الدموية في الرئتين تقوم بوظائف أخرى ـ بخلاف ما ذكر ـ غاية في الأهمية، مثل تنظيم تركيز مركبات الأنجيوتنسين Angiotensin والبروستاجلاندين Prostaglandins في الدم، مما يزيد الأمر تعقيداً في حالة اختلال هذه الوظائف، فيفقد الجسم قدرته على تنظيم ضغط الدم ومعدل سريانه، وفي النهاية يضرب التبادل الغازي. وتقوم الكلى أيضاً بإخراج السموم التي تم استنشاقها، أو التي وصلت إلى الدم بطرائق

أخرى، وذلك بسبب امتلاكها لنظام السيتوكروم النشيط Cytochrome P-450 الذي يقوم بتحوير أو تمثيل كثير من المركبات السامة بهدف التخلص منها. وهذه الخاصية، على أهميتها وفائدتها الكبيرة، سلاح ذو حدين، فإن كان تركيز المواد السامة كبيراً فإن النتيجة تكون عكسية، وتؤدي إلى تسمم الرئتين أو الكلى. وتختلف المواد السامة فيما بينها من حيث تخلص الرئتين منها، فالالكترونيات (المركبات الأيونية الذائبة في الماء) والمركبات غير المتأينة يتم التخلص منها سريعاً، أما الجزيئات Particles فيتم التخلص منها عن طريق مزجها بالمخاط Mucus أو بحركة الأهداب Cilliary Action. وإذا ما اختلت وظيفة الرئتين

الهواء في المدن الصناعية أكثر تلوثاً من غيرها

لسبب ما، فلن تستطيعا التخلص من المواد السامة، مما يؤدي إلى زيادة تركيزها في الجهاز التنفسي والأجهزة الأخرى. ويعدّ التدخين أو تسميم الذات Self Intoxication كما يطلق عليه أحياناً، من أهم الأسباب التي تعوق الرئتين عن أداء إحدى وظائفهما الحيوية المهمة.. ألا وهي التخلص من السموم التي يتعرض لها الجسم.

ـ الجهاز البولي ووظائف الكلى Kidney Functions:

معظم المعادن الثقيلة Heavy Metals تؤدي إلى درجات مختلفة من الفشل الكلوي طبقاً لدرجة تركيز هذه المعادن ومدة التعرض لها. وتبدأ أعراض التسمم بظهور الجلوكوز والأحماض الأمينية في البول الذي تزداد كميته بدرجة ملحوظة Polyurea. وقد وهب الخالق عز وجل الكلى ميكانيكية معينة لحمايتها من التسمم عند التعرض لجرعات منخفضة من المعادن الثقيلة، فتقوم الأنابيب الكلوية في أنسجتها قبل أن تظهر أي أعراض عضوية تدل على التسمم، ثم تقوم جسيمات معينة موجودة في الخلايا تسمى ليزوزومات Lysosomes بمهاجمتها وابتلاعها بعد ربطها بالبروتين Metal - Protein Complex ثم التخلص منها بطرائق خاصة. *صُنْعَ اللهِ الذي أتْقَنَ كلَّ شيء*. **النمل**:٨٨.

أما التعرض لجرعات كبيرة من المعادن الثقيلة فلا تنفع معه هذه الطرائق الوقائية، فيؤدي إلى موت الخلايا الكلوية Necrosis وإخفاقها في أداء وظائفها، مما يؤدي إلى ازدياد النتروجين في الدم، ثم يتوقف إفراز البول Anurea، وتحدث الوفاة.

ـ الدم Blood:

تؤدي السموم الكيماوية إلى إخفاق النخاع العظمي Bone Marrow في إنتاج خلايا الدم بجميع أنواعها، وتسمى هذه الحالة Pancytopenia، وتحدث عند التعرض المكثف للإشعاعات المؤينة Ionizing Radiations أو الكيماويات السامة مثل البنزين Benzene، والليندان Lindane، وغاز الموستارد Mostard، ومركبات الزرنيخ Arsenic والكلورومفينكول Chloramphenicol والذهب Goldوغيرها. بعض المركبات تؤدي إلى تحلل الكرات الدموية الحمراء في الدم فتسبب الأنيميا، مثل الصابونين Saponin، والفنيل هيدرازين Phenylhydrazine، والزرنيخ Arsenic، والنفتالين Naphthalene.

ـ الجهاز المناعي Immune System:

تؤثر المواد الكيماوية في الجهاز المناعي من خلال

أربع طرائق رئيسة:

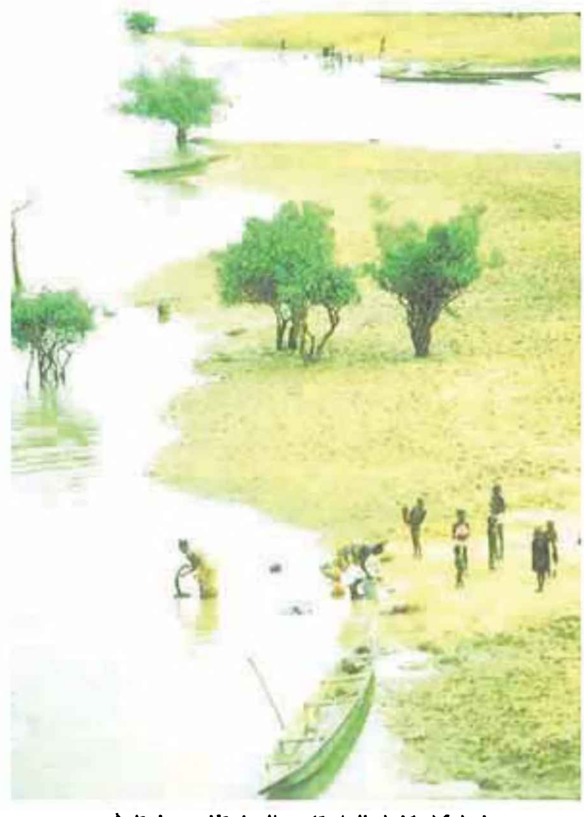
- تثبيط المناعة Immuno - Suppression
- فقد السيطرة على تكاثر الخلايا Uncontrolled Proliferation كما يحدث في حالة الليوكيميا والليمفوما (سرطان الدم والغدد الليمفاوية).
- تحوير أو تغيير طرائق مقاومة الجسم للجراثيم والفيروسات.
- إصابة الجسم بالحساسية Allergy أو المناعة الذاتية Autoimmunity

ومن المعروف أن وظيفة الجهاز المناعي هي تعرّف المواد الغريبة أو الضارة والتخلص منها، وهناك نوعان من الاستجابة المناعية Immune Response لتحقيق هذا الهدف:

أ- المناعة الخلوية Cell - mediated Immunity وعن طريقها يتم رفض الأعضاء المزروعة بالجسم Graft Rejection ومقاومة العوامل المعدية الشديدة مثل بعض أنواع الفيروسات والبكتيريا والطحالب.

ب- المناعة السوائلية Humoral Immunity وعن طريقها يتم إنتاج الأجسام المضادة Immunoglobulins بعد التعرض للعوامل الممرضة Antigens مثل الجراثيم والفيروسات.

وأحياناً لا يستجيب الجهاز المناعي للمواد الغريبة بالطريقة الصحيحة فتنشأ أمراض الحساسية Allergic Reactions. والجهاز المناعي السليم هو الذي يستطيع أن يفرق بين ما يخص الجسم وما هو غريب عن الجسم، وإذا ما اختل هذا الميزان الدقيق يقوم الجسم بإنتاج أجسام مضادة لذاته Antibodies to self وهو ما يعرف بالمناعة الذاتية Autoimmunity. وقد تتحد المواد البيئية الغريبة مع أنسجة الجسم أو بروتينات مصل الدم، وينشأ عن ذلك استجابة مناعية ضد هذه البروتينات أو الأنسجة المحورة Modified self antigens تؤدي إلى إلحاق الضرر بالخلايا أو موتها. وكثير من الكيماويات أو المعادن تقوم بهذا الدور مثل Hydralazine & Procainamide وبعض المبيدات الحشرية مثل Dieldrin والمعادن مثل الذهب والزنبق. ومن ناحية أخرى تقوم بعض العقاقير مثل



إساءة استخدام الماء تؤدي إلى ارتفاع معدل تلوثه

الكورتيكودات الإستيرويدية Corticosteriods (الكورتيزول) بتثبيط الجهاز المناعي حيث تسبب تحلل الخلايا الليمفاوية في بعض أنواع الحيوانات، أو تقوم بتحوير طريقة عملها في أنواع أخرى مثل الإنسان. بعض المواد الأخرى مثل Alkylating Agents تؤثر في الحمض النووي DNA فتسبب الموت الفوري للخلايا، أو تتسبب في تحلل الخلايا في أثناء الانقسام الميتوزي، وهي بهذا العمل تحاكي الدور الذي يقوم به الإشعاع Re-diation ولذلك يطلق عليها العقاقير المقلدة للإشعاع Ra-dio Mimetic Drugs ويستخدم عقار السيكلوسبورين Cyclosporin A في تثبيط المناعة، ولكن بطريقة تختلف عما سبق، فهو متخصص في التأثير في الخلايا التائية المساعدة T - Helper Cells ومن مميزاته عدم التأثير أو التأثير الضعيف في الخلايا المناعية الأخرى.

- الجهاز التناسلي Reproductive System:

تؤثر المواد الكيماوية السامة في التناسل بداية من

مرحلة تكوين الجاميطات Gametes (الخلايا التناسلية) حتى الولادة Birth، وهي أخطر المراحل في رحلة الحياة. وهناك الكثير من الأمثلة التي تؤيد هذه الحقيقة، ففي الولايات المتحدة الأمريكية أصيب العاملون في بعض المصانع بالعقم نتيجة تعرضهم لمادة معينة Dibromo Chloropropane، كذلك أصيب العاملون في مناجم الرصاص في ولاية ميسوري بالولايات المتحدة، وفي مصانع البطاريات في بلغاريا، وفي مصانع المذيبات (التلوين، البنزين، الزيلين) في السويد بضعف وقلة الحيوانات المنوية وبدرجات مختلفة من العقم نتيجة تعاملهم مع هذه الكيماويات. وعلى الرغم من صعوبة تقويم المواد الكيماوية على التناسل بسبب تعقيدات هذه العملية وعدم كفاءة الاختبارات، خصوصاً بسبب طبيعة هذه البيانات وحساسيتها، فإن نتائج الأبحاث تشير إلى أن العقم يصيب واحداً من بين كل خمسة أزواج، وأن أكثر من ثلث الأجنة تموت في مراحل مبكرة، وأن نحو ١٥٪ ممن يثبت الحمل لديهن يحدث لهن إجهاض تلقائي، وبعد انتهاء الحمل يولد ٣٪ من الأطفال بعيوب خلقية Developmental Defectc ليس من الضروري أن تكون تشريحية ظاهرة Anatomical، وبعد تقدمهم في العمر يصبح ضعف هذا العدد مصاباً بعيوب ظاهرة. وقد كان لاستعمال المركبات ذات التأثير الإستروجيني مثل Diethylstilbesterol (DES) تأثيرات غاية في الخطورة، فعند استخدامه في علاج الأمهات أدى إلى إصابة مواليدهن من الإناث عندما وصلن إلى سن البلوغ بعدد من الأمراض التناسلية، مثل عدم انتظام الدورة الشهرية، وضعف الخصوبة، بالإضافة إلى إصابة بعضهن بالسرطان Adenocarcinoma. ونستطيع ببساطة أن ندرك مدى خطورة هذا التلوث الاستروجيني إذا ما عرفنا أن الولايات المتحدة وحدها استعملت ٢٧ طناً من مادة DES - قبل حظر استخدامها - في تغذية الحيوانات الزراعية. كذلك تم استعمال الكيبون ومشتقاته Kepone ومشتقات مادة DDT والمواد الحلقية الهيدروكربونية PAH وكلها مواد ذات تأثير إستروجيني مثل الزيرالينون Zearalenone وأكثر من ٤٠ نوعاً من النباتات تحتوي على مواد استروجينية مثل Coumes-trol, Genistein.

وفي النهاية يقول الخالق عز وجل في كتابه الكريم: *واذكُرُوا إذ جعلَكُمْ خُلَفَاءَ من بعد عادٍ وبَوَّأكُم في الأرض تَتَّخذُونَ من سهولها قُصوراً وتَنْحَتُونَ الجِبالَ بُيوتاً فاذكُرُوا آلاءَ الله ولا تَعْثَوا في الأرض مُفسِدينَ.* **الأعراف: ٧٤.**

المراجع

1- Aldridge, S. (1998). Toxic Overload. Focus. April, pp. 56 - 60. Gruner + Jahr (G+J) AG & Co, London, UK.

2- Comber. M. (1998). Eating Organic: is it Worth it? Health & Fitness. Pp. 56 - 60. Nexus Media, UK.

3- Klaassen, C.D., Amdur, M. O., Doull, J. (1986). Casarett and Doull,s Toxicology (3rd Ed.) Macmillan Publishing Co., New York, USA.

٤. الأحمد، ج. أبو لسان م. (٢٠١١م) صحة البيئة صحة الحياة. الصحة العربية. العدد الأول (نوفمبر) ص ٥٢ - ٦٣ مؤسسة العلم للصحافة، المملكة العربية السعودية.

٥. الأشرف، م.غ. (١٩٩٩م)، ترشيد استخدام مبيدات الآفات والمخصبات الزراعية ضرورة بيئية واقتصادية، التقدم العلمي، العدد ٢٨ أكتوبر/ديسمبر، ص٣٢ - ٣٤، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت.

٦. الهيتي، ع.ع. (٢٠٠٠م) المياه الجوفية بين الاستنزاف والتلوث، الفيصل، العدد ٢٨٣ أبريل/مايو، ص٧٤ - ٨٠، دار الفيصل الثقافية - المملكة العربية السعودية.

٧. النحلاوي، م.ع. (٢٠٠٠م) الحل والمصير، ثاني أكسيد الكربون وغازات الدفيئة، الفيصل العدد ٢٨٨، سبتمبر، ص ٧٥ - ٨٠، دار الفيصل الثقافية - المملكة العربية السعودية.

٨. أرناؤوط، م. (١٩٩٩م)، الإنسان وتلوث البيئة، الدار المصرية اللبنانية - القاهرة.

٩. حربي، م. (١٩٩٩م)، البيئة والتنمية في تقرير الأمم المتحدة، إنقاذ كوكبنا: التحديات والآمال - التقدم العلمي، العدد ٢٨، أكتوبر/ديسمبر، ص٣٨ - ٤١ - مؤسسة الكويت للتقدم العلمي - الكويت.

١٠. مجلة «زهرة الخليج» (١٩٩٥م)، العدد ٨٦٥ (أكتوبر) أبو ظبي - الإمارات العربية المتحدة.

١١. سلوم، م.غ، النبات وحماية البيئة من التلوث، الفيصل: العدد ٢٦٦ نوفمبر/ ديسمبر - ص ٧٨ - ٨٢، دار الفيصل الثقافية - المملكة العربية السعودية.

١٢. شتيوي، م.م. (١٩٩٧م)، منشورات كلية العلوم الزراعية والبيئية - جامعة قناة السويس فرع العريش - جمهورية مصر العربية.

١٣. شتيوي، م.م (٢٠٠١)، ثمانية أنواع من الأغذية النباتية تتصدر قائمة الطعام الصحي، الفيصل: العدد ٣٠١ سبتمبر/أكتوبر. ص٧١ - ٧٩. دار الفيصل الثقافية - المملكة العربية السعودية.

١٤. عبدالجواد، غ. ص. (١٩٩٦م)، النترات والنتريت والنيتروزامين وبعض العناصر الثقيلة كمواد سامة في الأغذية الخام والمصنعة في سلسلة ندوات الثقافة البيئية «تلوث الغذاء» ص١٣ - ٢٠، مركز الدراسات والبحوث البيئية، جامعة أسيوط - جمهورية مصر العربية.

١٥. مجلة «عالم الإعاقة»(٢٠٠١م)، العدد ٢٣ (نوفمبر)، مؤسسة العلم للصحافة - المملكة العربية السعودية.

مسابقة الفيصل

أسماء الفائزين في مسابقة العدد (٣٠٩)

ربيع الأول ١٤٢٣هـ - مايو / يونيو ٢٠٠٢م

الفائز الأول: **قائد محمد ثابت الصلوي - تعز - اليمن.**

الفائز الثاني: **نوال بنت عبده بن علي مهيوب - الرياض - السعودية.**

الفائز الثالث: **عماد عبايس - المنستير - تونس**

الفائز الرابع: **عزت عبدالعزيز عبده خليل - تلا - مصر.**

الفائز الخامس: **د. سعاد مصطفى جلال الدين - دمشق - سورية.**

الفائز السادس: **معروف صادق سلامة - إربد - الأردن.**

الفائز السابع: **فاطمة أحمد كوسا - بيت الدين - لبنان.**

الفائز الثامن: **خالد حسن حسن باصيد - صنعاء - اليمن.**

حل مسابقة العدد (٣٠٩)

عدوك ذو العقلِ أبقى عليك من الصاحبِ الجاهل الأخرق

قائل البيت هو: صالح بن عبدالقدوس.

٢- الأوزاعي: فقيه ومحدث مسلم.

٣- فلكان: إله النار وصنع الأدوات المعدنية عند الرومان.

٤- السنهدريم: المجلس الأعلى عند اليهود القدماء.

٥- السنسكريتية: لغة الهند الأدبية القديمة.

أسئلة مسابقة العدد (٣١٢)

ضع علامة [✓] أمام الإجابة الصحيحة:

(١) من قائل هذا البيت: وأحبُها وتحبني ويُحِبُّ ناقتَها بعيري
☐ امرؤ القيس ☐ المُنخَّل اليشكري.

(٢) ديوجينس (ديوجين):
☐ فيلسوف يوناني، دعا إلى التقشف، وعاش في برميل
☐ فيلسوف يوناني قال: إن الآلهة ليست غير أبطال حقيقيين ألهتهم الأساطير.

(٣) البلوتوقراطية:
☐ علم البحث في أصل الإنسان القديم ☐ حكومة الأثرياء.

(٤) «الخليفة المطرب» لقب أطلق على:
☐ الخليفة العباسي إبراهيم بن المهدي، أخي هارون الرشيد
☐ الخليفة الأموي الأندلسي عبدالرحمن الناصر، وكان يغني الموشحات.

(٥) الباليوسين:
☐ العصر الحديث الأسبق ☐ غاز عديم اللون، كريه الرائحة.

الاسم: ________ المدينة: ________ ص.ب: ________ هاتف: ________

العنوان: ________ الدولة: ________ الرمز البريدي: ________ ناسوخ: ________

■ **نأمل من الإخوة الذين يشاركون في المسابقة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني حسب أوراقهم الثبوتية ليسهل على الفائزين صرف مكافآتهم.**



شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يوماً من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد .....).

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة للفائز الثالث، وهكذا إلى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات عدد كبير من الإخوة القراء المتابعين للمسابقة والتي عبروا عنها من خلال الرسائل الكثيرة التي ظلت ترد إلى المجلة، ولإتاحة فرص الفوز بالجوائز لعدد أكبر منهم، فقد تمت مضاعفة عدد هذه الجوائز ابتداءً من العدد ٢٩٦ لتصبح على النحو الآتي:

الجائزة الأولى:	١٠٠٠ ريال.
الجائزة الثانية:	٧٠٠ ريال.
الجائزة الثالثة:	٥٠٠ ريال.
الجائزة الرابعة:	٤٠٠ ريال.
الجائزة الخامسة:	٢٥٠ ريالاً.
الجائزة السادسة:	١٥٠ ريالاً.
الجائزة السابعة:	(اشتراك لمدة عام في مجلة الفيصل).
الجائزة الثامنة:	مجموعة من أعداد الفيصل وبعض إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة. والفيصل، مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دوماً، مع تمنياتنا حظاً وافراً لجميع القراء الأعزاء.

عنوان المجلة:

ص.ب(٣) - الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية. هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ / ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

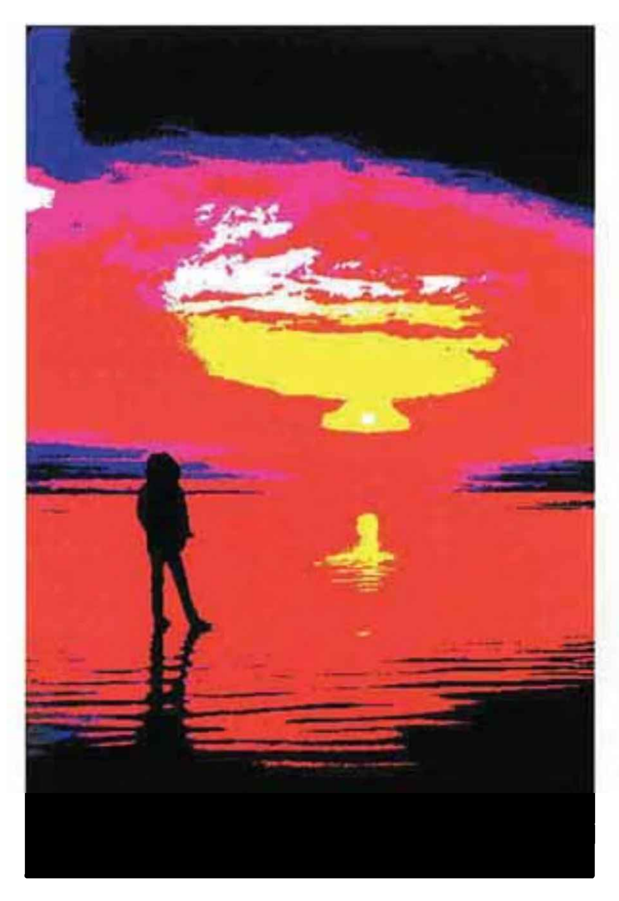
خيار انتحار

سعد البواردي
القاهرة ـ مصر



أحرقْ نفسكَ
يا عالمنا المجنون
ما دامت تستهويك النار
مزّقْ نفسكَ بسكين!
أو بصاروخ..!
أو بالسم..!
مادام الحتفُ خياراً!
يا عالمَنا الموجوع..
المجنون.. والمسكون
بكل خيارات الأشرار..
أوسعْ..! أوجعْ..!
كل هواة اللهو على فلتكَ
عشاق دمار..
لكن..!
ما أبشعَ لكن..!
حين يزُفُ الموتُ
على تابوتُ عار..!

***



طيف

أماني حاتم بسيسو
عمان ـ الأردن

حــــدّق مليّـــا في الأفُق
يـاقلـبُ قـــد طـال الأرَقْ
حــــدّق هنالك قــــد ترى
طيـفـا تبـدّى أو مـرَقْ
أو قــفْ تمـهّــل إنــه
لا ليس يُدرك بـالحـــدَقْ
هو خطـرة في فكر حـــيـ
ـران يُســاوره القـلـقْ
هو قـبـضـة النّور الحـبـيـ
ـسة بين أمـواج الغـسقْ
طـيـفٌ تجـلـى لحـظـة
مــثل الومـيـض إذا برَقْ
يـا أيهـــا الـومْض الـذي
لسناه قلبي قــد خـــفقْ
كُن فــيـضَ نـور مُطلق
من طلعـة الفـجـر انبـثقْ
مع كلّ مُــزْنٍ مُــثـقلٍ
بالشـوق كن مـاءً غـدَقْ
أحــببْ إذا شـئتَ السـوا
دَ، أو اجـتنبْ نـورَ الفلَقْ
لـكـن إذا حـنّ الـفــؤا
دُ لفـيض إحـساس الحُـرَقْ
أو طاف يبـغي في الدُّنى
مـن لا يُـداهـن فـي مَـلَـقْ
فـاذكـر بأنّ هناك قلـ
ـبًا واحـدًا لك قـد صَـدَقْ
إذ ذاك فلتُـقـبـلْ ولا
يثْنيك خـوفٌ أو فـرَقْ

الطوفان.. ومدن الوهم

حسين علي محمد

الرياض - السعودية

- ١ -

ماذا يفعل في دنيانا الإنسان؟

أسدلَ هذا الليلُ ستارَ الصمتِ على الأحزانْ

لا أجدُ الملجأ

عطشانًا كنتُ..

شربتُ دموعي

جوعانًا كنتُ

فأغلقتُ العينينِ المتورِّمتيْن، وقلتُ:

إني أحيا في صحراءِ الخوفْ

أصواتُ الناسِ ضجيجٌ يملأُ أذنيَّ

أخفي شوقي - حدَّ السيْفْ

بينَ ضلوعي!

- ٢ -

عمري.. كالحقلِ المُجدبِ، كالنورِ النعسانْ

كزهورٍ تتساقطُ إذْ يلمسُها شخصٌ ما

فالموتُ أمامي.. في كلِّ الطرقاتْ

في كلِّ مكانٍ أبصرُ شخصًا يزرعُ شوكًا

وعليَّ حصادُ الشوْكْ

في زمنِ الطوفانْ!

- ٣ -

أرحلُ في مدنِ الوَهمِ بقلبٍ غضبانْ

لا أعرفُ أينَ الوجْهَهْ؟

لكنّي أشعرُ أني أحملُ قلبًا

أبيضَ كاللبنِ

نقيًا كالثلجِ

مُضيئًا كالشمسِ

نديًا كالبستانْ

- ٤ -

قال القلب النابضُ بالصدقِ، وقد أفتاني:

حولكَ عاصفةٌ وضجيجْ

ونِزالٌ.. وطعانْ

أسألُ قلبي: هل أحيا

أمْ أقتلُ.. ظمآنْ؟

فيُجيبْ:

يُعطيكَ الحبُّ حياةْ

أسألُ قلبي:

لكنَّ العالمَ يغرقُ في بحرِ الدمْ

فيُجيبْ:

لن ينتشلَ العالمَ من وَهْدتِه غيرُ الحبْ

وإلاَّ..

.. فستجرفُهُ موجاتُ الدَّمِ السكرانْ!

- ٥ -

لن أضربَ في أرجاءِ الوَهمِ الحيْرانِ

سأعودُ لداري فرِحًا

ذاتَ مساءٍ نَشْوانْ

وستُفرخُ أطيارُ الحبِّ على نافذتي

وستشدو

ذاتَ مساءٍ نَشْوانْ:

عمَّ الكونَ سلامٌ وأمانْ

عمَّ الكونَ سلامٌ وأمانْ



أبو صَخْرِ الهُذلي*

إذا قُلتُ: هذا حينَ أسلو، يَهيـجُني
نسيمُ الصَّبا من حيثُ يَطلعُ الفجرُ(١)

وإنّي لَتَعْروني لذكراكِ فَتْرةٌ
كما انْتَفضَ العُصفورُ بَلَّلهُ القَطْرُ(٢)

هَجَرْتُكِ حتى قيلَ: لا يَعرِفُ الهوى،
وزُرْتُكِ حتى قيلَ: ليسَ لهُ صَبرُ!

صَدَقْتِ، أنا الصَّبُّ المُصابُ الذي به
تَباريحُ حُبٍّ خامرَ القلبَ أو سِحرُ(٣)

أما والذي أبكى وأضْحكَ والذي
أماتَ وأحيا والذي أمرُهُ الأمْرُ،

لقد تركَتْني أحْسُدُ الوحشَ أن أرى
أليفَيْنِ منها لا يَروعُهما النَّفرُ(٤)

فيا هجرَ ليلى، قد بلغتَ بيَ المدى
وزدتَ على ما لم يكن بلغَ الهجرُ

ويا حبَّها، زِدْني جَوىً كلَّ ليلةٍ،
ويا سَلْوةَ الأيامِ، مَوْعِدُكِ الحَشْرُ(٥)

عَجِبْتُ لِسَعْيِ الدهرِ بيني وبينها،
فلمّا انقضى ما بيننا سَكَنَ الدَّهرُ(٦)

وإنّي لآتيها، وفي النفسِ هَجْرُها
بَتاتًا لأُخرى الدهرِ ما وَضَحَ الفجرُ(٧)

فما هو إلّا أن أراها فُجاءةً
فأُبْهَتَ لا عُرفٌ لديَّ ولا نُكرُ(٨)

تكادُ يدي تَنْدى إذا ما لمسْتُها
ويَنْبُتُ في أطرافِها الورقُ الخُضْرُ!

الهوامش

١. حان الوقت أن أسلو: أنسى حبها. يهيجني: يثيرني، يجدد حبّي... من حيث يطلع الفجر: منذ مطلع الفجر (كل يوم صباحًا).

٢. تعروني: تصيبني. القطر: المطر.

٣. تباريح: توهج (تجدد مع ازدياد). خامر: داخل واختلط.

٤. النفر: التنفير، الطرد (ألف كل واحد منهما الآخر حتى نسيا كل ما حولهما، فإذا مر بهما أحد أو وقع بقربهما حادث فإنهما لا يشعران به).

٥. الجوى: شدة الوجد (التعلق والتأثر. اللذان يثيرهما اشتياق أحد إلى آخر). موعدك الحشر: يوم القيامة.

٦. أنا استغرب كيف كان الدهر يسعى بيننا دائبًا حتى أحب كل واحد منا الآخر. فلما انقضى: انصرم؛ زال ما بيننا. سكن (هدأ) الدهر: كفّ عن السعي للجمع بيننا. ـ اللفظ والمعنى الملموح جميلان، ولكن المقصود بالشطر الثاني غامض. لعل المقصود: أن الدهر قرب بعضنا من بعض ثم تركنا من غير أن يجمع بيننا فأدخل على نفوسنا هذا الشقاء).

٧. وضح الفجر: طلع الفجر (كل يوم). ـ كل يوم أزورها وأنا أقول في نفسي: هذه آخر مرة سأزورها فيها.

٨. فجاءة: فجأة، بغتة، على غير موعد أو انتظار. بهت (بالبناء المجهول): حار، دهش، بطل تفكيره وعمله. لا عرف لدي ولا نكر: لا أجزم بما أمامي (لا أدري أي أفضل: أأعرف فضل حبي لها عليّ أم أنكر شقائي بهذا الحب).

* هو عبدالله بن سَلْم السَّهْميّ أحد بني هُذيل. كان من أنصار بني مروان، وقد لقبه عبدالملك بن مروان بأبي صخر الهُذليّ. وهو شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية. وكان شاعرًا غزلاً رقيقًا فصيح الألفاظ سهل التراكيب واضح المعاني يظهر على شعره أثر الإسلام والقرآن. ومع أن مُعظم شعره في الغزل والنسيب، إلاّ أنّ له مديحًا ورثاء جيدًا وفخرًا وهجاء، والحكمة ظاهرة في شعره. وكان مقتدرًا في الكلام المنثور أيضًا.

[تاريخ الأدب العربي لعمر فروخ - دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ط٤، ١٩٨١م]

ليلة باردة جداً

محمد مكرم بن عمر محمد بلعاوي
الدمام - السعودية

توجه سعيد التائه وصاحبه رفيق إلى مقربة من الشقة حيث يتزاحم الناس على باب العمارة، ورجال الإطفاء منهمكون بمدّ خراطيم المياه وإطلاق الماء في جميع الاتجاهات. اخترقا جمهور الواقفين، وهمّ سعيد بدخول العمارة عندما أمسك أحد رجال الإطفاء ذراعه وجرّه إلى الخارج.. «أمجنون أنت؟» صاح رجل الإطفاء في وجه مسعود.

- «أريد أن أعرف الذي حصل.. أريد أن أرى المنزل من الداخل».

- «ليس الآن.. ليس الآن..».

لم تمض عشر دقائق حتى أتمّ رجال الإطفاء عملهم، ربما لأن النار أتت سريعاً على كل شيء. دخل سعيد وصاحبه الشقة التي تحولت إلى كهف أسود الجدران وغاصت أقدامهما بوحل أسود يكسو الأرض. كان المنظر رهيباً، أكوام من الكتل السوداء، قطع الأثاث، الإطارت على الجدران، الستائر، هياكل الأجهزة الكهربائيّة، كلها تحولت إلى مادة سوداء بلا شكل، حتى قضبان الحديد تدلت متقوسة من السقف تحت تأثير الحرارة المرعب.

جثة متفحمة قد أمسكت بقضبان الحديد التي تحمي النوافذ، وقد جمدت على حالها، وجثث أخرى قد تناثرت هنا وهناك في أوضاع مختلفة.

- «أنتما.. ماذا تفعلان هنا..؟» جاء صوت من الخلف «أنتما ما الذي تفعلانه هنا بالضبط..؟»

- «نحن؟» سأل سعيد وقد التفت نحو مصدر الصوت، فإذا ضابط شرطة وحوله مجموعة من أفراد الشرطة والإطفاء.

- «هل أنتما من أصحاب البيت؟»

- «نحن، لا الحقيقة..» رد رفيق حائراً.

- «إذن ما الذي أتى بكما إلى هنا؟» سأل الضابط.

- «سيدي.. سيدي.. هذا الفتى حاول دخول الشقة أثناء الحريق ولكنني قمت بمنعه.» قال أحد رجال الإطفاء مشيراً إلى سعيد.

- «آه.. دعني أخمّن قليلاً، أشعلتما النار بالشقة على أمل أن ترعبوا أهلها فيفروا منها ويخلو الجو لكما لتسرقاها، لكن انظرا ما الذي حدث؟ كم من الأنفس قتلتما؟ يا لكما من مجرمين! خذوهما ريثما ننتهي من التحقيق هنا.. » صرخ الضابط مغضباً.

- «مهلاً.. مهلاً.. لم نفعل شيئاً جئنا لنشاهد ما حدث فقط.. صدقوني هذا ما حدث فقط.. لست من أشعل النار.. صدقوني لم أفعل شيئاً..» صرخ رفيق محاولاً إقناع الجميع لكن رجال الشرطة واصلوا سحبهم إلى الخارج، وبحركة مفاجئة تمكنّ رفيق من الإفلات من قبضات رجال الشرطة، وركض هارباً بكل قوته.

ركب سعيد في سيارة الشرطة التي مضت على الفور. كان العرق البارد ينحدر على رقبته ليتدحرج على ظهره باعثاً في جسده رعشات من القشعريرة. أخذ سواد الليل المقبل يختلط بحمرة نارية والسيّارة تخترق شوارع المدينة باتجاه مركز الشرطة، وسعيد تدهمه نوبات من البرد تسري في أنحاء جسده، بينما بدا وجهه المتشح بطبقة من الرماد الأسود خالياً من أي تعبير، عيناه تهيمان في دنيا غير حاضرة في المكان..

- «انزل.. لقد وصلنا.. » قال أحد رجال الشرطة مخاطباً سعيد الذي نزل بمساعدة شرطي آخر وتوجها إلى زنزانة انفراديّة في أقصى المركز.

- «ادخل.. هيا.. هذا هو المكان الذي يليق بالمجرمين أمثالك..»

قال الشرطي وهو يدخل سعيد غرفة ضيقة تنبعث من أنحائها رائحة كريهة.

«لا تقلق سنجد صاحبك سريعاً حيثما ذهب، لن يفلت من

أيدينا أعدك بذلك..» ابتسم الشرطي وصفق الباب الحديدي بشدة فأصدر دوياً هائلاً تردد صداه في أنحاء المركز.

وقف سعيد في وسط الغرفة الضيقة وشخص ببصره إلى عل، كانت هناك نافذة صغيرة قرب السقف يدخل منها هواء شديد البرودة يتدلى أمامها مصباح كهربائي خافت يتأرجح مع هبوب الريح جيئة وذهاباً..

جلس سعيد على كتلة إسمنتيّة باردة يمكن أن تسمى سريراً، كان عقله عاجزاً عن التركيز في أي شيء فضلاً عن التفكير. لمحات من الضوء الساطع تذهب ثم تعود بسرعة هائلة لتملأ صفحة دماغه..

- «سعيد هل أعجبك ركوب القطار؟ »

- «نعم يا جدي.. لقد أعجبني كثيراً».

كانت الأنوار تدخل عبر النوافذ وتختفي بسرعة فائقة كلما مرت النافذة تحت عمود من أعمدة الإنارة المنتشرة على طول سكة الحديد في ظلمة الليل.

- «إذن نم الآن وفي الصباح سنصل إلى منزلنا، عليك بأن تعدني بأن لن تسبب أي مشكلات لجدتك وإلاّ فإنها سترجعك إلى منزل والديك فوراً وستكون المرة الأخيرة التي تأتي فيها لقضاء إجازتك المدرسيّة معنا.. أفهمت؟»

- «حاضر يا جدي».

- «أحسنت يا ولدي إنك صبي طيب، غداً صباحاً سأشتري لك الحلوى التي طلبتها مني».

- «جدي.. »

- «نعم يا ولدي.»

- «أشعر بالبرد يا جدي».

- «إذن نم على السرير وتغطى بعباءتي هذه».

مد سعيد جسده على الكتلة الإسمنتيّة الباردة وتغطى ببطانيّة رطبة، تكوّر على نفسه علّه يجد بعض الدفء، لكن رطوبة المكان ورائحته الكريهة كانتا تطبقان على صدره، سعل سعلة جارحة فاضطرب جسده تحت تأثير القشعريرة. مازال المصباح يتأرجح جيئة وذهاباً كبندول الساعة مع هبات الريح الباردة.

.. «أبي إنني أشعر بالبرد، أريد أن أنزل». قال مسعود والدمع يتطاير من جانبي عينيه وأنفه يسيل.. » لا نستطيع التوقف الآن، لا بد أن تتوقف الأرجوحة من تلقاء نفسها..»

- «لا أستطيع تحمّل هذا البرد إنني أتجمد..»

- «أنت الذي صممت على القدوم إلى مدينة الألعاب وركوب الأرجوحة في هذا الجو البارد، يجب أن تتحمل الآن نتائج فعلتك..»

ضحك والده «شعرك يقف كالشوك لا أدري أمن البرد أم من الخوف..»

«أبي.. إنني أتجمد يا أبي..» أبـ......ي.. «يبكي سعيد بصوت مرتفع. يأتي صوت هادر من الخارج» كف عن هذا يا فتى، هناك أناس يريدون النوم في هذا المكان». يفتح الحارس كوّة في باب الزنزانة الحديدي «نم الآن نم.. كي تستيقظ صافي الذهن للتحقيق في الصباح..»

- «إنني أشعر بالبرد في هذا المكان، ألا يوجد مدفأة أو بطانيّات إضافيّة؟» قال سعيد.

- «أحسب أنك ستطلب كوباً من النسكافيه بالحليب مع طبق من البسكويت أيضاً. إنك في زنزانة لا في فندق خمس نجوم، نم الآن.. نم وإلا عرفت كيف أنيمك..نم». صرخ الحارس بحزم وأغلق الكوة.

وضع سعيد جبهته على السرير كمن يسجد في صلاة خاشعاً وألقى البطانية على ظهره، وفجأة استيقظ على صدى دوي عظيم ملأ دماغه ولمعة غطت شاشة بصره، كان المصباح يتراقص في سقف الغرفة أمام عينيه وقد استلقى على الأرض دون حراك.

«أية ليلة ملعونة هذه التي أتت بهذا الولد الشقي إلينا، نم جعلها الله نومتك الأخيرة..». جاء الصوت من خارج الزنزانة.

- «دعونا نوقد ناراً فالجو بارد هنا». قال سعيد مخاطباً صديقيه.

- «يا صديقي في الليل وفي هذا المكان المهجور، النار رفاهية لا نستطيع تحمل ثمنها الباهظ.» قال رفيق.

- «أجل، إن نحن أشعلنا ناراً في هذا الليل وفي هذه الخربة تم كشفنا، وأنت تعلم جزاء من يضبط وهو يقوم بما نقوم به.» قال متعب. «ولكن الجو بارد، بارد جداً.» رد سعيد.

- «إذن خذ استنشق هذا المسحوق وستشعر بنار الآخرة تشب بين ضلوعك.». قال رفيق ضاحكاً.

- «وأنا أريد نشقة أيضاً». قال متعب.

- «اصمت. أنت تعرف القاعدة. ادفع ثم تنفس..» قال رفيق بحزم وضحك.

انكمش متعب على ذاته كيتيم مرعوب، بينما سحب مسعود نفساً عميقاً نشر المسحوق الأبيض في خياشيمه.

- «آه.. نار تشتعل في أنفي.. »قال سعيد.



- «انتظر حتى تنتقل النار إلى جنبيك.» قال رفيق ضاحكاً.

- «اسمع يا رفيق، أعطني الليلة فقط وأقسم بكل الأيمان إنني سأدفع لك.» قال متعب راجياً.

- «أنا أتعامل بالنقد فقط ولا أقبل الشيكات ولا الأقساط، أتحسب أنني جمعية خيرية؟ لا يهمني إن تسولت أو سرقت أو قتلت، المهم هو أن تدفع أولاً ثم تحصل على ما تريد».

- «هذه المرة فقط وهي آخر مرة صدقني».

- لا أريد أن أكرر كلامي، لقد أصبحت مملاً. هناك التزامات عليّ أن أوفي بها أم تحسب أنني أجد هذا القطران الذي تتناوله ملقى في الشارع؟».

- نعم هكذا أفضل.. يا سلام.. دنيا أخرى مع هذا المسحوق العجيب، أقصد القطران، ولكن القطران أسود يا رفيق فكيف نصف هذا الشيء بالقطران وهو أبيض؟!

- «قال سعيد منتشياً.

«كله يقتله فكله قطران، أبيض أسود لا فرق..» رد رفيق.

- اسمع يا رفيق، اعط متعب هذه الليلة فقط وأنا أتعهد بأن يدفع لك غداً». قال سعيد وهو يغمز رفيق بطرف عينه.

استنشق متعب نصيبه ودخل في عالم النشوة المحرمة، وتحولت تلك الخربة الباردة في ذلك الليل البارد إلى كهف للذات كما كان يحلو لرفيق أن يطلق عليها.

- «رفيق.. رفيق..» نادى سعيد بأعلى صوته وهو مستلق على أرض الزنزانة الباردة، والريح تعبث بالمصباح الكهربائي المدلى أمام عينيه «القليل من القطران يا رفيق».

- «اصمت أيها الملعون». صرخ أحد الحرّاس وقد فتح الكوة في الباب الحديدي، وحالما وقع بصره على سعيد نادى بأعلى صوته «سيدي الضابط.. سيدي الضابط.. أدركنا يا سيدي.. «هرع الضابط المناوب إلى الزنزانة ونظر من الكرة وأمر بفتح الباب على الفور. وقف عند رأس سعيد، كان أبيض كالشمع وشفتاه زرقاوان، والزبد ينبعث من فيه، وقد فتح عينيه على سعتها، وشخص بصره. انحنى الضابط عليه ووضع يده على جسمه «يا إلهي إنه قطعة من الثلج». وضع أذنه على صدر سعيد «النبض ضعيف جداً، استدعوا الطبيب على الفور.. هيا..»

اسمع يا متعب لقد كفلتك عند رفيق وعليك الآن أن تدفع له.» قال سعيد وهم يقفون على ناصية الشارع، بينما رفيق ينظر بالاتجاه الآخر مغضباً.

- «قلت لك هددني والدي بأن يحرقني حياً إن أنا عدت لطلب النقود.» قال متعب والرجاء يفيض من عينيه.

- «كان عليك أن تتذكر هذا قبل أن ترجوني أن أعطيك القطران لتدسه في أنفك القذر، ثم لا عليك يمكنك أن تحرقه أنت أولاً.» التفت رفيق قائلاً بغضب.

- «لا يا متعب لا تصدق أن والداً يستطيع أن يفعل ذلك بولده مهما فعل. هيا اذهب إلى البيت وحاول أن تحصل على أي شيء لترد لرفيق حقه. اذهب ونحن بانتظارك.» قال سعيد وهو يدفع متعب بلطف لينطلق باتجاه البيت.

فتح سعيد عينيه ونظر إلى الضابط قائلاً..

- «لا يمكن لأحد أن يحرق ابنه مهما تكن الأسباب، أليس كذلك، فلماذا أحرق العجوز ولده متعب؟ وما ذنب بقية الأسرة؟! وبعد كل هذا يقولون عنا «مجرمين»، إذن أنتم أيها الكبار العقلاء.. ما أنتم؟»

- «لست أفهم ما تقول، ولكن إن كنت تسأل عن متعب فهو الوحيد الذي لم يمت في الحريق حيث شاهده أحد الجيران يخرج من المنزل قبل الحريق بقليل..» قال الضابط.

- «اللعنة..» هتف سعيد «فعلها المجنون..»

المالاخاي السادس

للكاتب الروسي: يفغيني بيرمياك(١)

سعاد شريف زين العابدين
الخرطوم - السودان

كنت وقتها في السابعة عشرة من عمري، وأعمل مسؤول السفريات في مكتب للتخزين. كانت هذه وظيفة الأشخاص المعتلين صهوات جيادهم دوماً. أينما يرسلوك فعليك أن تذهب، وأي شيء تكلف به فعليك أداءه.

حدث أن أرسلوني ذات مرة في بداية الربيع إلى كبيلوخا(٢) التي يوجد فيها رعيل الخيل الخاص بمكتبنا. هرعت إليها وأنا فرح جداً فقد كان صديقي قُصابيين يقيم هناك، وكنت دائماً أتوقف عنده في بيته.

أمام اليورتات(٣) الكازاخية فكثيراً ما تجد ثعلباً صغيراً مربوطاً إلى وتد. فقد كانوا يدقون وتداً في الأرض، ثم يضعون فيه حلقة منزلقة بها ثقب يدخلون فيه سلسلة ويطوق الثعلب بطوق مربوط بهذه السلسلة.

كان الثعلب الصغير يركض حول الوتد، فقد كانت الحلقة المنزلقة تمنعه من الاشتباك بالسلسلة. كان الأطفال يلعبون معه ويطعمونه ويقومون برعايته. وبقدوم الشتاء يكبر الثعلب الصغير، ومن ثم يصير مالاخاي - القبعة الكازاخية الخاصة التي تشبه التريوّخ(٤).

عندما وصلت إلى قُصابيين رأيت ثعلبة جميلة كبيرة مربوطة إلى وتد، كانت مستلقية ترضع صغارها الخمسة.

قال قُصابيين: لقد تحصلت على العائلة كلها في جحرها.

سألته عن الصغار التي لم تكن مقيدة لماذا لا تهرب؟

فردّ: وأنى لها أن تهرب، ولماذا تهرب من أمها؟ وكيف ستعيش؟ ومن سيقوم بإطعامها؟

إنها مازالت صغاراً لا تحسن الركض ولا تستطيع الصيد. من الأفضل لي ولها أن تبقى هنا، وعندما تكبر سوف تكون لي ستة مالاخايات.

كنت طوال الفترة التي مكثتها مع قُصابيين أقضي جلّ أوقات فراغي مع الثعلبة وصغارها.

وقد قام قصابيين بحفر حجر بالقرب من الوتد وغطاه بالصوف. كانت الثعلبة تتغذى باللحم النيء وأحشاء الطير أما الصغار فكانت تطعم لبن الفرس.

أحياناً كانت الثعلبة تنسى قيدها فقد كانت مسرورة بصحبة صغارها الطليقة. كانت تلعقها بلطف وتلعب معها وتتمدد فرحة بالقرب من الوتد عندما يحين موعد إرضاعها.

يعدّ الثعلب مخلوقاً صعب المؤالفة، فالضوضاء وأصوات الناس تخيفه. كما أنه يهاب الدخان وضوء النار. وبالنسبة إليه فإن مجاورة الكلاب أمر خطير. بيد أنه كان لهذه الثعلبة صغار وهي أمها. إن عاطفة الأمومة قد أرغمتها على التعايش بسلام مع الجميع. هذه العاطفة التي هي أقوى من الخوف، جعلتها تنسى السلسلة والطوق والقيد.

أحياناً كانت الثعلبة تساق للتنزه، وكان ابن قُصابيين يتولى هذه المهمة، فيقوم بتطويل السلسلة، ثم يركض نحو السهب. كانت الصغار تركض وراءه. أما الثعلبة فتتوغل في أعماق السهب وهي تجر السلسلة بصعوبة بعيداً عن مكان سكنها، وعن الروائح الغريبة عنها إلى المراتع الأليفة لديها. ربما كانت تظن في كل مرة تتنزه فيها أن هذا هو التحرر من القيد ولكن هيهات... كان القيد يعيدها مرة أخرى. عندما نقفل راجعين لم تكن الثعلبة ترغب في السير متقدمة، بل كانت تسير خلفنا وهي مطاطئة رأسها نحو ذلك الوتد البغيض وذلك الحجر الزائف الذي صنعه لها الإنسان، فلم تكن تعي شيئاً. كانت الثعالب تركض ويطارد بعضها بعضاً وتشتبك طوال الطريق في عراك لطيف.

بعد أن أكملت مهمتي عدت إلى مدينتي. ومرت عدة أشهر لم يسافر فيها قُصابيين. في نهاية الخريف أرسلوني مرة أخرى لكبيلوخا. كان الطقس سيئاً، وكانت السحب قد دنت من السهب حتى يخيل إليك أنك يمكن أن تضربها بالسوط إذا ما

ارتفعت قليلاً من على ركاب الحصان.

ها أنذا قد وصلت وبالطبع أسرعت إلى قُصابين وسألته فوراً عن الثعلبة.

فقال: انظر... انظر وقبل أن أنزع السرج من الحصان هرعت إلى وتد الثعلب خلف اليورتا. وهناك وجدتها بلا حراك. كان وجهها النحيف قد استطال ورق، كانت تنظر بثبات إلى السهب وعظام وجنتيها ترتجف بعصبية. لم تعرني الثعلبة أي اهتمام. كانت واهنة جداً وتطرف عيناها ببطء لكنها لم تكف عن النظر إلى السهب كأنها تنتظر ظهور شيء ما من بين تلك الغشاوة السديمية. كان الطعام بقربها كما هو لم تمسه.

قال قصابين بحزن: لقد تركها صغارها في تلك الليلة. ماذا تريد من أمها الآن؟ لقد أطعمتها وفعلت كل ما بوسعها لها حتى صارت لها أنياب حادة بيضاء وفراء شقراء دافئة وسيقان سريعة وعظام قوية ودماء حارة. ماذا تريد الآن من ثعلبة عجوز؟

كنت قد سمعت الكثير من القصص الحزينة في طفولتي وقد أثرت فيّ حتى إنني كنت أتألم للجذع عندما ينكسر. لكن كم تألمت لهذه الثعلبة! هذه الثعلبة التي ربت خمسة صغار وأحاطتها برعايتها وحنانها وسط القيد والخوف بالقرب من سكن الإنسان المظلم والصاخب. وها هي ذي الآن قد تركتها وحدها في ذلك الوتد. لقد تركتها في ليلة خريفية مظلمة عندما كان الكل نائمين، ولم تستطع طلقات البنادق ولا الكلاب أن توقفهم. إن هذا مكر قد استمدته من أمها كما استمدت منها حياتها. إن هذا هو قانون معروف في عالم الحيوان لكن نظرة الإنسان الأصيلة للأشياء تجعله يتوقع أن يرى الحيوان أفضل مما هو عليه في الواقع.

قال قصابين وهو يخبرني: كانت تناديها بصوت واله. وقد بكتها بالأمس حتى سمع عويلها في السهب. كانت تبكيها كأنها قد ماتت. إنه شيء مؤسف. مؤسفٌ حقاً. إنها خسارةٌ كبيرةٌ لقد طارت خمسة مالاخايات من يدي. ثم نظر قُصابين إليّ. بدا وكأنه قد قرأ في وجهي للأسف ولكنه أسف مختلف قد غير أفكار صديقي الريفي، ففي الحقيقة أننا لم نكن نتبادل الهدايا فقط وإنما المشاعر الطيبة أيضاً.

اقترب قُصابين ببطء من الثعلب ونزع عنها الطوق وقال: إذا كانت قد ضاعت مني خمسة مالاخايات فليضع السادس أيضاً. كيف يتسنى لي أن ألبس هذه القبعة وآتي بها إليك. سوف تعتقد أني قد لبست فوق رأسي فراء تلك الثعلبة التعيسة. لن ألبس ذلك المالاخاي، ليس لدي رأس له. قال هذا الكلام ثم صاح في الثعلبة. ولكنها لم تتحرك. ثم أطلق صفيراً بيد أنها جلست ساكنة في الجحر بالقرب من الوتد. قال قُصابين: إنها لم تعد تصدق أنها يمكن أن تكون حرة. بالطبع حتى الحيوان يتعود القيد.

في الصباح وجدت الجحر خالياً. قال قُصابين بمرح: لقد ذهبت لتبحث عن صغارها الخمسة. حتماً سوف تجدها وسوف تتحدث معها بود وربما ستصمت وتغفر لها لأنها في الحقيقة ما هي إلا أم.

الهوامش

١. بلغيني بير مياك، كاتب روسي ولد عام ١٩٠٢م، أول مؤلف نشر له قصته ماذا أكون، كتب قصصاً كثيرة للأطفال مثل «الساحرة العجوز» و«حصالة الجد». من مؤلفاته أيضاً روايتاه «حكاية عن ذنب رمادي» و«مملكة لوتانا الهادئة».

٢. كيلوخا منطقة في جمهورية كازاخستان.

٣. اليورتا، هي مسكن القبائل الرعوية في بعض أجزاء آسيا الوسطى وسيبيريا وتصنع من جلود الحيوانات.

٤. التريؤخ نوع من القبعات الروسية الدافئة تصنع من الفرو لها ثلاث أذان: اثنتان على الجانبين وواحدة في الخلف.



النوبة بوابة العرب إلى إفريقية

قرأت تعقيب الأخ د. فرج الله أحمد يوسف على مقالة «النوبة بوابة العرب إلى إفريقية» في العدد (٣١٠).

أولاً، أهنئه على «الدكتوراه» مع التمنيات له بالتقدم والازدهار، وليسمح لي د. فرج في توضيح بعض ما غمض:

ـ عنوان المقال أوسع من المضمون، ولكنك تعلم أن الكتابة للمجلات والدوريات تختلف عن الدراسة والبحث. ومن بديهيات التاريخ أن أسوان والنوبة أول بوابة نحو إفريقية من مصر جنوباً.

ـ النوبة الجديدة تقع في واد كوم أمبو التي نتبعها حتى الآن مالياً وإدارياً، وهي المدينة الأقرب لنا منذ التهجير. صحيح قولك أن بلانة تقع على بعد ٢٠كم وليس ٤٠كم تقريباً، والتوزيع الجغرافي لقرى القسم، يقع على هيئة نصف قطر ومرسل لكم خريطة النوبة الجديدة والحكم للإخوة القراء ومنهم من هو أعلم مني.

ـ لا يفهم كلامي بوجود ثلاث ممالك في النوبة بلي عنق ظاهر القول، من المعلوم تاريخياً أن هذه الممالك الثلاث كانت في السودان الشمالي وجنوب مصر، مملكة المريس من أسوان حتى فرس (بفتح الفاء والراء) ومملكة المقرة وعاصمتها دنقلة العجوز في بلدة الأبواب (كبوشية وهي من جذر الكلمة النوبية كبوش أي الباب المغلق).

أما المملكة الثالثة غير النوبية، وهي مملكة علوة جنوب دنقلة، فقد كانت تقع عند «سوبا» فماذا نقول جغرافياً وكلمة السودان لم تكن قد ظهرت بعد؟! وبعد دخول العرب النوبة السفلى (وعاصمتها فرس) اتّحدت مملكة المقرّة ومملكة علوة في مملكة واحدة باسم «المقرّة» بين ٥٨٠ و ٦٥٢م، ليس هناك خطأ في التاريخ يا دكتور. هذه إشكاليات تاريخية تحتاج إلى البحث والدراسة والتحقيق. (انظر تاريخ الثقافة العربية في السودان للدكتور عبدالمجيد عابدين ص ٢٥ و ٢٦).

ـ بالفعل لقد وقعت في سهو حينما قلت: إن «سوبا» شمال شرق الخرطوم، والصواب أنها جنوب شرق الخرطوم عند جنوب خط عرض ١٥.

ـ من المعلوم أن عصر الولاة يمتد من ١٨ ـ ٢٥٤هـ، لأن هذا النظام ولد على يد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه (١٣ ـ ٢٣هـ) حينما جعل الأقاليم ولايات إسلامية عربية أسماها «الأمصار»، وجعل على كل منها والياً عربياً اسمه «العامل»، وهو نائب الخليفة في الأقاليم. وهناك من يعدّ دخول عمرو بن العاص مصر في ٢٠هـ بداية عصر الولاة. (انظر أخبار الأول للإسحاقي المنوفي ص١٠٨).

وإن بداية الدولة الطولونية هي نهاية عصر الولاة سنة ٢٥٤هـ. ولكنني أرى أن ٩٢٣هـ/١٥١٧م، وهو دخول العثمانيين مصر، نهاية خلفاء الدولة العباسية في مصر، وقد كان بالفعل آخر خلفاء العباسية في مصر الخليفة المتوكل الثالث بن المستعصم بالله الذي تولى الخلافة في عام ١١٥٧م اسمياً دون نفوذ أو إرادة. وهو بذلك يعدّ آخر عصر الولاة منذ خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وهذا اجتهاد منّي (انظر موسوعة حكام مصر للدكتور ناصر الأنصاري).

ـ حدث سهو منّي في سنة ٣٩٧م والصواب بالطبع ٣٩٧هـ.

ـ لم أختصر تاريخ العرب في النوبة، كما يقول د. فرج، وإنما بدأت التاريخ العربي بظهور أول إمارة عربية إسلامية في النوبة السفلى.

وأما تولي ربيعة الفرس فهي مذكورة عند معظم المؤرخين

ومنهم النويري «شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب» (ت ٧٣٢هـ). (انظر تاريخ دولة الكنوز الإسلامية للدكتور عطية القوصي. ص٤٠) وليس هناك غرابة في ذكرى أن أبا المكارم هبة الله من ربيعة الفرس، فهذا ثابت في معظم كتب التاريخ وأحيلك إلى كتاب «مدينة أسوان وآثارها في العصر الإسلامي» للدكتورة سعاد ماهر ص ٢٨ وفيها نسب أبي المكارم هبة كنز الدولة. والفرس (الخيل) لأنه أعطى من مال أبيه الخيل. (انظر لسان العرب لابن منظور - مادة (ربع) - ج٥، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

- أعد حاليًا كتابًا حول تاريخ الثقافة العربية في بلاد النوبة، وسأحاول أن أتبع هجرة القبائل العربية إلى بلاد النوبة وعلاقات المصاهرة وغيرها، بإذن الله تعالى.

- غير صحيح ما ذكره الدكتور فرج الله أن جميع سكان النوبة بقسميها يرتبطون بصلات مصاهرة، فالقبائل العربية التي «أحصيناها» سالفًا تعبر عن المجموعات العرقية، فليست هناك «أمة» في إفريقية بمعناها العرقي إلا في الصومال، فلدينا في النوبة مجموعات عرقية من نوبة وعرب وأتراك، هذا غير الذي في النوبة العليا. لكنها مجموعات عرقية قليلة العدد قياساً على المجموعات العرقية التي في السودان مثلاً.

- غير دقيق ما ذكره الدكتور فرج الله من أن الكنوز والدناقلة يتحدثون لهجة واحدة تسمى «المتوكي»! الصواب أن الدنقلاوية والكنزية تنحدران من أصل واحد، فهناك اختلاف وتباين في معجم الكلمات والمعاني والتراكيب، والمتوكي أصلها (ملتوكي أي القادم من الشرق) وكاتب هذه السطور واحد من أبنائها يتحدث الكنزية التي يطلق عليها مجازاً «المتوكية» نسبة إلى البشر، وليس على اللهجة ذاتها؛ لأنها موجودة قبل أن يأتي القادمون من الشرق!

- منطقة وادي العرب تسمية جغرافية، وقد ذكرها علي باشا مبارك في خططه بقوله: ويقال لأرض العرب وادي العرب. (انظر أحمد لطفي السيد ص٩٣ العقيلات والجعافرة). وأما قول الدكتور فرج الله بأن جميعهم ينتمون إلى عقيل بن أبي طالب. فالعهدة على الراوي فليبرز لنا د. فرج الله وثائقه وشجر النسب الدالة على ذلك. ومسألة الانتماء إلى قبيلة كبيرة معروفة عند العرب (الحلف) وهي أظهر ما تكون عند الجعلية، فإبراهيم جعل العباسي أدخل كل من يأتيه في داره ضمن العباسية فسماه السودانيون «إبراهيم جعل» حينما كان يقول لهم: جعلناكم منا جعلناكم منا (انظر د. عبدالمجيد عابدين في كتابه الشايقية - تأليف و. نكولز - ترجمه ونقله وعلق عليه د. عابدين ص٤٥).

والعرب في بلاد النوبة ينتمون إلى عدة قبائل عربية منها العباسية والعقيليون وغيرها. ولا أدري كيف أؤرخ لدخول «العقيلات» النوبة في ضوء وثيقة أوردها أستاذ الجيل أحمد لطفي السيد! وأما العلاقة اللغوية بين ربيعة بني كلب إحدى بطون قضاعة ولهجة العقيلات فهي واضحة في الظاهرة اللغوية (الوكم) وهو كسر كاف الخطاب وكسر معظم آخر حروف الكلام. وحدث الاحتكاك اللغوي حينما عاشت مجموعات بشرية بجوار قبيلة قضاعية بن حمير وحملت معها موروثها الثقافي، ومنها عجعجة قضاعة (تحويل الياء جيماً مثل خرج معج أي خرج معي) ووكم ربيعة لديكم يا دكتور فرج الله، وقضاعة من أمهات القبائل العربية، ولا أدري سبباً لغضب الدكتور؟! وربيعة ومضر أبناء نزار بن معد.

- النوبة العليا والنوبة السفلى، مصطلحان جغرافيان، لكنهما تاريخيًا نوبة واحدة، وأقصد بالتاريخ هنا التاريخ المشترك لغة وعرقًا ودينًا وحضارة. والتسمية على كل حال حديثة.

آمل أن أكون قد أوضحت ما التبس، وبينت ما غمض من دراستي حول «النوبة بوابة العرب نحو إفريقية». وأقول للدكتور فرج الله يوسف: علمت شيئًا وغابت عنك أشياء، فإنني وإن كنت أسامحك في تعقب هنات هينات لي، وهذا حقك وحق الرد مكفول للجميع، لكني ما زلت متعجباً من طريقتك في إبعاد العروبة عن النوبة، وتساؤلك غير النقي عن كيفية أن تكون بوابة العرب نحو إفريقية، كأنك تحمل أسرار الماضي، ولا يجوز للآخرين أن يقتربوا منه، بينما العلاقات النوبية العربية موجودة وموثقة بين البرديات والمخطوطات والمصادر والمراجع العربية، لكنها تحتاج إلى دربة ومثابرة في سبيل الوصول إلى قراءة واضحة محققة. نسأل الله تعالى علماً نافعاً وأن ينفعنا بما علمنا.

عبدالرحمن عوض

الأمين العام لجمعية التراث النوبي في القاهرة

٣٣ ش ٢٦ يوليو - القاهرة.

صدر حديثًا عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

مجلة الدراسات اللغوية

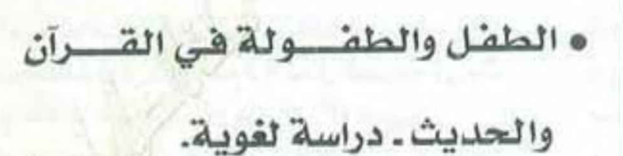
فصلية محكمة تعنى بدراسة النحو والصرف واللغويات والعروض



مركز الملك فيصل
للبحوث والدراسات الإسلامية

المجلد الرابع . العدد الأول

المحرم - ربيع الأول ١٤٢٣هـ
(أبريل - يونيو ٢٠٠٢م)



- الطفل والطفولة في القرآن والحديث - دراسة لغوية.
- اختبار الكفاية اللغوية المقنن في اللغة العربية.
- أسس التحليل النحوي.
- الخصال التي تعدي الفعل اللازم.
- تعليق على معجم النحو.
- العمل الجماعي في إعداد المعجم.
- كشاف المجلد الثالث.

يطلب من : مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
إدارة التسويق - ص ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣ - هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ - ناسوخ: ٤٦٥٩٩٩٣

الشخصية العربية في المسرح الإسرائيلي

مراجعة : محمد أحمد صالح حسين
القاهرة - مصر

يأتي كتاب «الشخصية العربية في المسرح الإسرائيلي» لمؤلفه الدكتور دان أوريان استكمالاً لمجموعة من الدراسات والأبحاث التي تتناول صورة العربي في الأدب العبري الحديث، سواء قبل قيام إسرائيل أو بعدها، وسواء صدرت باللغة الإنجليزية أو باللغة العربية أو باللغة العبرية*.

وتأتي أهمية هذا الكتاب نتيجة لعدة أسباب:

أولاً: إن مؤلف هذا الكتاب باحث (أكاديمي) يعمل أستاذاً في قسم المسرح بجامعة حيفا وكلية أورانيم، ومن هنا جاءت كتاباته تركز في المسرح بوصفه جنساً أدبياً بصفة عامة وفي المسرح العبرى الحديث بصفة خاصة.

ثانياً: إن الكتاب يستعرض موقف اليهود في فلسطين من الشخصية العربية بدءاً من العقد الأخير من القرن الماضي حتى العقد الأخير من هذا القرن، أي بدءاً من الموجات الأولى للهجرة اليهودية إلى فلسطين حتى الانتفاضة الفلسطينية، أي من نحو عام ١٨٨٣م إلى عام ١٩٩٤م، من خلال التركيز في تأثير الأحداث العسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في التعامل اليهودي مع هذه الشخصية. وهذا يعني أن الكتاب يقدم كيف نظر المجتمع اليهودي - الصهيوني إلى صورة «الآخر» ممثلاً لديه بالشخصية العربية.

ثالثاً: إن هذا الكتاب اعتمد على أعمال مسرحية ونقدية وتحليلية كانت موجودة في مخطوطات (أرشيفات) المسارح الكبيرة فى إسرائيل (مثل مسرح هبيما وهكامري وأوهيل وغيرها)، وفى مكتبات بعض الكتاب المسرحيين والمفكرين والمخرجين والفنيين.



رابعاً: يفيد هذا الكتاب القارئ العربي في معرفة كيف ينظر له الآخر اليهودي - الصهيوني على المستوى الأدبي - ممثلاً بالكاتب والمفكر اليهودي - الصهيونى - ومن ثم كيف يكون في مقدور العربي الرد عليه ومقارعة الحجة بالحجة والدليل بالدليل، لتأكيد الحق العربي، وتفنيد الذرائع التى تتذرع بها الدولة الصهيونية وهي تحتل الأراضى العربية. أو بمعنى آخر يفيد هذا الكتاب في دراسة إحدى الزوايا الفكرية التي ينظر الفرد الإسرائيلى إلينا منها نحن معشر العرب. من هنا تبرز ضرورة دراسة الفكر الأدبي لهذا المجتمع حتى يكون في استطاعتنا الرد على أصحابه وادعاءاتهم بأسلوب علمي بعيدٍ عن المهاترات. ولن

يتأتى ذلك إلا بالمعرفة العلمية السليمة لهذا الفكر الأدبي ونظرته إلى الشخصية العربية. ويتأكد هذا الأمر أيضاً إذا وضعنا في الحسبان أن صراعنا مع واضعي هذا الفكر ومنظريه صراع طويل؛ لأنه صراع فكريٌ حضاريٌ في المقام الأول، وليس سياسياً عسكرياً فقط.

خامساً: إن هذا الكتاب هو الدراسة المنشورة الوحيدة التي تركز في المسرح بوصفه جنساً أدبياً، بينما تعاملت الأبحاث السابقة مع القصة والرواية. والمعروف أن المسرح والمسرحية يتميزان بالحوار الدرامي الذي يمكّن المؤلف من طرح القضية ويسمح للآخرين - سواء على خشبة المسرح أو خارجه - بالإدلاء بدلوهم بصدد هذا الأمر.

يقع هذا الكتاب في بابين رئيسين. يركز الباب الأول في أثر الأحداث العسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في تعامل المجتمع اليهودي مع المجتمع العربي بشكل خاص من ناحية، وتعامل الأدباء والكتّاب اليهود بشكل خاص مع الشخصية العربية في أعمالهم الإبداعية من ناحية أخرى. من هنا جاء هذا الباب تاريخياً أكثر منه تحليلاً أدبياً. قسم المؤلف هذا الباب خمسة فصول حسب الأحداث العسكرية والسياسية التي مرت بها فلسطين.

بدايات

يتناول الفصل الأول من الباب الأول بواكير ظهور الشخصية العربية في المسرحية العبرية الحديثة، أي بدءاً من عام ١٩١١م، حين وصلت إلى فلسطين موجتا الهجرة اليهودية الأولى والثانية، وينتهي هذا الفصل بعام ١٩٤٨م، عام قيام إسرائيل. وقد شهدت فلسطين خلال هذه الفترة أحداثاً ومواجهات من جانب العرب للوقوف في وجه اليهود بعدما تكشفت المخططات الصهيونية، وظهرت توجهاتها العنصرية بجلاء. ومن أهم هذه الأحداث ثورة البراق عام ١٩٢٩م، وثورة الكف الأخضر عام ١٩٣٠م، والثورة الفلسطينية الكبرى التي استمرت من عام ١٩٣٦م حتى عام ١٩٣٩م، ثم انتهت هذه الفترة بحرب ١٩٤٨م التي خاضت فيها عدة دول عربية الحرب ضد العصابات الصهيونية المسلحة. ويرتبط تحديد الفصل الثاني كذلك بأحداث عسكرية، فيبدأ بحرب عام ١٩٤٨م، عام قيام إسرائيل، وينتهي بحرب مايو / أيار عام ١٩٦٧م. وخلال هذه الفترة كانت الشخصية العربية مُغَيَّبة أو متجاهَلة في المسرحية العبرية الحديثة أو على المسرح العبري الحديث.

ويفرد الفصل الثالث لبدايات ظهور الشخصية العربية في ظل دولة إسرائيل، فيبدأ من عام ١٩٧٠م، وعلى خلفية العمليات العسكرية التي نفذتها القوات المصرية والقوات السورية خلف خطوط الجيش الإسرائيلي، وعرفت بـ«حرب الاستنزاف» وينتهي بعام ١٩٧٣م، وهو العام الذي شهد تحطيم أسطورة الجيش الإسرائيلي، «ذلك الجيش الذي لا يقهر»، كما روجت له الدعاية الصهيونية. أثرت حرب الاستنزاف وحرب أكتوبر/تشرين الأول عام ١٩٧٣م التي تلتها في تغيير صورة العربي، كما قدمها الأدب العبري بشكل عام، والمسرحية العبرية الحديثة والمسرح العبري الحديث بشكل خاص، بحيث تحول من نمط يدل على شخصية عدوانية ومتخلفة وشهوانية، إلى نمط أقرب إلى الشخصية الواقعية. ورد الكثيرون هذا التغيّر - إلى جانب حرب الاستنزاف وحرب أكتوبر عام ١٩٧٣م - إلى بعض الآمال التي بدأت بشائرها تظهر مع توقيع اتفاق السلام مع مصر عام ١٩٧٩م. وينتهي هذا الفصل بعام ١٩٨٢م مع اجتياح قوات الجيش الإسرائيلي الأراضي اللبنانية وماترتب على ذلك من نكوص تلك الآمال ثانية. وينتهي الفصل الخامس والأخير من هذا الباب بالانتفاضة الفلسطينية الأولى وما أحدثته من زلزلة أركان المجتمع الإسرائيلي وتقديمه محتلاً غاشماً أمام العالم أجمع يحارب مجموعة من الصبية والشباب العزل المجردين من السلاح، باستثناء الحجارة التي كانت في أيديهم كالمدافع يواجهون بها محتلاً غاشماً مسلحاً بأنواع الأسلحة كافة.

> **لم يكتف الكاتب بعرض الشخصية العربية في المسرحية العبرية الحديثة والمسرح العبري الحديث فحسب، وإنما تعدى ذلك ليقدم صورة العربي في مختلف أجناس الأدب العبري الحديث**

حقيقة أم رغبة؟!

ويناقش الباب الثاني بعض القضايا التي طرحها المؤلفون المسرحيون في أعمالهم المسرحية، ويخصص المؤلف لكل قضية فصلاً خاصاً بها، فيقع هذا الباب في خمسة فصول. يعالج الفصل الأول قصص الحب التي نشأت بين طرف يهودي وطرف آخر عربي في المسرحية العبرية، ومدى ماتعكسه هذه القصص على مرآة الواقع خارج المسرح، وتردّ أحداث هذا الفصل على التساؤل المهم الذي يطرحه المؤلف وفحواه هل هذه القصص تعكس مايحدث على خشبة المسرح أم إنها تعبر عن رغبة هؤلاء الكتاب المسرحيين في التعايش؟ كانت إجابته عن هذا التساؤل أن الواقع خارج المسرح لا يدعو إلى التعايش؟ وإنما تمثل هذه القصص رغبة بعض الكتاب في الانتهاء من حالة الحرب، والعيش في جو يسمح بحالة من الهدوء تتيح للجميع العيش داخل دولة تنعم بالسلام والطمأنينة دون أي تهديد.

صدام ثقافتين

ويعالج الفصل الثالث الصدام بين ـ مايعدّه المؤلف ـ الثقافة العبرية والثقافة العربية، ويؤكد المؤلفون المسرحيون اعتزاز العربي بحضارته وثقافته. ويعالج الفصل الرابع قضية أخرى ذات بعد ثنائي، بمعنى أنها تخص الجانب اليهودي من ناحية وتخص الجانب العربي من ناحية أخرى. فعلى مستوى الجانب العربي تحول العربي من شخص يعمل بجد واجتهاد، ويحاول اليهودي محاكاته ومنافسته في العمل والتمسك بالأرض، إلى شخص يستغله اليهودى باستخدامه، فيمنحه أجراً أقل، ولا يوفّر له ظروف عمل إنسانية. وعلى مستوى الجانب اليهودي يعكس قيام اليهودي باستخدام العربي عامل ضياع، ما تعدّه الصهيونية مثالاً صهيونياً أرساه المفكر الصهيوني أهارون ديڤيد جوردون (١٨٣٠-١٨٩٢م) وهو «دين العمل» (دات هعڤودا)، بحيث أصبحت معظم الأعمال البدنية، حتى لو كانت موضع احتقار المجتمع الإسرائيلي، في أيدى العرب، ولم يعد بمقدور اليهودي القيام بهذه الأعمال. وبهذا بات العربي مصدر تهديد يقلق المفكرين والأدباء بعدما سيطر على سوق العمل الإسرائيلي.

قدسية الأرض

ويتطرق الفصل الرابع إلى الصراع على الأرض وماترتب عليه من مواجهات، وكيف نظر الجانبان ـ العربي واليهودي ـ إلى الأرض على أنها مقدسة. ولكن بعض الكتاب المسرحيين أكدوا أن علاقة العربي بالأرض إلى جانب أنها مقدسة فهي ناتجة من احتكاك ومعايشة وممارسة وعلاقة قوية، أما علاقة اليهودي الأوربي بالأرض فعلاقة نظرية شكلية، فهو يشعر تجاهها بالاغتراب وعدم الارتباط.

ويعالج الفصل الخامس والأخير قضية أخرى هي العلاقة بين القضية الفلسطينية والأحداث التي وقعت لليهود في أوربا خلال تولي هتلر مقاليد الحكم في ألمانيا. بمعنى أن مايحدث للفلسطينيين من جانب سلطات الاحتلال الإسرائيلية يتفق في عدة وجوه مع مافعله هتلر وأجهزته باليهود في ألمانيا وبعض البلدان الأوربية.

هتلر

ملاحظات

ويمكن أن نبدي بعض الملاحظات حول هذا الكتاب في اتجاهين: الاتجاه الأول يتعلق بالمنهج الذي اتبعه الكاتب في هذا البحث، أما الاتجاه الثاني فيتعلق بالمضمون الذي تناوله البحث.

الاتجاه الأول: يتعلق بالملاحظات الخاصة بالمنهج ـ سواء أنقدية كانت أم تحليلية ـ الذي اتبعه الكاتب في هذا البحث:

ـ لم يكتف الكاتب بعرض الشخصية العربية في المسرحية العبرية الحديثة والمسرح العبري الحديث فحسب، وإنما تعدى ذلك ليقدم صورة العربي في مختلف أجناس الأدب العبري الحديث، ولم يكتف بهذا فقط، وإنما قدم هذه الصورة في الفنون التشكيلية مثل: الرسم والنحت وغير ذلك، والسينما الإسرائيلية والرقص

والفلكلور. كما عالج المؤلف أيضاً مسألة توظيف بعض أعمال الفن التشكيلي في الأعمال الإبداعية الأدبية، كالقصة والمسرحية. ولكن يؤخذ عليه الإسهاب في ذلك أحياناً، فقد تحدث مثلاً بإسهاب عن صورة العربي في لوحات الرسام اليهودي ناحوم جوتمان وغيره من الفنانين التشكيليين. وأشار الباحث كذلك إلى صورة اليهودي في الأدب العربي الحديث بشكل عام، وفي المسرحية العربية الحديثة بشكل خاص. فيشير إلى الكاتب المسرحي عبد الرحمن الشرقاوي ومسرحيته «وطني عكا» وغير ذلك.

مسألة ومسألة!!

- استعار المؤلف بعض المصطلحات والمفهومات الصهيونية وطبّقها على معالجته لصورة الشخصية العربية في المسرحية العبرية الحديثة والمسرح العبري الحديث. فنجده - على سبيل المثال لا الحصر - يستعمل مصطلح «المسألة العربية» أو «المسألة الفلسطينية»، ويحرص في كل مرة على أن يضعهما بين علامتي تنصيص، وربما يكون هذا نوعاً من التحفظ أو الاعتراض. وهو بهذا استعار مصطلحاً معروفاً هو مسألة question من مصطلح المسألة اليهودية jewish question، على الرغم مما في ذلك من مغالطات وتشويه لوقائع التاريخ. فالمسألة اليهودية كانت مرتبطة - في الغالب - بيهود شرق أوربا في أواخر القرن التاسع عشر، وكانت تعني ضرورة البحث عن حل لهامشية اليهود في المجتمعات التي يعيشون فيها. فبذلت محاولات لتحويل اليهود إلى قطاع اقتصادي منتج، كما طرح حلاً آخر تمثل بضرورة إقامة الدولة الصهيونية في فلسطين ليهاجر إليها اليهود، وقدم هتلر حلاً آخر لهذه المسألة تمثل بإبادة اليهود. والسؤال المهم الآن هل كان قصد المؤلف من استعارة هذا المصطلح وتطبيقه على القضية العربية هو تطبيق وسائل حل «المسألة اليهودية» على «المسألة العربية» أي هل من خلال إقامة دولة للفلسطينيين، أم من خلال الإبادة؟!.

ولكن أوجه التشابه بين المسألتين مختلفة تماماً، فالشعب الفلسطيني شعب له أرض ولغة، يعيش على أرضه، ويعمل على ترابها، ولا يعيش على هامش العملية الإنتاجية في المجتمع، فهو يعمل بجد واجتهاد؛ لأنه وطنه الذى ولد على أرضه، وترعرع على ترابه، وتعلم فى مدارسه.

مصطلحات صهيونية

- تعامل المؤلف مع الشخصية الفلسطينية بمفهومات ومصطلحات يهودية وصهيونية وإسرائيلية. فنجده مثلا يفرق بين الفلسطينيين الذين يعيشون الآن داخل حدود إسرائيل بعدما احتلت أراضيهم عام ١٩٤٨م والفلسطينيين الذين احتلت القوات الإسرائيلية أراضيهم عام ١٩٦٧م. فيطلق على الفلسطيني الذى يعيش داخل حدود إسرائيل بعد عام ١٩٤٨م «عربي إسرائيلي» أو «عرب إسرائيل»، ويطلق على الفلسطيني الذى يعيش داخل حدود فلسطين بعد عام ١٩٦٧م «عربي من المناطق المحتلة». علماً بأن نحت هذه المصطلحات وغيرها يقوم على خلط مرفوض للحقائق، وتشويه للوقائع، ويستهدف فصم عرا العلاقة التاريخية والدينية والسياسية والثقافية والحضارية بين أبناء الشعب الواحد. ولقد أظهر المؤلف ارتباكه حينما تعرض إلى هذه القضية بشكل خاص، فيطرح عدة تساؤلات خاصة بتسمية المسرح العربي الذي يكتب له أدباء فلسطينيون فى الأراضي الفلسطينية التي أصبحت تحت السيادة الإسرائيلية بعد عام ١٩٤٨م فيقول:

هل أعمال الكتاب العرب الإسرائيليين ضمن الأطر المسرحية باللغة العربية ليست جزءاً من ذخيرة المسرح الإسرائيلي؟ وهل تنتمي إلى المسرح الفلسطيني؟ وما حدود المسرح الفلسطيني؟

«هل أعمال الكتاب العرب الإسرائيليين ضمن الأطر المسرحية باللغة العربية ليست جزءاً من ذخيرة المسرح الإسرائيلي؟ وهل تنتمي إلى المسرح الفلسطيني؟ وما حدود المسرح الفلسطيني؟ وهل الأعمال المسرحية التي كتبها فى القدس الشرقية أدباء مسرحيون وممثلون عرب إسرائيليون، وعرضت في مناسبات مختلفة أمام الجمهور اليهودي الإسرائيلي لا تعد جزءاً من الحوار بين الثقافة

الفلسطينية والثقافة الإسرائيلية؟» (الكتاب ص١٣).

ويكثر المؤلف أيضاً من استخدام تعبيرات «أقلية عربية» و«أغلبية يهودية». كما يردد المؤلف على امتداد البحث مصطلح «عرب إسرائيل» وهو مصطلح صهيوني إسرائيلي ينطوي على مغالطة كبيرة. ومما يؤسف له أن هذا المصطلح أصبح شائعاً الآن في وسائل الإعلام العربية. فكيف يمكن لعربي أن يعيش تحت سيادة دولة معادية له إلا إذا كانت دولة محتلة !؟. أضف إلى هذا أن هذا المصطلح نفسه يحقق هدفين صهيونيين: الأول هو أن هؤلاء الفلسطينيين جماعة تندرج ضمن الشعوب العربية المحيطة ومن ثم إن حدث ورحلوا - في إطار مايعرف بـ«سياسة الترحيل» (الترانسفير) - فهم عرب والدول العربية المجاورة يعيش فيها عرب أيضاً فهم منهم، وجزء لا يتجزأ منهم. ولكن هذا المسوغ مغلوط؛ لأن لكل دولة عربية حضارتها الخاصة وتراثها الخاص بها، ومقوماتها المتميزة التي تجعلها تختلف عن الدولة الأخرى، بما يجعل لكل دولة عربية مايميزها من الأخرى، فتراث الشعب الفلسطيني وحضارته يختلفان بلا شك عن تراث الشعب المصري وحضارته، ولكن هذا لا يمنع أن هناك عناصر كثيرة وعديدة تجمع كل الشعوب العربية جميعاً، منها: الدين واللغة والشعور القومي وغير ذلك.

ومن ناحية أخرى إذا أطلق عليهم الاسم الحقيقي وهو فلسطينيو عام ١٩٤٨م فهذا يعني أن هؤلاء الفلسطينيين يعيشون على أرض فلسطين أرضهم، ومن ثم ما اسم المكان الذي يعيش عليه اليهود أو كما قال السياسي الصهيوني الإسرائيلي «مناحيم بيجين» (١٩١٣-١٩٩٨م):

«إذا استخدمت كلمة فلسطيني بالنسبة إلى العربي فإن هذا يستدعي منك التسليم بأن هذه الأرض هي فلسطين. وإذا كانت هي فلسطين فإن هذا يعني أنها ليست أرض إسرائيل. وإذا لم تكن هذه الأرض هي أرض إسرائيل فماذا نفعل نحن هنا؟».

ويتأكد هذا الخلط والتشويه في عنوان الكتاب. فالمؤلف ركز في بحثه في الشخصية الفلسطينية دون الشخصيات العربية الأخرى، باستثناء إشارات قليلة جداً إلى الشخصية المصرية واللبنانية والسورية.

تناقض وعدم موضوعية

- يقع المؤلف في تناقض واضح. فقد أشار في مقدمة البحث إلى ما عده حقيقةً مضمونها أنه لم يكتب للمسرح أدباء مسرحيون يتبنون رؤية سياسية ترفض ضرورة حل النزاع مع العرب، ولكنه يشير في خاتمة البحث إلى أن الكتاب المسرحيين الذين يرغبون في حلول التعايش والمصالحة بين الإسرائيليين والفلسطينيين يمثلون قلة بين الأدباء الإسرائيليين. وهو بهذا - إلى جانب التناقض في آرائه - يتجاهل موقف الكاتبة إيتمار بت حور - على سبيل المثال لا الحصر - في موقفها من العرب في مسرحيتها «القسم الذي حنث» والتي تتبنى فيها الرؤية السيادية على العرب والانفصال عنهم.

الرئيس ياسر عرفات

- لم يكن الباحث موضوعياً حينما تطرق إلى المواجهات بين العرب واليهود، فقد اكتفى بالإشارة إلى الأحداث والمواجهات التي نظمها العرب ضد اليهود وحدَّد أعوامها بـ عام ١٩٢٩م و١٩٣٦م و١٩٣٩م وغير ذلك. ولم يشر الباحث إلى المذابح التي ارتكبتها العصابات الصهيونية ضد المواطنين الفلسطينيين مثل مذبحة دير ياسين وكفر قاسم في فلسطين ومذبحة صبرا وشاتيلا في لبنان. وإن أشار إليها عند عرضه لبعض مضمونات المسرحيات التي تناولت فترات وقوع هذه المذابح، واكتفى بالتسويغ الذي قدمه بعض كتّاب المسرح اليهود الإسرائيليين بأنها تمثل حالات دفاع عن النفس.

ملاحظات حول المضمون

الاتجاه الثاني: يتعلق بالملاحظات الخاصة بمضمون البحث:

- كشف الكاتب عن التناقض والتخبط الذي وقع فيه المجتمع اليهودي الإسرائيلي وهو يتعامل مع الشخصية العربية. فقد تجاهل هذا المجتمع وجود هذه الشخصية، بل

ورفض وجـودها داخله ووضع رأسـه ـ كـالنعـامـة ـ في الرمال، ولكن بعض الكتاب رغبوا في تقديم هذه الشخصية بصفتها تمثل المجتمع الفلسطيني ـ الطرف الثاني والرئيس في المواجهة ـ ولكنهم كانوا يعرفون رفض مجتمعهم لتقديم هذه الشخصية؛ فلجأ بعض الكتاب إلى عدة وسائل لتقديم هذه الشخـصـيـة: الوسيلة الأولى هي تقديمهـا ضـمن المسرحية الساخرة القادرة على تجاوز الرقابة الاجتماعية. والوسيلة الثانية هي توزيع الأدوار عند تقديم الأعمال المسرحية العالمية على خشبة المسرح الإسرائيلي، فيقع الاختيار على مسرحيات متشابهة فى حبكتها وأحداثها وواقعها الاجتماعي مع الواقع الاجتماعي الإسرائيلي وعلاقته بالشخصية العربية، فيتم توزيع الأدوار على هذا النحو، فيشارك ممثل فلسطيني ليمثل الطرف الفلسطيني وممثل يهودي يمثل الطرف اليهودي الإسرائيلي. والوسيلة الثالثة هي توظيف بعض العناصر العربية في (ديكور) المسرح أو الموسيقى المستخدمة عند تقديم العرض المسرحي. والوسيلة الرابعة هي تقديم العروض المسرحية التي تضم شخصيات عربية، أو تتناول معاناة الشعب الفلسطيني على هامش المنظومة المسرحية الإسرائيلية، كما يسميه المؤلف، أي تقدم على خشبات المسارح الصغيرة، أو ضمن فعاليات المهرجانات المسرحية التي تستمر أيامًا قليلة. وهكذا بدأنا نلحظ أن الباحث بات يستخدم مصطلحين خاصين بالمسرح في إسرائيل: الأول «هامشي» والثاني «رئيس». يقصد بالأول المسارح الصغيرة والمهرجانات المسرحية التي تقدم عليها العروض المسرحية التي تقدم شخصيات عربية، أما المصطلح الثاني فيقصد به المسارح الكبيرة التي لم تقدم الشخصية العربية عليها إلا في حالات قليلة.

ويتأكد تخبط مؤسسات المجتمع الإسرائيلي عندما يعرض بعض الكتّاب ما تمارسه السلطات الإسرائيلية ضد المواطنين الفلسطينيين من مصادرةٍ للأراضي، وهدم للمنازل، وممارسات عنصرية وغير ذلك. فقد أوقفت أجهزة الرقابة على المسارح عدة عروض مسرحية لأنها قدمت المجتمع الإسرائيلي عنصريًا في علاقته بالفرد الفلسطيني؛ فقد اضطر الكاتب ناتان شاحام إلى تعديل الجزء الخاص بالشخصية العربية في نص مسرحيته «سيصلون غدا (هيم ياجيعو ماحار)». فقد حدّ من الإشارات والتلميحات إلى العنف والإرهاب الموجهين إلى هذه الشخصية. فيحرص على ألا يظهر الأسيران العربيان على خشبة المسرح. وفي الطبعة الأخيرة التي صدرت للمسرحية أسقط المؤلف الشخصية العربية تمامًا.

كما أثار عرض مسرحية «ملكة الحمام (ملكات هاأمبـاتيا)» للكاتب حانوخ لڤين، والتي عرضت عام ١٩٧٠م، جدلاً محتدمًا داخل إسرائيل فأوقف عرضها على المسرح بعد مضي تسع عشرة ليلة. فقد وصل الأمر إلى تدخل موشيه ديان، الذي كان يشغل في تلك الأثناء منصب وزير الدفاع، بالنقد فكان يرى أن العرض يعكس انفصال مؤلفيه عن الواقع، وأن هذا العرض يشجع توجهات سلبية، ويصور إسرائيل على أنها «بالوعة صرف صحي كبيرة تنبعث منها رائحة كريهة يحاولون فيها قمع العرب». فقد كشفت هذه المسرحية الساخرة عن تجاهل الإسرائيليين للآخر العربي.

مصطلح «عرب إسرائيل»، وهو مصطلح صهيوني إسرائيلي، ينطوي على مغالطة كبيرة. ومما يؤسف له أن هذا المصطلح أصبح شائعًا الآن فى وسائل الإعلام العربية

فالمؤلف يرى أن استغلال العرب واحتقارهم يشكل وجها آخر من القومية الشوفينية الصهيونية المتعصبة.

وكان مصير مسرحية «مدينة واحدة (عير أحات)» للكاتب إيلان رونين ومايكل اليرديس، التي عرضت عام ١٩٧٣م، مشابهًا لمصير مسرحية لڤين. فقد صاحبت العروض الأولى على مسرح الخان بالقدس ردود فعل حادة من جانب جمهور المشاهدين، وخرج بعضهم في مظاهرات احتجاجية. وبضغط من الإدارة العامة للمسرح خضع كل الجزء الذي يتطرق إلى العرب للرقابة، وعرض النص الأصلي أربع مرات فقط، كما اعترضت الرقابة من جانبها على الأجزاء التي قدمت الصورة السلبية للعربي لدى اليهود.

كما اعترض مجلس الرقابة على الأفلام والمسرحيات على عرض مسرحية «أفرايم يعود إلى الجيش (أفرايم حوزير لتساڤا)» للكاتب يتسحاق لأور عام ١٩٨٥م من منطلق أنها تبشر بانتفاضة فلسطينية. ويسوق المجلس مجموعة من الذرائع تشير إلى مواقفها ومضموناتها: «تشوه المسرحية الحقيقة، فجنود الجيش الإسرائيلي في المسرحية لا يترددون في إطلاق النار على مظاهرة شباب ونساء وأطفال، ويقتلون فتى يسير فى مقدمة مظاهرة، والتحقيق مع العرب يرافقه الضرب والتعذيب، ومايحدث في الأراضي المحتلة يقدَّم على أنه انتفاضة شعبية». وقد أمكن عرض المسرحية عام ١٩٨٩م فقط حينما تصاعدت حدة الواقع خارج المسرح، وأثبت صحة بعض المشاهد الواردة فى المسرحية، والتي حظرت من قبل، وبعد صدور حكم قضائي سمح بذلك.

وأسقطت المعدَّة، وهي تقوم بعملية الإعداد المسرحي لكتاب «الزمن الأصفر» للكاتب داڤيد جروسمان، الفصل الذي يصور استغلال الأيدي العاملة العربية الرخيصة القادمة من الضفة الغربية وظروف العمل المجحفة التي يعمل تحتها هؤلاء العمال. لكن هذا لم يمنع أن النص يحوي تعبيرات تتعامل مع الوضع الاجتماعي لسكان الضفة، الذين يشعرون بأنهم «عبيدكم، الحمير التى يمكن لأى شخص منكم أن يمتطيها». وقد قوبل هذا العرض بمعارضة جماهيرية، كما منع الضابط المسؤول عن الشؤون الثقافية في الجيش الإسرائيلي تقديم هذا العرض أمام الجنود.

ـ ونجد رقابة من نوع آخر تفرضها آراء بعض المسؤولين في إسرائيل. ولا يكون سبب فرض الرقابة هنا هو ماتكشفه المسرحية من معاملة عنصرية من جانب اليهود تجاه العرب، وإنما يكون السبب هو بوادر التعايش وتكوين أسر مشتركة تجمع بين يهود وعرب. فقد اعترض وزير التربية والتعليم إسحاق نافون على بعض الآراء الخاصة بالزواج المختلط بين العربي واليهودية في مسرحية «الانفجار فى شارع أهلن» التي كتبتها دانيئيلا كرمي، وعرضت على مسرح الأطفال والشباب عام ١٩٨٦م على ـ مايعدّه ـ رسالة التفاهم والتسامح نحو الزواج المختلط.

ـ جاءت المسرحية العبرية الحديثة ـ مثلها في ذلك مثل بقية أجناس الأدب العبري الحديث ـ لتؤرخ للصراع العربي الإسرائيلي، فأي عمل مسرحي سواء أمكتوبًا كان أم معروضًا يؤرخ ويوثق للأحداث التي وقعت خلال فترة كتابته.

ـ أوجدت المسرحية العبرية الحديثة رمزين ربطتهما بالشخصية العربية الفلسطينية في مسرحياتها، ويعبر هذان الرمزان عما يراه المجتمع الإسرائيلي في الشخصية الفلسطينية. فالمجتمع الإسرائيلي ينظر إلى الشخصية العربية بعد الانتفاضة بشكل خاص على أنها مصدر تهديد من الناحية وموضع استغلال واحتقار على المستوى الاقتصادي من ناحية أخرى. كانت السكين هي الرمز الأول الذي يستخدم في طعن الأعداء أحيانًا أو الإخوان الفلسطينيين المتعاونين مع سلطات الاحتلال في أحيان أخرى، كما في المسرحية الساخرة الإسرائيلية «هاي ديمونا» للكاتب إيلان حاتسور وإيلان شاينفلد، التي عرضت عام ١٩٩٢م. أما الرمز الثاني فهو المكنسة التي ترمز إلى الأعمال الوضيعة التي يمارسها العامل الفلسطيني في إسرائيل، مثل كنس الشوارع، كما في مسرحية «حمدو وابنه» للكاتب يتسحاق بوتون.


مناحيم بيجن

ـ كشفت المسرحية العبرية الحديثة عن رؤى جديدة تتعلق بالاحتفاظ بالأرض ومن يحق له ملكيتها. فبعدما كانت الذريعة الوحيدة للتمسك بهذا المكان هو الوعد الإلهي الذى قطعه الرب مع الآباء الإسرائيليين، نجد هنا أسبابًا وذرائع أخرى. من هذه الذرائع أن هذه الأرض ملك من يستصلحها بغض النظر عن أي بعد ديني، كما في مسرحية «حاكم أريحا» للكاتب يوسيف موندى.

ـ كانت أحداث النازي محورًا مهمًا من محاور التعامل مع الشخصية العربية في المسرحية العبرية الحديثة؛ فقد وظفت وقائعها على عدة مستويات. المستوى الأول يوازن بين حركات الكفاح الفلسطيني وقادتها ورموزها

ومقاومتها للعصابات الصهيونية بحركات النازي ورموزه وقادته. بحيث يقدم ـ مثلاً ـ الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات مقابلاً موضوعي لأدولف هتلر وغير ذلك. وعلى مستوى آخر نجد أن اليهود لاجئي الأمس من أحداث النازي يجعلون من شعب آخر لاجئيين، فالذين ذاقوا مرارة العذاب والألم والطرد والتشريد يسببون المرارة ذاتها والعذاب ذاته والألم ذاته والطرد ذاته والتشريد ذاته لشعب آخر هو الشعب الفلسطيني.

فنجد – مثلا ـ توظيفًا لصورة الطفل المأخوذة من أحداث النازي وتطابقها مع صورة الطفل الفلسطيني في الأراضي المحتلة التي يحكمها الحاكم العسكري في مسرحية «أفرايم يعود إلى الجيش (أفرايم حوزير لتساڤا)» للكاتب يتسحاق لأور. وقد أثار هذا الأمر معارضة مجلس الرقابة على الأفلام والمسرحيات فمنع عرض المسرحية، وكان دافعه إلى ذلك «المقارنة المشار إليها والواضحة بين الحكم الإسرائيلي وحكم الاحتلال النازي». سمح بعرض المسرحية بعد حكم قضائي أصدرته محكمة العدل العليا. من هنا عبر بعض الكتاب عن مخاوفهم من أن يحاكم الإسرائيليون نتيجة مافعلوه بالفلسطينيين مقابل ما فعل النازيون باليهود. وحول هذا يقول الشاعر الإسرائيلي دان المأجور:

«من الأجدى بالنسبة إلينا البدء في أن نعدّ لأنفسنا الأقفاص المكشوفة التي سنجلس فيها حينما يحاكموننا على مافعلنا للشعب الفلسطيني»

ـ كشفت المسرحية العبرية الحديثة كذلك عما بات يعرف بـ«ثقافة الخوف». وأخذت هذه الثقافة عدة مظاهر. تمثل المظهر الأول بالخوف من أن يترك اليهودي الأرض الذي قدم إليها، ويحمل في يده عصا الترحال، ويتنقل بين بلدان العالم، ربما بحثًا عن المكان الآمن، وربما بحثًا عن المال، وربما....، وربما.... أما المظهر الثاني فيتمثل بأن يسيطر العرب على سوق العمل فتصبح مقاليد الاقتصاد الإسرائيلي ـ التي لا يرغب الإسرائيليون العمل بها ـ في أيديهم. ويظهر المظهر الثالث من ثقافة الخوف من أن يأتي الوقت ويحاكم فيه القادة الإسرائيليون على مافعلوه في الشعب الفلسطيني، كما حوكم قادة الحكم النازي على مافعلوه في اليهود في أوربا، مثل أدولف إيخمان وغيره. ويتجلى المظهر الرابع من هذه الثقافة في الخوف في أن يعود الفلسطيني، الذي ترك بيته وأرضه ليستردهما بعدما أصبحت مقدرات الاقتصاد الإسرائيلي في يد أخيه الفلسطيني في الأراضي المحتلة، بعدما بدأت هالة القوة تسقط عن وجهه. ويتأكد هذا الخوف في ضوء ماحدث منذ عدة شهور حينما انقض بعض الفتية الفلسطينيين على جندي إسرائيلي مدجج بالسلاح، وأخذوا منه سلاحه وكان أمامهم كالفأر الخائف المذعور، ووصل خوفه إلى حد أنه لم يحاول حتى الدفاع عن نفسه، مما أثار الرأي العام الإسرائيلي، فتدخل وزير الدفاع آنذاك، وفصله من الخدمة العسكرية.

الهوامش

كتب تناولت صورة العربي في الأدب العبري الحديث:

أولا باللغة العربية:

– عبد الوهاب محمود وهب الله، المسرح العبري في الفترة من ١٩١٤م إلى ١٩٥٦م؛ مع دراسة نقدية للشخصية العربية في مسرحياته، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، ١٩٨٤م.

– غانم مزعل، الشخصية العربية في الأدب العبري الحديث ١٩٤٨م ـ ١٩٨٥م، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، عمان، ١٩٨٦م.

– د. محمد أحمد صالح حسين، الشخصية العربية في المسرحية العبرية الحديثة بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣م، دراسة في مسرحية «نعيم» للكاتب إ. ب. يهوشوع. بحث منشور ضمن فعاليات ندوة «حرب أكتوبر في الأدب العبري الحديث»، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، ١٩٩٧م.

ثانيًا باللغة العبرية:

– أمير أهارون (محرر)، أرض متنازع عليها، النزاع على الأرض في مرآة الأدب العبري، [مختارات أدبية]، (إريتس مريبا، هاريف عل هاأريتس براني هسفروت هعبريت، [أنتولوجيا])، دار نشر وزارة الدفاع، تل أبيب، ١٩٩٢م.

– بن عزير، إيهود، (محرر وكاتب المقدمة)، في وطن الأشواق المتناقضة، العربي في الأدب العبري (بموليديت هجعجوعيم همنوجاديم، هعارڤي بسيفروت هعبريت)، دار نشر زمورا بيتان، تل أبيب، ١٩٩٢.

– كوهين، أدير، وجه دميم في المرآة، انعكاس النزاع اليهودي العربي في أدب الأطفال العبري، دار نشر رشافيم، تل أبيب، ١٩٨٥.

ثالثًا باللغة الإنجليزية:

-Domb, Risa, The Arab in Hebrew Prose, 1911-1948, London, Vallentine, Mitchell, 1982.

- Ramras-Rauch, Gila, The Arab in Israeli Literature, Bloomington and Indianapolis, Indiana University Press, 1989.

موريس أودان وقصة الاختفاء الغامض

أبو بكر خالد سعدالله
عناصر القبة ـ الجزائر

يعرف سكان الجزائر العاصمة ومن زارها ساحة موريس أودان Maurice Audin الواقعة في مخرج نفق الجامعة، غير بعيدة عن البريد المركزي وقصر الحكومة. فمن هو موريس أودان؟ الملاحظ أن زوار هذه العاصمة والكثير من الجزائريين أنفسهم لا يعرفون شيئاً عن هذه الشخصية المتميزة، ويستغربون وجود هذا الاسم الافرنجي غير المعروف على ساحة مهمة. فهؤلاء يجهلون أن الأستاذ موريس أودان ساند ثورة التحرير الجزائرية في الخمسينيات، وأنه اغتيل من قبل قوات الاحتلال آنذاك بسبب هذا الموقف.

أعلنت الصحافة الفرنسية في صائفة عام ١٩٥٧م أن أستاذاً لمادة الرياضيات بجامعة الجزائر قد أوقف يوم ١١ يونيو/حزيران عام ١٩٥٧م بمنزله من قبل فرق المظلات الاستعمارية. وبعد عشرة أيام أصبح هذا الأستاذ ـ بصفة رسمية ـ في عداد المفقودين. تلك هي رواية السلطات الفرنسية الرسمية التي ما زالت ترددها الآن. هذا الأستاذ هو موريس أدان.

عذاب حتى الموت

وتوضح هذه الرواية الملفقة أن أودان هرب خلال تحويله من مكان إلى مكان آخر، موضحة أنه قفز فيما يبدو من السيارة العسكرية التي كان يمتطيها. والحقيقة أن موريس أودان عذب حتى الموت، وأنه مات من جراء التعذيب. وما يؤسف له أن جلاديه قد رقوا(١) إلى أعلى المراتب، ونالوا الأوسمة، وربما ما زالوا على قيد الحياة يعيشون في أمان.

ولذا كان بعض المثقفين الفرنسيين قد شكلوا لجنة في خريف عام ١٩٥٧م للتعريف بقضية أودان وقضايا مماثلة أخرى، خاصة بالتعذيب الذي كان يمارسه الاحتلال ضد من يطالب باستقلال الجزائر. ومن بين



موريس أودان

هؤلاء المثقفين الرياضي العلامة لورنت شوارتز Schwartz الحاصل على ميدالية فيلدز Fields عام ١٩٥٠م (وهي أعلى استحقاق عالمي يمنح في الرياضيات، يعادل جائزة نوبل التي لا تمنح للرياضيين). وقد كتب شوارتز مذكراته في منتصف التسعينيات بعنوان «رياضي في مواجهة القرن»(٢). وخصص جزءاً كبيراً من فصلها العاشر لقضية موريس أودان.

ويشهد شوارتز في هذه المذكرات أن موريس أودان اختطف من منزله بواسطة مجموعة من المظليين وقام «بتعذيبه الضابط شاربونييه Char-bonnier حتى وصل به الغضب إلى خنقه بيديه فلفظ أنفاسه».

أودان الطالب

كان أودان مناضلاً مناهضاً للاحتلال وممارساته القمعية خلال الثورة الجزائرية. وكان نضاله يحمل أكثر من معنى بوصفه أستاذاً جامعياً في اختصاص لا علاقة له بالسياسة. وقد ولد أودان بتونس عام ١٩٣٢م حيث كان أبوه موظفاً بالبريد، ثم رحل إلى الجزائر بصحبة عائلته. وزاول دراسته الثانوية بعاصمة الجزائر ابتداء من عام

١٩٤٢م. ويذكر أن ثـانويته حجـزت عندما دخـلت القوات الأمريـكية شمـال إفريقية خـلال الحرب العالميـة الثانية. ولذا دخل أودان مـدرسة شـبه عـسكرية مـجانيـة، والتـحق أبوه بسلك الجندرمـة (الدرك). ولم يرض أودان بالدراسـة في هذه المؤسسـة، لكنه اضطر إلى البقـاء فيـها حتى تتغير الأحوال، ويتـمكن والداه من دفع مصاريف دراسته. ورجع إلى الثانوية التـي كان فيهـا من قبل بعـد أن أخلتها القـوات العسكرية، فحصل على الثانوية العامة في الرياضـيات ودخل كلية العلوم بجامعة الجزائر.

واحتك أودان خلال دراسته الجامعـية ببعض الأساتذة المنتسبين إلى قسم الـرياضـيـات، منهـم روني دي بوسل R. de Possel الذي كـان يدرس التحليل والميكانيك. ولم يكن دي بوسل مجرد أسـتاذ بالجامعة، بل كان أيضاً أحد مؤسسي فريق بورباكي Bourbaki الشهير عام ١٩٣٤م. كان لهذا الفريق، الذي تشكّل بمبادرة شـخصيـة لرياضيين شبـاب، تأثير منقطع النظير في فرنسـا والعالم في حقل الرياضيـات. فقد قدم خـدمة جليلة للرياضـيات الحديثـة طوال القرن العشرين، إذ كان شـغله الشاغل وضع الرياضيات على أسس مـتينة ترضي الرياضـيين كافـة. حدث ذلك في وقت كانت الرياضيات تشتكي فيه من كثرة الفجـوات والثغرات فـي بنيانها المنطقي، لـم يتفطن إليهـا سوى كبـار الرياضيين. وما يلفت الانتـباه في عمل هذا الفـريق ليس ذلك الإنجاز فـحسب، بل إن المنهج الذي اتبعـه للقيام بهـذا الإنجاز جديـر أيضاً بالتنويه والإشـادة. وليتـه يكون قـدوة لنا في عـالمنا العربي اليوم(٣).

ولقـد تمثل عمل بورباكي في إصـدار سلسلة من الكتب المرجـعيـة تحت عـنوان Elements de mathematiques «عنـاصــــر من الرياضيات» أو «أصول الرياضيات»، وهو عنوان يشبه العنوان Elements d'Euclide (أصـول إقليـدس) الشهـيـر للرياضي الإغـريقي إقليـدس (نحو ٢٩٥ قـبل الميـلاد) مؤسـس الهندسة التـقليـدية. ويرمي فريق بورباكي عبر هذه السلسلة من الكتب إلى إعادة كتابة الرياضيات على أسس صلبة بعد أن كـثر الإنتاج الرياضي وتشعبت مسـالكه. كما يرمي هذا العـمل إلى البرهان على وحـدة الرياضـيـات بإبراز الهيـاكل الأساسيـة التي يشترك فيها مـختلف فروعها. ولبلوغ هذا المقـصد أقدم بورباكي على عرض مختلف المفهومات «بأخذ الرياضيات من منطقها في ترتيب منطقي متميز».

كان دي بـوسل قد لاحظ منذ البـداية حدة ذكـاء أودان.. ولم يخطئ الأستاذ في تقويم تلميذه إذ رفعته نتائجه الدراسية إلى الرتبة الأولى في دفـعـته. وهـكذا باشر أودان الـبحث بمـجرد حـصـوله على الإجـازة، فنشرت لـه مجلة أكاديميـة العلوم الفرنسـية أول أبحـاثه عام ١٩٥٣م. وعـيّن في السنة نفسـهـا معـيداً بجـامعـة الجـزائر وعمـره لم يتجـاوز ٢١سنة.

نضال سري

والأمر الذي كان يزعج السلطات الاستعمارية في سلوك أودان هو تأييـده لاسـتـقـلال الجـزائر، ونضـاله ضـد الاسـتـعـمـار إلى جـانب الجـزائريـين الذين فـجّروا ثـورة التـحـرير عــام ١٩٥٤م. وفي إطار مـضايقـة كل الذين يقفـون ضد الاسـتعـمار، جـزائريين أم فرنسـيين، منعت السلطات نشـاط الأحزاب الوطنيـة، ومن ثم صار نـضال أودان سرياً.


THÈSES
A LA FACULTÉ DES SCIENCES
DE L'UNIVERSITÉ DE PARIS
CHARTRES
IMPRIMERIE DURAND

غلاف أطروحة الدكتوراه في الرياضيات لموريس أودان

وفي هذه الظروف كـان أودان يؤدي مـهـامـه التعليمية في كلية العلوم بجامعة الجزائر، ويساهم في الملتـقـيـات الدورية التي كـان يشـرف عليـها الأستـاذ دي بوسل للاطلاع على المستـجدات في عالم الرياضيات.

وكانت بحـوث أودان قد بلغت مرحلة متـقدمة عام ١٩٥٦م فرأى أن الوقت قد حان لمناقشتها في إطار رسالة الدكتوراه خـلال السنة التالية. ولذلك سافـر إلى باريس للتـسجـيل بالجامـعة طالبـاً في الدراسـات العليـا، والتـمس من الأسـتـاذ لورنت شــوارتز أن يكون عــضـواً في لجنـة مناقـشــة الدكتوراه. وقد أبدى شوارتز عدداً من الملاحظات حـول عمل أودان لكي يـكون مقبولاً لـلمناقشـة. وعبّر أودان آنذاك عن مـخاوفه لما يجري في الجزائـر من قمع وتعسف وتدهور للحـريات الفردية وللأحـوال العامـة، فقد أصبحت السلطات تلاحق المثقفين وغيرهم ممن يقف ضد سياستها الاستيطانية، وتصادر كل الصحف التي تتناول موضوع التعذيب وفقدان الأشخاص.

وشرع أودان في تحرير أطروحتـه لدى عودته إلى الجزائر.. وكان على وشك الانتـهـاء منهـا يوم ١١ يونيو/حـزيران عـام ١٩٥٧م (يوم اختطافـه من منزله). لكن لم يكتب له مناقشـة الدكتـوراه لأنه لم يظهر أمام الجمهور منذ ذلك التاريخ.

ويروي الكاتب الفرنـسي المعـروف هنري آلاغ H. Alleg(٤) في كتابه La Question: القضية «أنه شاهد أودان بعد الحادي عشر من يونيو/ حـزيران عام ١٩٥٧م وهو يحـمل آثاراً كثيـرة على جسـمه من جراء التعذيب».

مناقشة غيابية

وفي خريف عام ١٩٥٧م اقترح دي بوسل على الأستاذ لورنت شوارتز أن تناقش أطروحة أودان غيابياً كوسيلة تعبير عن استنكار الجامعيين للتعذيب الذي كان يمارس في الجزائر. وحدث ذلك فعلاً يوم الثاني من كانون الأول/ديسمبر عام ١٩٥٧م: فقد غص أحد مدرجات جامعة باريس في ذلك اليوم بالجمهور، ونهض رئيس لجنة المناقشة - المشكّلة من رياضيين ذوي شهرة عالمية - وطلب (مخاطباً جمهور القاعة) من موريس أودان التقدم لمناقشة أطروحته، وكأنه لا يدري أن موريس أودان غير موجود. فلم يتقدم أحد. ولذا طلب الرئيس من الأستاذ المشرف على عمله القيام بهذه المهمة. وكان لهذا الحدث الذي حضره أيضاً الصحفيون، صدى واسع ومؤثر في صفوف الجامعيين جعلهم يدركون واقع الأوضاع في الجزائر آنذاك، ومن ثم تجدّد الكفاح ضد التعذيب في الجزائر من قبل الطبقة المثقفة.

وقد نشرت أطروحة أودان في أربعة أبحاث بمجلة أكاديمية العلوم الفرنسية. والملاحظ أن أسلوب عمل أودان وموضوعه يشبهان كثيراً أسلوب فريق بورباكي وموضوعاته. ولعل من المفيد في هذا المقام أن يطلع القارئ على بعض ملامح هذا الأسلوب وتلك الموضوعات التي كان لها وقع كبير على سائر العاملين في حقل الرياضيات خلال القرن العشرين. لكن هذا لا يعني أن الجميع كان يتفق مع هذا الأسلوب المتميز. وهل نجد أفضل من جون ديودوني J. Dieudonne (١٩٠٦ - ١٩٩٢م) ليحدثنا عن بورباكي وانشغالاته؟

وصف موضوعي

يعدّ جون ديودوني من أبرز رياضيي القرن العشرين، وهو يمتاز من الرياضيين الآخرين بكثرة مؤلفاته ودسومتها. كما يمتاز بسعة اطلاعه على شتى الفروع الرياضية. وكان يؤدي دوراً رئيساً في مجموعة بورباكي، فقد أشرف على القراءات الأخيرة لكل النصوص التي أصدرها بورباكي. كما كان يقوم بحلّ المسائل الواردة في كتب بورباكي كافّة. ولتوضيح اختيار الموضوعات التي عرضت في سلسلة بورباكي قام ديودوني بتصنيف دقيق للمسائل الرياضية في ضوء قراءته لتاريخ الرياضيات. فكل نظرية تبدأ بجهود بغية حل مسألة معينة، وهذه المسألة لابدّ أن تنتمي إلى أحد الأصناف الآتية:

- الصنف الأول: «المسائل المولودة ميتة»، وهي المسائل التي تذهب الجهود من أجلها أدراج الرياح، ولا تأتي منها أي فائدة.


ساحة موريس أودان بالجزائر العاصمة

- الصنف الثاني: «المسائل العديمة النسل»، وهي المسائل التي يتمّ حلها من دون أن يكون لهذا الحل تأثير في مسائل أخرى، وكان الحلّ جاء على مقاس المسألة.

- الصنف الثالث: المسائل المولودة من أجل إرساء طريقة، وهي المسائل التي يؤدي التعمّق في تقنيات حلّها إلى النجاح في حلّ مسائل أخرى، وذلك من دون إدراك جيّد لسبب هذا النجاح.

- الصنف الرابع «المسائل المصطفة حول نظرية عامة»، وهي المسائل التي تكتشف خلال دراستها وجود بنى رياضية تربطها لم تكن في الحسبان، ومن ثم فإن هذه المسائل تنير عدة جوانب، وتقدم أدوات عمل شاملة وقوية تسمح بتسليط الضوء على جملة من المسائل الأخرى في ميادين شتى من ميادين الرياضيات.

ثم إنّ النظريات التي تتكون من خلالها هذه المسائل تصنف صنفين:

- الصنف الأول: «النظريات المتجهة نحو الذبول». فكما يقول ديفيد هيلبرت Hilbert (١٨٦٢ - ١٩٤٣م) - باعث رياضيات القرن العشرين: «إن النظريات لا تزدهر إلا بالإسهامات المتواصلة بمسائل جديدة. وإذا توقف مدّ نظرية بالمسائل الجديدة فلن يبقى لها سوى مسائل منعزلة ذات طابع تخصصي، وهو ما يجعلها تتجه نحو الذبول».

- الصنف الثاني: «النظريات المتجهة نحو الذوبان»، وهي النظريات التي يسمح فيها اختيار المسلمات بتطوير تقنيات ذات فعالية جيدة في فروع مختلفة من فروع الرياضيات. فيدفعها ذلك إلى إجراء

تعديل على المسلمات بشكل عشوائي من دون هدف واضح، أملاً في تجديد النجاحات التي حققتها النظرية في صياغتها الأولى.. لكن هذا الأمل لا يتحقق إلا نادراً.

وبعد هذا التصنيف، يقول ديودوني، على لسان فريق بورباكي: «يبدو لي أن جلّ موضوعات حلقة بورباكي كانت تصبّ، بالدرجة الأولى، في الصنف الرابع من المسائل؛ بينما يصب بعضها الآخر في الصنف الثالث». ، ويضيف ديودوني محذراً: «أعتقد أني قدمت هنا وصفاً موضوعياً بقدر المستطاع، وسوف أمتنع عن التعليق عليه أكثر مما فعلت».

إن ما يميّز الرياضيات البورباكية هو وحدتها، ذلك أنك لا تجد فكرة في نظرية من دون انعكاسات على نظريات أخرى. وفي معرض حديث عن المقاييس التي يستند إليها تقويم عمل رياضي، يقول ديودوني: إننا لا نبني حكمنا على مقاييس «الفائدة»، ولذلك لا بدّ أن تكون مقاييس التقويم «جمالية»... وكل ما يتعلق بالجمال هو قضية ذوق! وبناء على ذلك نجد ثلاث مدارس أساسية:

- أولاً: «التقليديون»، وهم أشبه باليمين المتطرف.
- ثانيًا: «المساواتيون»، وهم أشبه باليسار المتطرّف.
- ثالثًا: «المركزيون»، وهم فئة بين «التقليد» و«المساواة» يكونون مدرسة يصعب إيجاد نعت دقيق لها: إنهم المنتسبون إلى بورباكي.

ويمضي ديودوني في وصفه مشيراً إلى أن «التقليديين» و«البورباكيين» يميلون في اختيار موضوعات البحث إلى الموضوعات التي لها تاريخ طويل، وشدّت انتباه رياضيين كبار. بينما يرى «المساواتيون» أن المهم هو حل المسائل الرياضية بغض النظر عن مصدرها وعن اهتمام الآخرين بها.

وفيما يخص الطريقة المتبعة في البحث فإن «البورباكيين» و«المساواتيين» يفضّلون إنشاء نظريات جديدة مبنية على مسائل قديمة، وهو ما يسمح في نظرهم بالوصول، في آخر المطاف، إلى إدراك جذور المسألة. بينما يميل «التقليديون» إلى الغوص في حلّ المسائل باستعمال أفكار وأدوات معروفة منذ القدم.

وفي نظر ديودوني فإن ما يميّز بورباكي من «التقليديين» و«المساواتيين» هو «اعتقاده الراسخ أن الرياضيات هي أصلاً بسيطة. وإذا حدث أن وصلنا فيها إلى أشياء معقدة، فذلك يعني أن المسألة لم تطرح بشكل جيّد بسبب انطلاقنا من وجهة نظر سيئة».

وبعد هذا التحليل، يقول ديودوني: «.... بطبيعة الحال هو رأي بورباكي». ثم كشف عن رأي يبدو غريباً وجريئاً بشكل مثير مضمونه أن الرياضيات تنقسم قسمين: «رياضيات نبيلة»، و«رياضيات حقيرة» ملاحظاً أنه لا توجد انتخابات بالأغلبية في الرياضيات «فالمسألة مسألة أرستقراطية»! هناك رياضيات «نبيلة» يشتغل فيها قلة من الرياضيين (عددهم نحو ١٥٠ رياضياً خلال القرن العشرين). وماذا يفعل زعماء هذه الفئة؟ إنهم يقدمون التوجيهات. وماذا يفعل آلاف الباحثين الآخرين في حقل الرياضيات في العالم؟ عليهم أن يكونوا قوماً تبعاً يحاولون السير في الطرق التي مهدها لهم العمالقة. فالعمالقة أناس سابقون لعصورهم.. وما دور القوم التبّع سوى شرح ما ترفع العمالقة عن توضيحه وتعميمه! وعندما تعرض ديودوني إلى تصنيف «النظريات النبيلة» و«النظريات الحقيرة» أشار إلى أن معرفة «النظريات النبيلة» تتطلّب قراءة بورباكي!(٥).

تلك هي الرياضيات التي يبدو أن موريس أودان كان يؤمن بها. ولعل ذلك كان أحد الأسباب التي أنشئت من أجلها جائزة سنوية عام ١٩٥٩م تحمل اسم جائزة «موريس أودان» تمنح لرياضي شاب. ولسوء الحظ اختفت هذه الجائزة عام ١٩٦٤م - بعد استقلال الجزائر بسنتين - وكان من بين الفائزين بها العلامة جاك لويس ليونس J. L. Lions (١٩٢٧ - ٢٠٠١م) رئيس أكاديمية العلوم الفرنسية الأسبق والمستشار لدى عدد من الهيئات الرسمية والخاصة في الشؤون العلمية. وقد أشرف على تسليمها كبار الرياضيين العالميين، مثل جون ديودوني، ومنهم الحاصلون على ميدالية فيلدز (أمثال روني توم R. Thom مبتدع نظرية الكوارث خلال الخمسينيات وجون بيير سير J.P.Serre). ومن جهة أخرى سلمت عام ١٩٦١م جائزة باسم موريس أودان في إيطاليا. ولذا هناك مجموعة من الرياضيين في الغرب ينادون الآن بإنشاء جائزة باسم أودان تمنح سنوياً لرياضي عبقري لم يتجاوز سن الخامسة والعشرين، وهي عدد السنين التي قضاها أودان على قيد الحياة.

واليوم ما زالت زوجة أودان حية ترزق، وما زالت تناضل في بلدها ليعاد الاعتبار لزوجها، ولتكشف السلطات الفرنسية رسمياً عن حقيقة اغتياله.

المراجع والهوامش

١. انظر - Tronel G: Un mathe'maticien mort sous la Torture, Pourla Science, September 2001

٢. الكتاب هو: Schwartz L.Un mathe'maticien aux prises avec le siecle Odile Jacob, Paris, 1977.

٣. نيكولا بورباكي اسم إغريقي استعارته جماعة من الرياضيين الشباب للتستر وراءه، وقد لا يكون مجرد مصادفة أن يوجد في مدينة نانسي الفرنسية، حيث مكث عدد كبير من هؤلاء الشباب، تمثال لقائد عسكري حقيقي هو الجنرال دوني سوتر بورباكي Bourbaki (١٨١٦ - ١٨٩٧م). وأدى هذا الجنرال دوراً بارزاً في الحرب التي دارت رحاها بين فرنسا وبروسيا. كما أنه كان أحد قادة الجيش الاستعماري الفرنسي في الجزائر.

٤. هذا الكاتب أوقف وعذّب بالجزائر هو الآخر لنضاله السياسي، وقد شاهد أودان خلال عملية إيقافه.

٥. انظر: Dieudonne J: Orientation Generale des mathematiques Pures en 1973, In P. Samuel, mathematiques, mathe'maticiens et Societe, Pub. Univ., Paris 11, mathematiques. 16,1974.



فوز مركز الملك فيصل
للبحوث والدراسات الإسلامية
بجائزة الملك عبدالله الأول العالمية

حجز توت عنخ آمون

احتجاج يهودي على اليونسكو

آشور العراقية:
تاريخ مهدد بالغرق

مكتبة عثمانية في مزاد

فوز أندريه ميكال
وستيفن هوكينغ بجائزتين
وزهى العربية تصمم متحفًا إيطاليا

خاتمة المطاف

اللغة الكونية



مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية يفوز بجائزة الملك عبدالله (الأول) العالمية



الأمير تركي الفيصل



الملك عبدالله الثاني

أعلن مؤخراً في المملكة الأردنية الهاشمية عن فوز مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بجائزة الملك عبدالله الأول ابن الحسين العالمية، التي تمنحها مؤسسة آل البيت للفكر الإسلامي الأردنية، والتي خصصت لهذا العام ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م في مجال خدمة التراث العربي الإسلامي تأليفاً وتحقيقاً ونشراً. كما فاز بالجائزة مناصفة مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي في المملكة المتحدة. وسوف يتم تسليم الجائزة التي تتألف من شهادة ودرع تذكاري ومكافأة رمزية ـ للمؤسستين الفائزتين بها في أثناء افتتاح دورة مؤتمر المؤسسة الثانية عشرة في الفترة من ٢٤ إلى ٢٦ جمادى الأولى ١٤٢٣هـ الموافق من ٤ إلى ٦ أغسطس/آب ٢٠٠٢م برعاية الملك عبدالله الثاني ابن الحسين ملك المملكة الأردنية الهاشمية.

ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية هو أحد فروع مؤسسة الملك فيصل الخيرية، ويرأس مجلس إدارته صاحب السمو الملكي الأمير تركي الفيصل، ويرمي إلى دعم حركة البحث العلمي، وتنشيطها، وتشجيعها، ولاسيما في المجالات ذات العلاقة بالتاريخ والحضارة الإسلامية، كما يتبنى حركة نشر مقتنيات الفن الإسلامي في عصوره المختلفة وعرضها.

وقد نشر المركز كثيراً من الكتب المحقَّقة والمؤلفة والمترجمة، كما أصدر دليل الرسائل الجامعية في المملكة العربية السعودية، ومجموعة من فهارس مخطوطاته الأصلية والمصورة.

ولتيسير سبل وصول الباحثين إلى المعلومات فقد أنشأ مجموعة من قواعد المعلومات المتخصصة، وتنقسم هذه القواعد قسمين وهما: قواعد ببليوجرافية، وأخرى غير ببليوجرافية. وتضم مكتبة المركز قرابة ١٠٠ ألف عنوان، ثلثها باللغات الأجنبية، وهذه العناوين تغطي مجالات الفكر الإسلامي والإنساني. وتمتلك المكتبة ٣٥٠٠ دورية في أكثر من عشر لغات، منها مجموعة كبيرة من الدوريات النادرة والمتوقفة عن الصدور، وهذه الدوريات مصورة على مصغرات فلمية (ميكروفيلم)، وهناك ٦٠ ألف كتاب و ٢٦١ ألف مقالة.

ويضم المركز نحو ٥١ ألف مخطوطة مفهرسة، منها نحو ٢٦ ألف مخطوطة أصلية وأكثر من ٢٥ ألف مخطوطة مصورة في مختلف العلوم والفنون، حيث تقدم معلومات مفهرسة وشاملة عن هذه المخطوطات مما يوفر الكثير من الوقت والجهد للباحثين عن هذه الكنوز التراثية.

ومن أبرز نشاطات المركز تنظيم المحاضرات والندوات التي يتم عقدها في إطار الموسم الثقافي للمركز، وتتنوع موضوعات هذه المحاضرات والندوات تنوعاً كبيراً.

ويقيم المركز سنوياً معارض للتراث والفن الإسلاميين، بغية الإسهام في الحفاظ على هذا التراث وتقديمه ـ بمختلف أنواعه وفروعه ـ في صورة تحفظه من الإهمال والضياع باتباع أفضل السبل، وأكثرها تأثيراً في النفوس. ومن أحدث المعارض التي يستعد المركز لإقامتها معرض عن القدس وفلسطين من خلال الكتب والوثائق ومجموعة من الكتب الأجنبية والرحالين العرب والأجانب، والتي تبرز وضع القدس وفلسطين إلى ما قبل احتلالها وتقسيمها على يد اليهود.

ويوجد في المركز متحف متخصص للتراث الإسلامي يحتوي على عدد كبير من القطع الإسلامية من مختلف الأنماط، من أسلحة وزخرفيات وزجاج

ومسكوكات وورقيات ومنمنمات إلى فخاريات ومعدنيات، تكون ممثلة لكل العصور ومختلف مناطق العالم الإسلامي منذ بداية العصر الإسلامي حتى اليوم، وهناك مشروعان للإسهام في ترميم المخطوطات اليمنية، وترميم مخطوطات دار الكتب المصرية، ولكنهما لم يتبلورا بعد.

وتصدر عن المركز مجلة الدراسات اللغوية، وسلسلة «قضايا معاصرة» في محاولة للمواءمة بين قضايا التراث والمعاصرة.

ويضم المركز كذلك مكتبة للأطفال بالمركز، خُصصت للأطفال الذين تراوح أعمارهم بين ٥ و ١٢ سنة، ويبلغ عدد الكتب الخاصة بالأطفال ١٨٥٠٠ كتاب تقريبًا، وهناك أنشطة متنوعة يمارسها الأطفال المترددون إلى المكتبة، ويبلغ المعدل السنوي لعدد رواد المكتبة من الأطفال أكثر من ١٨ ألف طفل.

وتضم إدارة الخدمات الفنية في المركز عددًا من الأقسام المتخصصة، وهي قسم ترميم المخطوطات، ويمتلك هذا القسم معملاً متنقلاً لترميم المخطوطات مزودًا بأحدث الأجهزة والمعدات، وهناك قسم الوسائل السمعية والبصرية: ويقوم بتسجيل نشاطات المركز في قاعة المحاضرات وحلقات البحث في المركز تسجيلاً مسموعًا ومرئيًا، كما يعنى بإنتاج المواد السمعية والبصرية المطلوبة للحفظ في المكتبة السمعية والبصرية التابعة للمركز، ومن أقسام المركز الأخرى: قسم المصغرات الفلمية (الميكروفيلم والميكروفيش)، وقسم الطباعة والتجليد.

شخصيات تركي الحمد

«ويبقى التاريخ مفتوحًا - أبرز ٢٠ شخصية سياسية في القرن العشرين» هو عنوان الكتاب الذي صدر حديثًا عن دار الساقي في بيروت لمؤلفه الدكتور تركي الحمد؛ إذ اختار ٢٠ شخصية رأى أنها الأبرز في القرن العشرين وهي: مؤسس المملكة العربية السعودية جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود - رحمه الله - ومحرر الهند من الاستعمار البريطاني المهاتما غاندي، ومؤسس الدولة السوفييتية فلاديمير اليتش لينين، والرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت، ورئيس الوزراء البريطاني ونستون تشرشل، وجوزيف ستالين، ومؤسس الصين الحديثة ماو تسي تونج، والزعيم النازي الألماني أدولف هتلر، ورئيسة الوزراء البريطانية مارغريت تاتشر، والرئيس الأمريكي السابق رونالد ريجان، والرئيس السوفييتي ميخائيل جورباتشوف، ومؤسس دولة باكستان محمد علي جناح، ومارتن لوثر كنج، وجمال عبدالناصر، واليوغسلافي جوزيف بروز تيتو، والزعيم الهندي جواهر لال نهرو، ومؤسس الحركة الصهيونية تيودور هرتزل، ومؤسس إسرائيل ديفيد بن جوريون، ومؤسس الجمهورية الإسلامية الإيرانية آية الله الخميني، ورئيس جنوب إفريقية نلسون مانديلا.





تركي الحمد

وأكد الحمد أنه ركز في مدى تأثير وجود شخصية البطل في تغيير مجرى الأحداث، وفي أداء دور بارز في مسار أحداث بلدانها والعالم.

الأوغاد يضحكون



غلاف الرواية

«جوى: تأتين كأغنية في حنجرة شيخ يتغرغر بها ليتذكر حلاوة الحياة .. أبوك لا يكترث بالأوغاد .. فتعالي نتجاوز ونقتطف غيومنا ونضحك سويًا على فتات الناس .. نضحك على هؤلاء الذين يعكرون الحياة».

بهذا الاستهلال الخاص استفتح الكاتب السعودي عبده خال مجموعته القصصية الجديدة التي صدرت مؤخرًا عن دار الريس تحت عنوان «الأوغاد يضحكون».

وجاءت محتويات المجموعة كالآتي: «الأوغاد

يضحكون»، ويتكون من عدة قصص: «البلوزة»، و«الرائحة القادمة»، و«الذباب»، و«الماء يسير باتجاه واحد»، و«الأوغاد يضحكون»، و«ماذا قال القميري؟»، و«نبت القاع»، و«جارتنا الصغيرة»، و«....من أي الجهاد تأتي؟».

وقصص نيئة، وتتكون من عدة قصص: «حين تنبت الصرخة»، و«الممر»، و«الحل الوحيد»، و«غياب»، و«غزل»، و«إملاء»، و«المضطجع»، و«جفت الدنيا»، و«تحقيق».

وكان قد سبق له إصدار عدة مجموعات قصصية منها: «حوار على بوابة الأرض»، و«لا أحد»، و«ليس هنا مايبهج»، و«حكايات المداد» وهي مجموعة قصص أطفال، و«الموت يمر من هنا» رواية، و«مدن تأكل العشب» رواية، و«من يغني في هذا الليل»، و«الأيام لا تخبىء أحداً»، إضافة إلى رواية تحت الطبع بعنوان «ذلك الغريب».

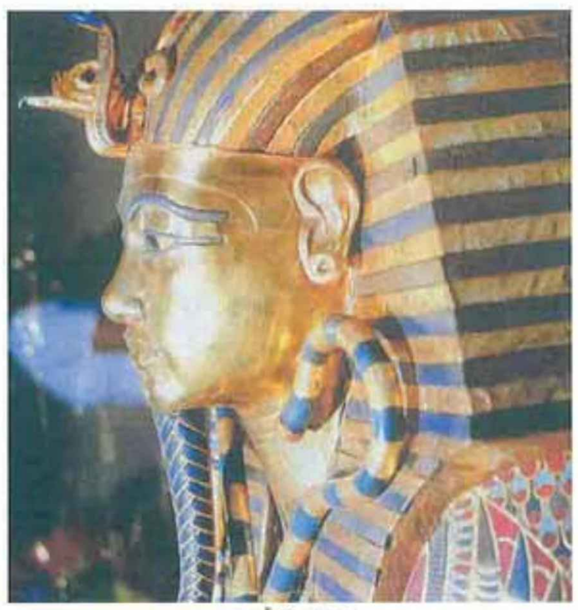
فوز أندريه ميكال

قرر مجلس السفراء العرب في باريس منح جائزته السنوية الأولى للعام ٢٠٠٢م للمستشرق الفرنسي أندريه ميكال الذي كتب عدة أبحاث حول الشعر والأدب العربيين وخاصة حول كتاب «ألف ليلة وليلة»، وقد سلم عميد السلك الديبلوماسي العربي في فرنسا السفير المصري علي ماهر السيد الجائزة لميكال خلال حفل أقيم بمعهد العالم العربي، وشارك فيه عدد من الشخصيات الديبلوماسية والأدبية.

وذكر بيان صادر عن مجلس السفراء العرب في فرنسا أن المجلس قرر منح جائزة سنوية عربية ـ فرنسية «لشخصية فرنسية ساهمت بأعمالها أو بحوثها العلمية في التقريب بين العرب والفرنسيين في المجالات الثقافية والعلمية والتقنية والأدبية والرياضية».

حجز توت عنخ آمون

أفرجت السلطات البريطانية مؤخراً عن بعض محفوظاتها للجمهور بعد مرور ثلاثين عاماً عليها، إذ يسمح القانون بالإفراج عن الوثائق بعد مرور هذه المدة ما لم يتعارض الإفراج عنها مع الأمن القومي للبلاد.



توت عنخ آمون

وكان من ضمن الوثائق المفرج عنها وثيقة تقول: إن كنز الملك الفرعوني توت عنخ آمون كاد يتعرض للحجز الاحتياطي بموجب حكم صادر سابقاً بسبب تمنع التلفاز المصري «قطاع عام» عن دفع حقوق مستحقة لشركة تلفاز سويسرية.

فحينما كانت الاستعدادات تجري في العاصمة البريطانية لاستقبال الفرعون المصري وعرضه على الجمهور البريطاني الذي عُرف بشغفه بالآثار المصرية، تنبه المسؤولون المصريون لاحتمال أن تحجز الحكومة السويسرية على هذا الكنز إذا عُرض في أوربا، وتخوفت السلطات البريطانية أيضاً أن تلغي السلطات المصرية عملية الإعارة لهذا الكنز بعد الاستعدادات الكبيرة التي تمت لاستقباله، فأرسلت السلطات البريطانية كتاباً رسمياً إلى مصر تعهدت فيه بالتعويض عن هذا الكنز الذي لا يقدر بثمن في حالة حدوث هذا السيناريو الكارثي، وهذه الرسالة هي ما كُشف عنه مؤخراً ضمن هذه المحفوظات المفرج عنها.

وكان السبب في عدم الكشف عن هذه الرسالة طوال هذه المدة هو التناقض الذي تحمله الرسالة بين طياتها، إذ

تعهدت الحكومة في الرسالة بالتعويض عن هذا الكنز الذي لا يقدر بثمن، فكيف تعوض عن شيء لا يقدر بثمن؟، ثم أمر آخر لم تقله الرسالة، ولكنه يُفهم من مضمونها الذي يشير إلى أن الحكومة البريطانية ستبذل كل ما في وسعها لمنع حدوث الحجز الاحتياطي، وهذا يعني في دولة قانون مثل بريطانيا أن تضغط الحكومة على الجهات القضائية لمنع وصول الأمر إلى نقطة الحجز، وكان بإمكان هذه التناقضات أن تؤثر في الحكومة آنذاك، ففضلت الحكومة حجب هذه الرسالة طوال هذه المدة!!.

زهى في روما

بدأت في روما مؤخراً أعمال إنشاء المبنى الجديد للمتحف الوطني للفن المعاصر الذي صممته المعمارية العراقية الأصل البريطانية الجنسية زهى حديد، ويوفر المبنى الجديد - الذي قدرت تكاليف بنائه بنحو ١٣٠ مليون يورو (١٢٠ مليون دولار) - حيّزاً كبيراً لمختلف أنواع الفنون، ويقع المبنى في الأطراف الشمالية لمركز روما التاريخي.

زهى حديد

ويبدو المبنى الجديد على شكل سلسلة من الممرات والطرق الملتوية المغطاة بالزجاج، توضع الواحدة منها فوق الأخرى، وقالت زهى حديد: «إنها امتداد أو توصيلة عصرية من عدة طبقات، لما تعنيه المدينة. وآمل أن يكون (التصميم) مثل الحجر الذي يلقى في البركة، مؤدياً إلى تموجات لكل المنطقة المحيطة».

ويأتي هذا الحدث، الذي سيحول روما من عاصمة الأمجاد القديمة إلى مدينة معاصرة لفنون القرن الحادي والعشرين، بعد افتتاح أكبر منشأة موسيقية في إيطاليا مؤخراً صممها، وفق التقنيات الحديثة، المعماري الإيطالي رنزو بيانو الذي اشتهر عالميًا بتصميمه في السبعينيات من القرن الماضي لمركز بمبيدو في باريس.

وكانت زهى - كريمة وزير الاقتصاد العراقي المعروف محمد حديد - قد صممت عدداً من المنشآت الأخرى التي وجدت الإشادة من المعماريين الذين وصفوا زهى بـ «المغنية الأولى» في المعمار، ومن هذه المنشآت مركز فني في سينسيناتي، وموقع للتزحلق في النمسا، ومركز علمي في ألمانيا، ومجمع حضري في سنغافورة، وطريق جسر في أبوظبي.

ولدت زهى في بغداد عام ١٩٥٠م، وأكملت تعليمها في العراق وسويسرا ولبنان، واستقرت عام ١٩٧٢م في بريطانيا، وركزت اهتمامها في المعمار، وقد فازت مؤخراً بوسام الإمبراطورية البريطانية سي بي آي لمساهمتها في خدمة فن العمارة، والوسام تمنحه ملكة بريطانيا اليزابيث الثانية عادة لشخصيات عامة لمساهماتها المهمة في مجالات تخصصها، وذلك في مناسبتين، عيد ميلادها في يونيو/حزيران، وفي رأس السنة الميلادية.

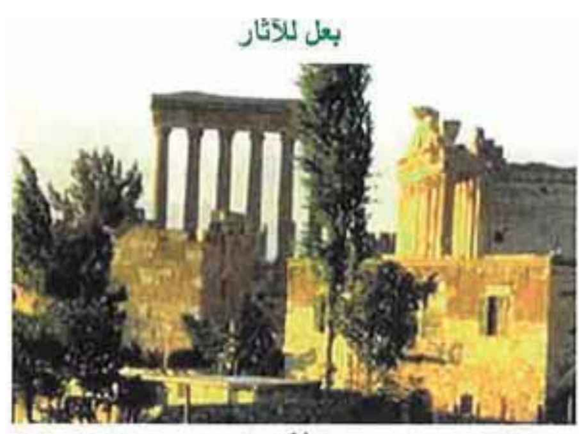
مكنز علوم الوقف

بدأت الأمانة العامة للأوقاف بالكويت العمل على إنجاز مشروع مكنز علوم الوقف الذي تقوم بتنفيذه شركة النظم العربية المتطورة بالرياض، والذي يعد أول مكنز مختص بالوقف والموضوعات المتعلقة به، ويقوم بإعداد هذا المشروع نخبة من المختصين البارزين في مختلف المجالات ذات العلاقة، سواء في مجال الوقف بمفهومه الواسع، الفقهي والقانوني والاجتماعي إلى غير ذلك من الأوجه المتعددة لنظام الوقف، أو مجال علوم المكتبات والمعلومات أو مجال تقنية الحاسب الآلي ونظم المعلومات؛ ولتزايد حركة الاهتمام بالوقف ودوره المهم في المجتمع، والاهتمام بإحياء سنة الوقف التي قامت عليها الحضارة الإسلامية عدة قرون، والرغبة في إعادة تفعيل هذا النظام لكونه ركيزة من ركائز إقامة حضارة معاصرة قادرة على مواجهة تحديات المستقبل، جاء هذا المشروع ليوفر أداة ضبط معلوماتية، إذ يوفر للعاملين في مجال المكتبات ومراكز المعلومات أداة فاعلة تساعدهم على القيام بعمليات التحليل الموضوعي

في هذه المجالات بشكل دقيق يضمن للباحثين والمهتمين في مجالات الوقف الوصول إلى جميع احتياجاتهم العلمية والبحثية، سواء باللغة العربية أو الإنجليزية، فقد تم تصميم المكنز بحيث يكون ثنائي اللغة (عربي/ إنجليزي) في مرحلته الأولى، وبحيث يكون قابلاً لإضافة لغات أخرى كالفرنسية. وتحقيقاً للفائدة القصوى للمكنز ومواكبة للتطور التقني في مجالات المعلومات، سوف يتم بناء قاعدة بيانات خاصة متوافقة مع أنظمة الميكنة المكتبية ليتم تحميل مادة المكنز عليها، وذلك بهدف توفير المكنز بشكل إلكتروني بالإضافة إلى شكله الورقي المعتاد، ويتوقع أن يتم الانتهاء من العمل في هذا المشروع بنهاية عام ٢٠٠٣م.

يذكر أن الأمانة العامة للأوقاف بالكويت قد قامت منذ عام ١٩٩٩م بإصدار سلسلة كشافات أدبيات الأوقاف التي تغطي مجموعة متنوعة من الدول الإسلامية.

بعل للآثار



بعلبك

أعلن وزير الثقافة اللبناني غسان سلامة عن انطلاق مجلة المديرية العامة للآثار «بعل» في احتفال أقيم بمتحف بيروت جمع عدداً من المهتمين بالآثار ، وأكد سلامة في المناسبة «أن اهتمام لبنان بالآثار أعاده إلى الساحة العلمية والدولية بعد أن غاب عنها فترة طويلة؛ والدليل على ذلك انعقاد المؤتمر العالمي حول «تاريخ العصر البرونزي» في بيروت حالياً، حيث تشكل استضافته مناسبة لوزارة الثقافة وللمديرية العامة للآثار لاستقبال علماء آثار وباحثين لامعين ذوي شهرة عالمية». مشيراً إلى أن مجلة «بعل» للآثار والعمارة اللبنانية ستحتل موقعها الطبيعي في كل الجامعات العالمية المميزة.

فوز ستيفن هوكينغ

فاز البروفيسور ستيفن هوكينغ أستاذ الرياضيات في جامعة كمبردج بجائزة أفنيتس للكتب العلمية، التي تعد أهم الجوائز التي تمنح للكتّاب العلميين، وتبلغ قيمتها المالية ١٠ آلاف جنيه إسترليني، وذلك عن كتابه «الكون باختصار».

وقال راج بيرسود ـ رئيس لجنة تحكيم جائزة أفنيتس: «هذا الكتاب يمثل جهوداً حثيثة لإحياء الموضوع من خلال نص مقروء، وصور واضحة، وهو يصور الكون من وجهة نظر عالم كبير قدم إسهامات مهمة في هذا الميدان».

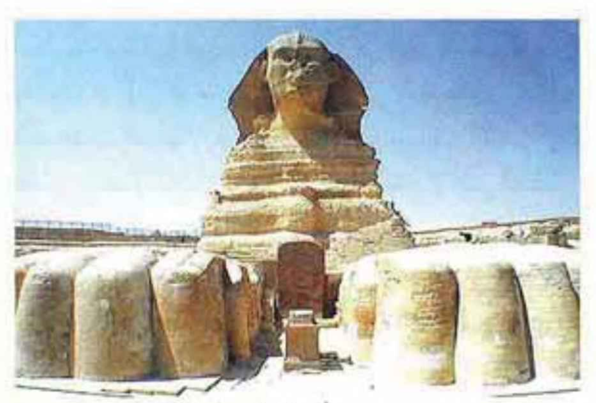
والكتاب هو مرشد مصور عن الكون بما في ذلك الثقوب السوداء، ونظرية الكوانتوم، والتضخم، والسفر عبر الزمن، وهو تتمة لكتاب هوكينغ «موجز تاريخ الزمن» الذي أكسبه شهرة عالمية عندما نشره عام ١٩٨٨م، ووزع منه ٩ ملايين نسخة، على الرغم من صعوبة قراءته.

أما جائزة أفنيتس لأفضل كتاب علوم مخصص للأطفال، وقيمتها ١٠ آلاف جنيه إسترليني فقد فاز بها ريتشارد ووكر عن كتابه «المرشد إلى جسم الإنسان».

كنوز مصر القديمة

شهدت العاصمة الأمريكية واشنطن مؤخراً الافتتاح الرسمي لمعرض الآثار المصرية القديمة تحت عنوان «البحث عن الخلود .. كنوز مصر القديمة»، ويعد هذا المعرض الأول من نوعه في أمريكا منذ قرابة ربع قرن.

ومثّل مصر في حفل الافتتاح الرسمي السفير المصري في الولايات المتحدة الأمريكية نبيل فهمي، ووفد ثقافي رفيع المستوى على رأسه الدكتور زاهي حواس الأمين العام للمجلس الأعلى للآثار، ويستمر هذا


أبو الهول

المعرض حتى ١٤ أكتوبر/تشرين الأول القادم في بداية جولة تستمر خمس سنوات تشمل ١٣ متحفًا في كل الولايات المتحدة وكندا.

وشهد أكثر من ٥٠٠ من كبار الشخصيات الأمريكية، بينهم أعضاء بارزون في الكونجرس، وأساتذة جامعات متخصصون في مجال العمل الأثري وعلوم المصريات، ومهتمون بالآثار من جنسيات مختلفة، اليوم الأول للعرض بمصاحبة عزف على آلة القيثارة التي اشتهر بها قدماء المصريين من العازفة المصرية منال محيي الدين.

وأثار انتباه الحاضرين أسلوب العرض للآثار المصرية القديمة التي يعرض عدد منها خارج مصر أول مرة، وتعكس فكرة البحث والخلود.

وكان الرئيس المصري حسني مبارك، والرئيس الأمريكي جورج بوش قد تبادلا رسالتين موجهتين لزوار المعرض يشيران فيهما إلى روعة تراث الفن والمعرفة في مصر القديمة وأهمية المعرض في إبراز الثقافة المصرية خاصة للأجيال الجديدة في الولايات المتحدة.

مكتبة عثمانية في مزاد

أقامت صالة (سوذبي) للمزادات في لندن، مزادًا علنيًا على امتداد ثلاثة أيام لبيع مكتبة التركي شفيق عتبية، والتي بيعت بمبلغ ضخم مقداره أربعة ملايين وسبعمئة ألف جنيه إسترليني.

وضمت المكتبة التي تدور موضوعاتها حول العالم العثماني ١٦٢٩عنوانًا جمعها صاحبها خلال عقدي الأربعينيات والخمسينيات من القرن الماضي، ومعظم كتبها باللغات الفرنسية والإنجليزية والألمانية واللاتينية، ونسخ قليلة من الكتب باللغتين التركية والعربية.

وتعد مكتبة شفيق عتبية من أفضل المكتبات الخاصة المتعلقة بالسلطة العثمانية التي تعرض في مزاد علني منذ ما يقارب الخمسين سنة على الأقل.

وتنوعت موضوعات الكتب بين التاريخية والسياسية والدينية والاجتماعية التي عالجها الأوربيون خلال ما يقارب الثلاثمئة سنة الأخيرة، كما احتوت المكتبة على مئات الكتب العلمية التي تتحدث عن الاكتشافات الأثرية، وبالتحديد في مصر وسورية والعراق، وكتب الرحلات التي قام بها الرحالون الأوربيون على امتداد ما يقارب ثلاثة قرون إلى السلطنة العثمانية، إضافة إلى كتب وصف اليونان وشواطئ البحر الأحمر والعاصمة العثمانية إسطنبول، والكتب المرسومة التي تسجل الأزياء العثمانية، وهناك كتب عن أزمة السلطنة مع الأقليات المسيحية، ودعم الغرب لهذه الأقليات. وكتب عن حرب القرم والإصلاحات العثمانية، والصراع على الشرق الأوسط.

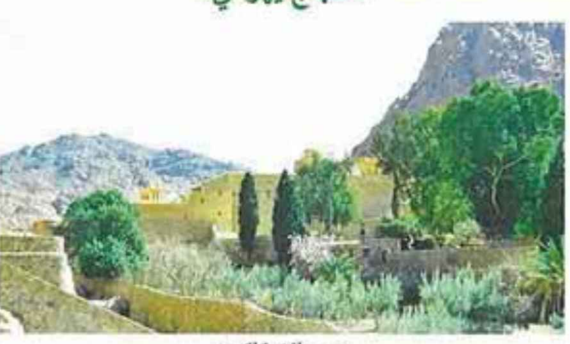
وعلى الرغم من أهمية هذه المكتبة ونوعيتها الممتازة، فإن الأسعار التي حملتها نتائج المبيع كانت مبالغًا فيها.

وذكرت صحيفة الشرق الأوسط التي أوردت النبأ أن المنافسة كانت شديدة بين الأتراك واليونانيين فيما يتعلق بالكتب المختصة باحتلال اليونان، والصراع على بحر إيجه، إضافة إلى كتب الرحلات النادرة، وعلى سبيل المثال بيع كتاب الفرنسي لويس دوبريه «رحلة إلى أثينا وإسطنبول» باريس ١٨٢٥م الذي كان تقديره الأولي بمبلغ يراوح بين ٥٥ و ٦٥ ألف جنيه إسترليني، بمبلغ ١٠٥ آلاف جنيه إسترليني، وكذلك بيع كتاب لوهاي بعنوان «شروح حول أزياء بلدان الشرق المتوسط» باريس ١٧١٤م الذي يراوح تقديره الأولي بين ٢٥ و ٢٥ ألف جنيه استرليني، بمبلغ مئة ألف جنيه إسترليني لمشتر خليجي.

أما الكتب المتعلقة بالعالم العربي والحضارة

الإسلامية فكانت أسعارها أقرب إلى الخيال، إذ اشترى طرف خليجي كتاباً ناقصاً للمؤرخ الفرنسي فليكيس منغان بعنوان «تاريخ مصر تحت حكم محمد علي باشا» من مجلدين (باريس ١٨٢٣م) بمبلغ يقارب عشرة آلاف جنيه إسترليني، على الرغم من أن الكتاب المذكور ينقصه الجزء الثالث بعنوان «الأطلس»، الذي يحتوي على ثلاث عشرة لوحة محفورة بعضها ملون باليد، إضافة إلى خريطتين، فقد واصل المشتري الخليجي ودفع ثمناً باهظاً مع أن الكتاب بجزأيه موجود في الأسواق، وبمبلغ لا يتجاوز ثلاثمئة جنيه إسترليني!!.

احتجاج يهودي!



دير سانت كاترين

اعتمدت لجنة التراث العالمي بمنظمة اليونسكو التابعة للأمم المتحدة ٩ آثار جديدة لتشملها بالحماية وهي: دير سانت كاترين البيزنطي بصحراء سيناء، ومئذنة جام في أفغانستان، ومجموعة معابد ماهابودي الهندية في بودهاجايا، ووادي الراين الأوسط في ألمانيا، ووسط مدينتي سترالسوند وويزمار التاريخي في ألمانيا، وترجعان إلى القرون الوسطى، ومناطق زراعة العنب وقرى وادي نوتو في صقلية بإيطاليا، ومدينة كالاكمول المكسيكية، وقلب مدينة باراماريبو التاريخي في سورينام.

من ناحية أخرى شجب مركز سايمون ونزنثال - أحد أبرز الجمعيات المدافعة عن مصالح اليهود في العالم تبني لجنة التراث العالمي في «اليونسكو» قراراً يأسف لتدمير التراث الثقافي الفلسطيني. وتبنت اللجنة التي اجتمعت مؤخراً في بودابست القرار الذي يأسف للدمار والأضرار التي لحقت بالإرث الثقافي الفلسطيني خلال العمليات العسكرية الإسرائيلية، وأضاف المركز أن النص منحاز أيضاً؛ لأنه لا يذكر الأضرار التي لحقت بالإرث الثقافي اليهودي.

وقد دحضت منظمة اليونسكو الاتهامات التي يسوقها المركز، وقال منير بوشناقي - مساعد المدير العام للشؤون الثقافية في المنظمة: «إنه قرار تقني لا علاقة له بالسياسة».

موسم أصيلة الثقافي

تستضيف مدينة أصيلة شمال المغرب ابتداء من ٢٦ يوليو/تموز المقبل فعاليات موسمها الثقافي الدولي الـ ٢٤ الذي يشارك فيه نحو ٣٠٠ من المفكرين والأدباء والأكاديميين والمبدعين من العالم العربي، ومن أوربا والولايات المتحدة، وآسيا.

وسيشهد الملتقى تنظيم عدد من الندوات في المجالات السياسية والثقافية والفنية، بالإضافة إلى فعاليات الدورة الـ ١٧ لجامعة المعتمد بن عباد الصيفية، وعدد من المعارض التشكيلية، والعروض المتنوعة.

المؤرخ دافيد إيرفنج يخسر القضية



دافيد إيرفنج

أشهر المؤرخ الأمريكي دافيد إيرفنج إفلاسه بعد أن خسر القضية التي رفعها ضد المؤرخة الأمريكية الأكاديمية اليهودية ديبوراه ليبيشتات ودار النشر بنجوين.

وكان إيرفنج الذي تعرض لحملة شرسة من المنظمات اليهودية بسبب كتبه وأبحاثه التي ألقى فيها بالشك على محرقة الهولوكوست، قد رفع دعوى قضائية ضد ديبوراه ودار النشر بنجوين متهماً إياهما بالتشهير والإساءة لسمعته في الكتاب الذي نشرته دار النشر المذكورة عام ١٩٩٤م بعنوان «إنكار الهولوكوست: العدوان المتنامي على الحقيقة والذاكرة»،

وقد جاء في الكتاب أنه: «يلوي ذراع الحقيقة، ويتلاعب ويزيف الوثائق والوقائع كي تناسب أيديولوجيته ومعتقداته وموقفه السياسي».

واستمر هذا النزاع القانوني مدة ثلاث سنوات، صدر بعدها حكم القاضي الإنجليزي جاري في المحكمة العليا بأن إيرفنج «منكر للهولوكوست ويروج لإنكاره، كما أنه معاد للسامية وعنصري، وقام أيضاً بتشويش الحقائق التاريخية كي تناسب موقفه السياسي»، وحُكم على إيرفنج بتحمل مصاريف القضية التي بلغت مليونين ونصف المليون من الجنيهات الإسترلينية (٣ر٧٥ ملايين دولار).

واستصدر محامي دار النشر بنجوين مؤخراً أمراً قضائياً تمكن المحضرون بموجبه الاستيلاء على أثاث منزل إيرفنج ومقتنياته ومحتوياته، وتشمل هذه المحتويات أوراقه ومستنداته ومذكرات ودفاتر أبحاثه وجهاز الكمبيوتر وسجلاته، مما يقلل فرصته في مواصلة أبحاثه في لندن، وكان البنك قد حجز على منزل إيرفنج الفاخر في لندن لتأخره في دفع الأقساط وزيادة ديونه.

وكانت الصحف البريطانية قد ذكرت في العام الماضي أن بعض الأثرياء العرب كانوا يدعمون أبحاث إيرفنج، وشجعوه على رفع القضية، وتعهدوا بدفع أتعابها، وذلك لقناعتهم أن أثرياء اليهود يدعمون خصوم إيرفنج، ولا يعرف هل مازال أثرياء العرب عند قولهم أم تخلوا عن إيرفنج بعد أن خسر القضية؟!.

أسود قصر الحمراء

قررت إدارة قصر الحمراء في مدينة غرناطة التي تقع جنوب إسبانيا سحب تماثيل الأسود من «فناء السباع»، أو فناء الأسود، وذلك لإجراء بعض الفحوصات عليها بغرض إصلاحها بعد أن تدهورت حالتها، وأصبحت مهددة بالفناء، وبدأت الإدارة بسحب الأسد الأول، من جملة الأسود البالغة اثني عشر أسداً، إلى قسم الاختبارات، وسيتم سحب البقية تباعاً للقيام بإجراء الدراسات والاختبارات عليها مجتمعة في



قصر الحمراء

دراسة شاملة. وهناك احتمال ألا تعود هذه الأسود إلى مكانها الأصلي مرة أخرى، وقد يستعاض عنها بنسخ صناعية تنصب مكانها، وتعد هذه الأسود من أندر المنحوتات الحيوانية في العالم من الفن النصري «نسبة إلى بني نصر بناة الحمراء».

وكانت الإدارة قد فرضت عدة إجراءات لمنع تدهور هذه التماثيل من بينها منع الزوار من الوصول إليها، ولكن ذلك لم يجد شيئاً إذ إن هناك أكثر من سبب لهذا التدهور، منها: حالة الطقس في مدينة غرناطة حيث ترتفع درجات الحرارة خلال النهار وتنخفض في أثناء الليل، وكذلك تلوث البيئة والجو، وغير ذلك من الأسباب التي أدت إلى هذا التدهور.

وقالت ماريا خوسيه دومينج مسؤولة صيانة المنحوتات الحجرية في قصر الحمراء: سندرس التمثال الأول دراسة علمية وافية، ونجري عليه عدداً من الاختبارات التي ستستغرق بين ستة أشهر وسبعة، وبعد ذلك سيتم سحب الأسود الباقية اثنين اثنين، وأضافت دومينج: «إن لون الأسود الحالي هو الأدكن، ولكن لونها الحقيقي هو لون المرمر الأبيض».

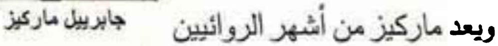
والمعروف أن «فناء السباع» بناه السلطان محمد الغني بالله المتوفى سنة ٧٩٣هـ/١٣٩١م، وهو بناء مستطيل، وعلى جوانبه ١٢٤ عموداً من الرخام الأبيض، وفي الوسط حوض مستدير من المرمر يحمله اثنا عشر أسداً، وقد نقشت على جوانب الفناء عبارة «لا غالب إلا الله»، بالإضافة إلى قصيدة من اثني عشر بيتاً

في وصف الغناء للشاعر ابن زمرك، يقول بعض أبياتها:

تبارك من أعطى الإمام محمدًا
مغاني زانت بالجمال المغانيا
يذوب لجين سال بين جواهر
غدا مثلها في الحسن أبيض صافيا
تشابه جار للعيون بجامد
فلم ندر أيًا منهما كان جاريًا
ألم تر أن الماء يجري بصفحها
ولكنها مدت عليه المجاريا
كمثل محب فاض بالدمع جفنه
وغيض ذاك الدمع إذ خاف واشيا

مذكرات ماركيز

يستعد الروائي الكولومبي جابرييل جارسيا ماركيز الحائز على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٨٢م لنشر الكتاب الأول من مذكراته في شهر سبتمبر/أيلول القادم.


جابرييل ماركيز

ويعد ماركيز من أشهر الروائيين في العالم، ويحتل مكانًا بارزًا في الأدب العالمي، وقد أصدر عددًا من الروايات منها: «مئة عام من العزلة»، و«تاريخ موت معلن»، و«ليس لدى الكولونيل من يكاتبه» و«خريف البطريرك»، و«ساعة نحس»، و«جنازة الأم الكبرى»، وغيرها.

وقد أحدثت رواياته دويًا هائلاً، وتُرجمت إلى معظم اللغات الحية، وقد بيع من روايته «تاريخ موت معلن عنه» أكثر من مليون نسخة في كولومبيا وحدها، وترجمت إلى أكثر من ثلاثين لغة.

ولد جابرييل ماركيز في مدينة أراكاتاكا في كولومبيا في أمريكا اللاتينية عام ١٩٢٨م، ودرس في مدينته المرحلة الابتدائية، ثم انتقل وهو في الثانية عشرة من عمره إلى مدينة بوغوتا ليدرس في مدارس الجزويت، كما درس الحقوق في جامعة بوغوتا. ونشر أول قصة قصيرة له في الملحق الأدبي لجريدة اسبكتادور وهو في الثامنة عشرة من عمره، وانضم إلى هيئة تحرير الجريدة نفسها، وقد تجول جارسيا في كثير من البلدان الأوربية والآسيوية، وقد عُرف عنه وقوفه مع الحق العربي والشعوب التي توصف بـ «العالم الثالث».

آثار إسلامية في روسيا

ذكرت وكالة أنباء إيتار تاس أن علماء الآثار الروس بدؤوا حملة تنقيب عن الآثار الإسلامية في محافظة سمارا الواقعة على نهر الفولجا.

وقالت الوكالة، نقلاً عن مصادر في المتحف التاريخي في محافظة سمار: إن عمليات البحث تجري في بلدة (فالا) التي كانت موقع مدينة كبيرة وفقًا لمقاييس العصور الوسطى تدعى موروم، وأوضحت أن شعبًا مسلمًا كان يسمى بالبوغاز سكن هذه المدينة خلال الفترة من القرن العاشر إلى القرن الثالث عشر، وكان مشهورًا بالحدادين وصانعي المجوهرات وصانعي الفخار. وأضافت هذه المصادر أن مدينة (موروم) لم تكن تقل من حيث الأهمية أو الحجم عن مدن مسيحية روسية رائدة مثل فلاديمير، أو كييف، أو ريزان. وأشارت إلى أن علماء الآثار عثروا على بقية حمامات شعبية كان الرجال يستخدمونها للاغتسال.

وأشارت أيضًا إلى أن أهالي هذه المدينة كانوا يعيشون في بيوت أقاموها في ضواحي المدينة مثل ما يفعل أغلبية الروس في الوقت الحاضر.

ملتقى المسرح الخليجي

تنظم دائرة الثقافة والإعلام بالشارقة في الفترة من ١٥ إلى ١٧ أكتوبر/تشرين الأول القادم ملتقى مسرحيًا بعنوان «ملتقى المسرح الخليجي: قراءة في الواقع والآفاق»، يشتمل على عدد من الأوراق التي ستقدم في ست جلسات، تحت عدة عناوين حول المسرح الخليجي على النحو الآتي: «المسرح الخليجي: توصيات الواقع ورؤى المستقبل»، و«المسرح في الخليج من الكتابة إلى الإخراج، و«نحو اكتمال المؤسسة المسرحية: تنمية

الذائقة المسرحية»، و«نحو رؤية موضوعية لوظيفة وتوجه المسرح»، و«المسرح والجمهور في الخليج العربي».

ويشارك في هذا الملتقى عدد من المهتمين بشؤون المسرح من مختلف الدول العربية منهم: سعد الجزان (البحرين)، وعامر الحمود، ومحمد العثيم (السعودية)، وصالح الفارسي (عمان)، وسعاد العبدالله (الكويت)، وناجي الحاي (الإمارات)، وعبدالرحمن المناعي (قطر)، والدكتور فايز قزق (سورية)، والدكتور أحمد عبدالحليم (مصر)، وبول شاؤول (لبنان)، والدكتور يوسف عيدابي (السودان)، وغيرهم.

المحكمة والتطبيع


فاروق خورشيد

أصدرت محكمة القضاء الإداري المصرية مؤخراً حكماً بإعادة الكاتب المسرحي علي سالم لعضوية اتحاد الكتاب بعد أن فصله مجلس الاتحاد في مايو/أيار من العام المنصرم تنفيذاً لقرار الجمعية العمومية للاتحاد. وقد صرح رئيس الاتحاد فاروق خورشيد أن الاتحاد لم يقدم على فصل سالم إلا بناءً على قرار الجمعية العمومية الذي يقع تنفيذه على عاتق المجلس، كذلك فقد سبق إنذار علي سالم أكثر من مرة لوقف ممارساته التطبيعية مع العدو الصهيوني.

وقد أكد عدد كبير من كُتّاب مصر عقب صدور هذا الحكم تمسكهم بقرار الجمعية العمومية لاتحاد الكتاب الصادر في مارس/ آذار عام ١٩٩٥م، والذي ينص على معاقبة المطبّعين مع إسرائيل، وفصل أي عضو من أعضاء الاتحاد يثبت اتخاذه أي نهج تطبيعي مع إسرائيل.

تصنيف المخطوطات

نظمت دار المخطوطات اليمنية بالتعاون مع المركز الفرنسي للدراسات الأثرية والاجتماعية مؤخراً في صنعاء دورة تدريبية حول أسس تصنيف المخطوطات العربية، وقد شارك في هذه الندوة، التي استمرت خمسة أيام، نخبة من الخبراء اليمنيين والفرنسيين من دار المخطوطات ومعهد دراسة تصنيف النصوص وتاريخها، والمركز الوطني للبحث العلمي بباريس، والمكتبة الوطنية الفرنسية. وقد ناقشت الندوة عدداً من القضايا العلمية التي تتعلق بتاريخ النصوص والمخطوطات وزخرفتها وكيفية الحفاظ عليها من الناحية المادية.

وقال وزير الثقافة اليمني عبدالوهاب الروحاني: «إن المخطوطات التي يمتلكها اليمن بحاجة إلى جهود جبارة، وإن الخطوة المهمة التي يجب أن توضع بالاتجاه الصحيح هي القيام بمسح شامل لهذه المخطوطات، ومن ثم تصنيفها للحفاظ عليها من أيدي العابثين».

الجدير بالذكر أن فريقاً من الهيئة العامة للآثار والمتاحف والمخطوطات اليمنية كان قد انتهى في وقت سابق من تسجيل ١٠٣٠ مخطوطة وتوثيقها في إطار المسح الأول والثاني للمخطوطات اللذين قام بهما في محافظة ظمار جنوب العاصمة صنعاء، وتعود جميع هذه المخطوطات إلى فترات سابقة من التاريخ الإسلامي في اليمن.

وفي غياب الإحصائية الدقيقة تباينت الآراء حول عدد المخطوطات اليمنية، فبينما قدّر بعض خبراء الآثار المخطوطات اليمنية بالآلاف، رأى آخرون أن الرقم قد يصل إلى مليون مخطوطة.

آشور العراقية مهددة بالغرق

تواجه مدينة آشور الأثرية العراقية كارثة تهدد زوالها، تتمثل في خطر الغرق بالمياه بسبب سد ضخم تجري الاستعدادات لبنائه لمحاربة الجفاف الذي ضرب البلاد خلال السنوات الثلاث الأخيرة، ويهدد هذا السد، الذي يقع على بعد ٨٠ ميلاً من مدينة الموصل في شمال العراق، ويبلغ طوله عشرين ميلاً، مئة موقع يشمل المدينة الآشورية المعروفة باسم «كار تكلتي نينورتا» التي يعود تاريخها إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد، كما سيؤدي أيضاً إلى إغراق معظم بقايا تلك المدينة التي

شيدت عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد، وكانت عاصمة الإمبراطورية الآشورية فترة تزيد على ١٣٠٠عام.

وعلى الرغم من أن هذه المدينة تعرضت للحفريات الأثرية منذ عام ١٨٤٧م على يد عالم الآثار البريطاني أوستن لايارد الذي تمكن مع نهاية القرن من اكتشاف الألواح التي كتبت عليها سجلات المدينة ومخططها العمراني، إلا أن معظم هذا الموقع الأثري ظل مجهولاً ولم يكتشف بعد.

وقد أبدى عدد كبير من المهتمين بالآثار خوفهم من وقوع هذه الكارثة، فقالت الدكتورة ستيفاني دالي - الباحثة في المعهد الشرقي التابع لجامعة أكسفورد: «يمكن القول: إن المشروع كارثة حقيقية تحلّ بالتراث العراقيّ الذي يعدّ تراثًا عالميًا في الوقت نفسه. فمعظم الآثار هناك شيّدت بالآجر الذي يذوب بفعل المياه.. والألواح المذكورة مصنوعة من الآجر غير المعالج في الأفران، وإن غمرها بالمياه سيقضي عليها نهائيًا». ووصف الدكتور جون كيرتس - أحد أبرز خبراء المتحف البريطاني - آشور بأنها: «أهم موقع أثري في الشرق الأوسط»، وقال: «إن خسارة هذه الآثار يمكن أن تكون أسوأ من تلك التي أحدثها سد أسوان عام ١٩٧٠م، عندما غمرت المياه المعابد الفرعونية هناك».

سؤال في مدار الحيرة

صدر حديثًا عن النادي الأدبي بمنطقة حائل في المملكة العربية السعودية، كتاب بعنوان: «سؤال في مدار الحيرة» للكاتبة لميس منصور. يشتمل الكتاب على مجموعة من القصص القصيرة جدًا يبلغ عددها إحدى وعشرين قصة، جاءت تحت عدة عناوين: «النظافة عنوانه»، و«تعيين جديد»، و«نجم أفل»، و«طوق الهزيمة»، وغيرها.

غلاف الكتاب

والمؤلفة لميس منصور، واسمها الحقيقي حكيمة الحربي، حاصلة على بكالوريوس في اللغة العربية من جامعة الملك عبدالعزيز، وتكتب القصة والشعر والمقالة في الصحافة المحلية والعربية، وصدرت لها قبل هذه المجموعة مجموعة قصصية أخرى بعنوان «حلم في دوامة الانهزام»، وذلك عن نادي المدينة الأدبي عام ١٩٩٨م.

جائزة الأورانج

فازت الروائية الأمريكية آن باتشيت بجائزة «الأورانج» التي تعد أكبر جائزة أدبية في أوربا، وقد وصف النقاد عملها الذي نالت عليه الجائزة بأنه متفرد ومغاير لأعمالها السابقة.

آن باتشيت

ولدت باتشيت عام ١٩٦٣م في مدينة لوس أنجلس، من أم ممرضة وأب ضابط في الشرطة، وقد مارست الكتابة قبل أن تكمل تعليمها الجامعي إذ أصدرت أولى رواياتها التي نالت عليها جائزة جيمس كوبير نيكس، كما فازت روايتها الثالثة «تافت» بجائزة أفضل عمل روائي في عام ١٩٩٤م، ثم جاءت روايتها الرابعة التي نالت عليها الجائزة الأوربية، وكانت بعنوان «بيل كانتو».

أسبوع ثقافي سعودي إيراني

من المقرر أن يشهد شهر شعبان المقبل قيام أسبوع ثقافي سعودي إيراني في الجمهورية الإيرانية، بمشاركة عدد من الأدباء والمثقفين والفنانين السعوديين والإيرانيين، يشتمل الأسبوع على محاضرات وندوات ثقافية وأمسيات شعرية وقصصية، بالإضافة إلى المعارض الفنية التشكيلية.

ومن الأسماء المشاركة في هذا الأسبوع الدكتور عبدالله المعطاني الذي سيلقي محاضرة بعنوان «نظرات في الأدب السعودي المعاصر»، يستعرض خلالها تاريخ الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية منذ نشأتها والمراحل التي مرت بها.





ولد إبراهيم، الصُّوفي ولد الشيباني/التنمية وهجرة الأدمغة في العالم العربي ـ أبوظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ٢٠٠١م، ٩٢ص (دراسات إستراتيجية؛ ٤٨).

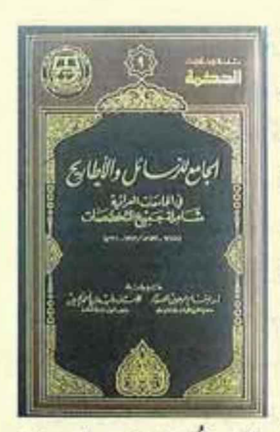
هدف المؤلف من هذه الدراسة إلى توضيح علاقة التأثير المتبادل بين التنمية وهجرة الكفاءات في العالم العربي، وإلقاء الضوء على مدى الارتباط بين نجاح مشروعات التنمية وهجرة الكفاءات العربية، ومعرفة مدى تأثير الهجرة في عرقلة جهود تحقيق التنمية.

اعتمد المؤلف في هذه الدراسة المنهج التحليلي الذي يقوم على مناقشة أسباب الظاهرة وأبعادها ونتائجها وتحليلها، وذلك من خلال التعرض للجوانب النظرية للقضايا المدروسة، وتحليل اتجاهات المؤشرات الإحصائية المسجلة بخصوصها، في محاولة لربط الظاهرة بأسبابها وأبعادها ونتائجها من واقع البيانات المتاحة، وقد جاء ذلك في أربعة أبواب، تناول في الباب الأول «أسباب هجرة الكفاءات العربية»، وأورد في الثاني «حجم هجرة الكفاءات العربية واتجاهاتها»، وعدد في الثالث «آثار الهجرة ونتائجها»، وتطرق في الرابع إلى «الجهود العربية لمواجهة هجرة الكفاءات».

وجاءت في الخاتمة استنتاجات واقتراحات ذات صلة بالموضوع.

الجامع للرسائل والأطاريح في الجامعات العراقية: شامل جميع التخصصات (١٣٨٨ ـ ١٤٢١هـ/ ١٩٦٧ ـ ٢٠٠٠م) / ابتسام مرهون الصّفار ووليد بن أحمد الحسين (جمع وإعداد) ـ ليدز (بريطانيا): الحكمة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ١٢٤١ص (سلسلة إصدارات الحكمة؛ ٩).

انبثقت فكرة تأليف هذا المعجم عن الرغبة العلمية لتوثيق الدراسات العليا وإبراز حجمها وجدتها وأصالتها، وتهيئة الفرصة للباحثين في داخل العراق وخارجه للاطلاع على ما أنجز أولاً، وتهيئة المجال للتواصل العلمي مع الجامعات العربية والعالمية ثانيًا، كما يحفظ هذا العمل حق الباحثين في الجامعات العراقية فيما كتبوا، فيفتضح الأخذ أو السطو أو التكرار.



هذا الفهرس جامع شامل لرسائل الماجستير والدكتوراه التي كُتبت في جامعات العراق وكلياته قاطبة منذ تأسيسها حتى عام ٢٠٠٠م، موزعة في فصول حسب موضوعاتها العامة وأحيانًا الخاصة، وقد بلغ عدد هذه الرسائل سبعة عشر ألفًا وأربعمئة وتسعًا وتسعين رسالة جامعية بين رسالة ماجستير ودكتوراه.



عساف، ساسين (وآخرون) / قضايا عربية معاصرة: العلاقات الدولية، النفط، القضاء، التنمية الإنسانية، البحث العلمي، الاجتماع، المعلوماتية.. عمان، مؤسسة عبدالحميد شومان والمؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠١م، ١٥١ص.

يضم هذا الكتاب بين دفتيه، مجموعة من المحاضرات التي ألقاها نخبة من المفكرين وذوي الاختصاص العرب في منتدى عبدالحميد شومان الثقافي خلال عامي ١٩٩٩م و ٢٠٠٠م، تنبسط جميعها على مساحة واسعة من القضايا العربية المهمة والمفصلية على نحو يمكن القول: إنها تمثل مرآة لجوانب من وعي عربي قلق، كثير التساؤلات، مطلوب منه استدراك ما فات والتهيؤ لما هو آتٍ بجهد استثنائي يختصر المراحل ويختزل المعطيات، ويسدد التوجهات، وكانت هذه المحاضرات على النحو

الآتي: «متطلبات التعاون العربي في ظل المتغيرات الدولية» للدكتور ساسين عساف، و«العرب والتوازنات الدولية» للدكتور وليد عبدالحي، و«متطلبات العمل السياسي العربي المستقبلي» للدكتور علي فخرو، و«النفط العربي وتحديات المستقبل» للدكتور شكري غانم، و«القضاء وحماية الدستور ـ التجربة المصرية» للدكتور عوض المر، و«التنمية الإنسانية في الوطن العربي: رؤية مستقبلية» للدكتور نادر فرجاني، و«البحث العلمي في الوطن العربي على أبواب الألفية الثالثة» للدكتور عدنان شهاب الدين، و«مسار العلوم الاجتماعية في الوطن العربي» للدكتور الطاهر لبيب، و«الإبداع: منظور معلوماتي» للدكتور نبيل علي.



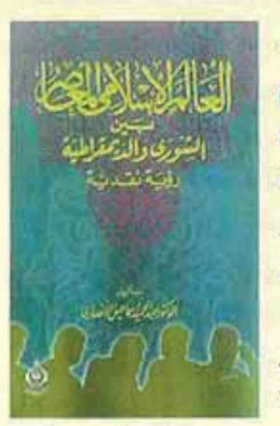
لحلوجي، عبدالستار/ المخطوطات والتراث العربي ـ القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ١٧٠ص.

كان الدكتور عبدالستار الحلوجي شغوفًا بالمخطوطات والتراث منذ بدايته العلمية حتى إنه أعدّ رسالته التي حصل بها على درجة الدكتوراه عن «المخطوط العربي منذ نشأته إلى آخر القرن الرابع الهجري»، وهي أول رسالة تتصدى لدراسة المخطوط العربي وتحاول أن تحدد ملامح الفترة الأولى من تاريخه.

يتضمن هذا الكتاب مجموعة دراسات عن المخطوطات العربية والتراث العربي، قدم بعضها في مؤتمرات وندوات علمية، ونشر بعضها الآخر في دوريات متخصصة. وكل واحد من هذه الموضوعات ـ كما يقول المؤلف في المقدمة: «يحاول أن ينظر إلى التراث المخطوط من زاوية من زواياه، وأن يبرز جانبًا من جوانبه. وكلها تصب في إناء واحد، وتتشابك خطوطها لتشكل في النهاية نسيجًا واحدًا يستجلي منه القارىء بعض ملامح تراثنا العربي المخطوط».

جاءت موضوعات الكتاب في قسمين: فجاءت المخطوطات أولاً، وموضوعاتها: «فن الفهرسة: المصطلح والحدود»، و«فهارس المخطوطات»، و«نحو خطة عربية لتجميع تراثنا المخطوط»، و«مسؤولية جامعاتنا تجاه تراثنا المخطوط»، و«تحقيق المخطوط الفلسفي في مصر»، و«تجربة مؤسسة الفرقان في حصر المخطوطات الإسلامية في العالم»، و«إسهامات صلاح الدين المنجد في تأصيل علوم المخطوط العربي»، و«الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات»، و«فهرسة المخطوط العربي».

وجاء التراث ثانيًا، وفيه: «نشأة علم الببليوجرافيا عند المسلمين»، و«ابن النديم وكتابه (الفهرست)»، و«تراثنا الفقهي وقضاياه الببليوجرافية»، وختم الكتاب بالمصادر التي نشرت فيها البحوث والمقالات.



الأنصاري، عبدالحميد إسماعيل/ العالم الإسلامي المعاصر بين الشورى والديمقراطية: رؤية نقدية.ـ القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ١٠٠ص.

إن ضمان نجاح خطط التنمية عمليًا لا يتم إلا بتفاعل أفراد المجتمع وحماستهم وتفانيهم في عملهم، ولا يكون ذلك إلا بالاقتناع والمشاركة الفاعلة والمساهمة في إبداء الناس آرائهم والتأكد من أن ثمرات هذه الخطط تعود عليهم بالنفع في شكل ارتفاع مستوى معيشتهم، وتقدّم أوطانهم وازدهارها.

وقد حظيت الشورى بتطبيق متميز خلال عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده، وكان من أثر ذلك سيادة الأمن والاستقرار والعدالة وتحقيق دولة إسلامية قوية سادت العالم.

أما في النظام الديمقراطي فقد توصلت الدول عبر تاريخ طويل إلى إقامة المجالس البرلمانية التي أصبحت أساساً للنظم الحديثة في هذه الدول.

وفي هذه الدراسة يتناول المؤلف أوجه الاتفاق والاختلاف بين الشورى والديمقراطية، والصيغة التي تحقق الاستفادة من الشورى والديمقراطية مع محافظتنا على أصالتنا الفكرية الثقافية في ظل متغيرات العصر، وتتوزع هذه الدراسة على أربعة محاور هي: الشورى وتطبيقاتها المعاصرة مع نظرة تحليلية تقويمية، والديمقراطية وتطبيقاتها المعاصرة مع نظرة تحليلية تقويمية، وأوجه الاتفاق والاختلاف بينهما، وكيفية الاستفادة منهما، والنتائج، إضافة إلى ملاحق خاصة بقضايا الشورى والديمقراطية.

أريي، رحيل/ المنمنمات في إسبانيا ـ الإسلامية، ترجمة: محمد خير البقاعي.ـ الرياض: دار الفيصل الثقافية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢، ١٣١ص.

تتحدث المؤلفة في المقدمة عن جلسات العمل التي كانت تعقد في مكتبة دير الإسكوريال خلال شتاء عام ١٩٦٤م، وتقول: إن تلك الجلسات دفعتها إلى تفحص مخطوطة محفوظة في المكتبة المذكورة برقم ٥٢٨، وعنوانها كتاب «السلوانات في مسامرات الخلفاء والسادات».

وتذكر أن دير نبورغ صنف هذا الكتاب ضمن كتاب الحكايات والحكم في القرن الثاني عشر الميلادي، وتقول المؤلفة: «إن الكتاب ينسب إلى ابن ظَفَر الصِّقِلِّيّ، وإن عنوان الكتاب المشهور هو: «سلوان المطاع في عدوان الأتباع».

ففي الفصل الأول تتحدث المؤلفة عن مؤلف الكتاب: حياته، ومؤلفاته، وتذكر المعلومة القليلة المتوافرة لديها عن المؤلف.

وفي الفصل الثاني تقوم المؤلفة بدراسة هذه المنمنمات، وتتناولها في دراسة موازنة، توثيقية، عرضت فيها المؤلفة الآراء المختلفة التي أبداها الباحثون حول هذا النوع من المنمنمات التي مثل فيها الفنان المجهول حكايات وردت في كتاب السلوان، وهي حكايات حقيقية أو وهمية غاياتها الوعظ، وإن ظهور الصور الآدمية في لوحات إسلامية هو مما يسترعي الانتباه، وبعد موازنات ومقاربات ومقابلات خلصت المؤلفة إلى أن تلك المنمنمات من صنع أحد الموريسكيين ممن غادروا إسبانيا إلى المغرب العربي بعد سقوط غرناطة، وتتجلى فيها ثقافته العربية الإسلامية الممتزجة بالثقافة الإسبانية.



الشقرماني، حسن/ السحر بين علم النفس والباراسيكولوجيا والقرآن: دراسة في حقيقة السحر، وكيفية القضاء عليه، وبحث في اكتساب القدرات الخارقة، ط.٢.ـ مراكش: المطبعة والوراقة الوطنية،٢٠٠١م، ٢٧٥ص.

سعى المؤلف في هذا الكتاب إلى بيان الفروق الكبيرة بين السحر كما يتصوره ويتداوله الإنسان داخل المجتمع، وحقيقة هذه الممارسة، سواء على المستوى النظري أو العلمي، وذلك من خلال خمسة أبواب وثلاثة عشر فصلاً ومقدمة وخاتمة، حدد في الباب الأول مفهوم الثقافة، وبيّن في الباب الثاني دور المعتقد في الحياة، والمصادر التي يستقي منها قوته (الأسطورة، والتعامل مع الدين، والعلم، والفن، والأدب ...)، وانتقل في الباب الثالث من العام إلى الخاص إذ توقف عند الاعتقاد بالسحر، وبيّن كيف ولماذا ومتى ومم يتم ذلك؟ وناقش في الباب الرابع السحر بين الحقيقة الغائبة والحقيقة الحاضرة بالتصدي للتصورات المرتبطة بالسحر كقدرة فوق

طبيعية، وكيف يستطيع الإنسان اكتساب الظواهر الخارقة؟، وعرض في الباب الخامس طريقة علاجية فريدة للإصابة السحرية عدّها المؤلف عصارة عملية لكل ما قام بدراسته وإنجازه واكتشافه، وحاول تأطيرها ضمن إطار شرعي، وأورد في آخر الكتاب طرائق للقارىء لتحصين نفسه وأولاده ومتجره وغير ذلك ضد السحر والعين والحسد.



الشبل، علي بن عبدالعزيز / الأثبات في مخطوطات الأئمة (شيخ الإسلام ابن تيمية والعلامة ابن القيّم والحافظ بن رجب).. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ٤٠٠ص (سلسلة الببليوجرافيات والكشافات والفهارس؛ ٤٩).

يشتمل هذا الكتاب على أسماء التصانيف المخطوطة للأئمة الثلاثة (شيخ الإسلام ابن تيمية، والعلامة ابن القيم، والحافظ بن رجب).

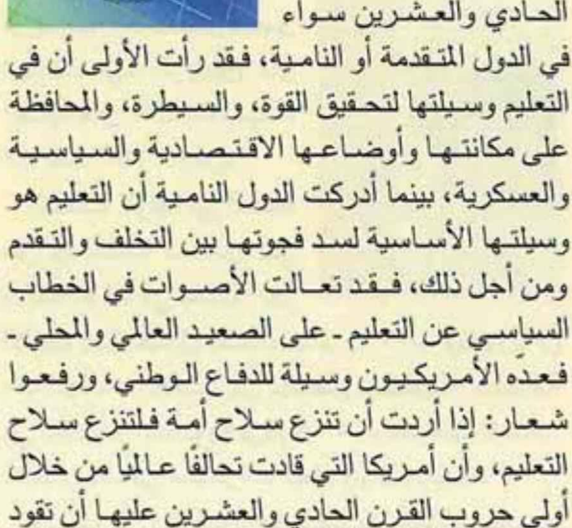
وقد استقصى المؤلف أماكن وجودها في المكتبات المحلية والعالمية، وقام بوصفها من ناحية عدد أوراقها، وأرقام حفظها، وسني نسخها وما يتعلق بذلك، مرتبة حسب كل علَم منهم، وفي كل علِم. وقد رتبت أسماء الكتب والرسائل حسب حروف الهجاء. وألحق به ملحق يضم نموذجات من مخطوطات هؤلاء العلماء التي تبين خطوطهم المختلفة.

وجاءت أسماء الكتب والرسائل والفتاوى على نوعين هما:

- أسماء الكتب الكبار، وهذه غالبها مشهورة، وتكون من مؤلفها.

- الرسائل والفتاوى وأغلبها اجتهادي من ناسخها، أو مالك النسخة، أو قارئها أو المفهرس، أو من وجهت إليه الرسالة، وذلك لأنها تصدر عن الشيخ أجوبة عن مسائل أو طلب تقرير أمر معين.

وتأتي أهمية هذا الكتاب من كونه أداة مرجعية مهمة تساعد الباحثين والدارسين على الإحاطة بعناوين مؤلفات هؤلاء الأئمة، وتسهيل مهمة الوصول إليها في مواقعها المختلفة، ومن هذا المنطلق جاء حرص المكتبة على نشر هذا الكتاب خاصة وأنه تضمن إضافات وزيادات على الطبعة السابقة.



الجندي، عادل السيد / الإدارة والتخطيط التعليمي الإستراتيجي: رؤية معاصرة.. الرياض: مكتبة الرشد، ٢٠٠٢م/٢٢٨ص.

يرى المؤلف أن «الاهتمام بالتعليم قد تزايد، ونحن على عتبات القرن الحادي والعشرين سواء في الدول المتقدمة أو النامية، فقد رأت الأولى أن في التعليم وسيلتها لتحقيق القوة، والسيطرة، والمحافظة على مكانتها وأوضاعها الاقتصادية والسياسية والعسكرية، بينما أدركت الدول النامية أن التعليم هو وسيلتها الأساسية لسد فجوتها بين التخلف والتقدم ومن أجل ذلك، فقد تعالت الأصوات في الخطاب السياسي عن التعليم - على الصعيد العالمي والمحلي - فعدّه الأمريكيون وسيلة للدفاع الوطني، ورفعوا شعار: إذا أردت أن تنتزع سلاح أمة فلتنتزع سلاح التعليم، وأن أمريكا التي قادت تحالفاً عالمياً من خلال أولى حروب القرن الحادي والعشرين عليها أن تقود العالم تعليمياً لتبقى القوة العظمى».

يتضمن هذا الكتاب خمسة فصول رئيسة: يقدم الفصل الأول فكرة عن الإدارة بصفة عامة والإدارة التعليمية على وجه الخصوص، ويعرض الفصل الثاني نبذة مختصرة من الإدارة في الإسلام - مبادئها ومقوماتها، ويتناول الفصل الثالث التخطيط التعليمي مفهومه وخطواته، ويحلل الفصل الرابع موضوع

التخطيط التعليمي الإستراتيجي كرؤية معاصرة.

بينما يستعرض الفصل الأخير موضوع إدارة الأزمات التعليمية كأحد أبرز الموضوعات الإدارية في عالم اليوم.

الحنبلي، علي بن البهاء البغدادي (٨٢٢ - ٩٠٠هـ)/ فتح الملك العزيز بشرح الوجيز، تحقيق: عبدالملك بن دهيش ـ بيروت: دار خضر، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ٥مج.

ظل هذا الكتاب حقبة من الزمان لا يعرف منه إلا أجزاء، فجزم كل من تعامل مع كتب الفقه الحنبلي بفقده وعدم اكتماله، حتى عثر الدكتور محمد عبدالرحيم بن محمد علي سلطان العلماء على أجزاء تكمل غالبية الكتاب، كانت مصنفة بالمكتبة الظاهرية بدمشق على أنها من كتب الفقه الشافعي مختلطة في الفهرسة مع كتاب: «شرح الوجيز للرافعي»، فحصل المحقق على نسخة من المخطوط بخط المؤلف مما مكنه من إتمامه وإخراجه محققًا.

حاول المصنف في هذا الكتاب جمع أمهات كتب الفقه الحنبلي في مصنف واحد، وكان من أهمها: المغني لابن قدامة، والشرح الكبير لابن أبي عمر، والفروع لابن مفلح، والإنصاف للمرداوي، وهي تعد من أهم ما ألف في الفقه الحنبلي.

قدم المؤلف للكتاب بدراسة وافية، وفهارس علمية شاملة، وجاء الكتاب في خمسة مجلدات.

آل حمادة، حسن وبشير البحراني/ المرأة في مجتمعنا.. إلى أين؟ـ القطيف: منتدى أصدقاء القلم ومؤسسة البلاغ في بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ١٩٠ص؛ (سلسلة أفكار هادفة؛ ٢).

يضم هذا الكتاب بين دفتيه تسع مقالات بأقلام تسعة كتّاب تناقش جميعها موضوع المرأة وقضاياها والدور الذي يمكن أن تؤديه في مجتمعها.



يحتوي الكتاب على فصلين رئيسين: خصص الأول للمقالات والدراسات، وجاء على النحو الآتي: «المرأة في مجتمعنا، إلى أين؟» لعالية فريد، و«المرأة في المجتمع المحلي، إلى أين؟» بقلم جعفر البحراني، و«المرأة وصناعة الدور» بقلم عبدالعزيز آل زايد، و«المرأة من الهامشية إلى الفاعلية» بقلم الشيخ عبدالله أحمد اليوسف، و«النشاط والفاعلية في حياة المرأة» بقلم نبيهة التاروتي، و«المرأة مثاقفة الذات والمجتمع» بقلم جعفر الأمرد ، و«من ينظر إلى الآخر، الرجل أم المرأة؟» بقلم فاضل البحراني، بينما خصص الفصل الثاني للعروض والمراجعات، فقدمت عقيلة المقبل عرضًا لكتاب «المرأة المسلمة أهداف وأدوار» لسعيد جمال، وراجع خليل آل حمادة كتاب «دفاعًا عن الإسلام لا عن المرأة» لحمد العليوات، واختتم الكتاب بملحق عن صدى الكتاب الأول من سلسلة «أفكار هادفة».

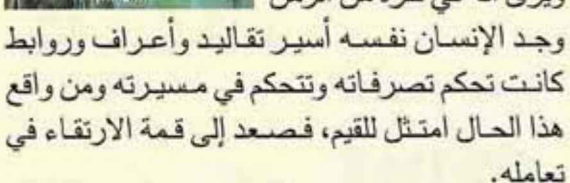
هاني، إدريس/ المفارقة والمعانقة: رؤية نقدية في مسارات العولمة وحوار الحضارات.ـ الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠١م،١٩٢ص.

يسعى المؤلف في هذا الكتاب إلى إبراز الوجه الآخر للعولمة غير وجهها البادي الغارق في المساحيق، وقدم قراءة في كيفية تناول المثقفين العرب موضوع العولمة. كما تطرق إلى

موضوع حوار الحضارات، وخالف من قال بتعدد الحضارات، فهو يرى الحضارة الواحدة والثقافات المتعددة ويعتقد أن الحداثة مطلب ضروري للعرب، وأن يكون الحوار مع الغرب على ما بعد الحداثة، إذ يقول: «لنقرأ بعين الاختلاف والائتلاف.. والمعانقة والمفارقة.. فلا نتعصب لاتجاه ما. ولسنا مع المركزية التامة ولا ضد المركزية مطلقًا». كما يحاول تحديد مفهوم الهوية الثقافية بوصفها عرضاً كاشفاً عن كيفية ما في الوجود.. فهي لهذا تبدو قابلة للنمو والضمور.. للبروز والكمون. كما قدم قراءة نقدية في أوراق مؤتمر (كيف ندخل سنة حوار الحضارات؟) المنعقد يومي ٢٢ و ٢٣نوفمبر/ تشرين الثاني عام ٢٠٠٠م بدمشق. وأنهى كتابه بمناقشة أطروحة صدام الحضارات لصامويل هينتنغتون كاشفاً نقائضها، وكيفية الاستفادة من دروسها.

لال، زكريا يحيى/ انهيار القيم.. الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ٢٣٥ص.

يحاول الباحث في هذا الكتاب إبراز المتغيرات الحاصلة في حياة الإنسان وممارساته واتصالاته. ويرى أنه في فترة من الزمن

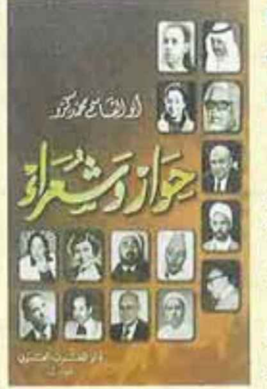


وجد الإنسان نفسه أسير تقاليد وأعراف وروابط كانت تحكم تصرفاته وتتحكم في مسيرته ومن واقع هذا الحال امتثل للقيم، فصعد إلى قمة الارتقاء في تعامله.

أما اليوم، فإن الوضع شهد تغيرات وتعقيدات لا حصر لها وزيادة في أعداد السكان وزيادة في متطلبات الحياة وتكاليفها لمواجهة المستقبل، وتصاعدت حدة الاهتمام بالماديات، فغدا الإنسان لا هم له إلا ذاته وإشباع رغباته مما ينذر بالتحول من عاطفة القيم إلى سقم هذه القيم وعدم الاهتمام بها، فلم يعد الاتصال الأسري كما في السابق، ومع هذا الفقد سطع الانحراف والتمزق والقتل والعنف والإرهاب ومظاهر من الفساد الخلقي والاجتماعي والديني والسياسي والاقتصادي، فأصبحت أعمال الاغتصاب والاعتداء والسرقة والاحتيال بكل أنواعه المادية، والفكرية من الظواهر التي انتشرت في المجتمعات المتقدمة منها والمتخلفة، مما دعا إلى الكشف عن حقيقة تلك المجتمعات بانهيار القيم فيها، على الرغم من التقدم التكنولوجي واتساع دائرة المعلومات.

فالكتاب يضم مجموعة من المفهومات وصوراً من الأعمال المتدنية، اختار منها المؤلف بعض الموضوعات ليؤكد أننا ـ ومع استقبال القرن الحادي والعشرين ـ في سقوط لقيمة الإنسان من جراء أفعاله.

كرو، أبو القاسم محمد/حوار وشعراء.. تونس: دار المغرب العربي، ٢٠٠١م، ١٦٤ص.



يضم هذا الكتاب بعض المقالات التي كتبها الأستاذ أبو القاسم محمد كرو أحد أبرز الشخصيات الثقافية في تونس ونشرها بين أعوام ١٩٩٩م و٢٠٠١م والتي يدل عليها اسمه «حوار وشعراء» وهو إلى ذلك بل هو من أجل ذلك أشبه بالحصاد والاختيار، وضم الكتاب حواراً لم ينشر في كتاب «حصاد العمر» المطبوع عام ١٩٩٨م.

وقد كتب المؤلف عن بعض الشخصيات من الشعراء والباحثين في المغرب العربي والخليج العربي منهم: أحمد زكي أبو شادي، الشاعر أحمد أديب المكي، والشاعر جمال حمدي.

وقدم رثاء لكل من الشيخ محمد المنوني العلامة المغربي، والشيخ محمد الفاضل ابن عاشور ودوره في تاريخ تونس الحديث والحركة الوطنية والنقابية، والشيخ حمد الجاسر علامة الجزيرة العربية.

مجلة الدراسات الفلسطينية (ع ٥٠، ربيع ٢٠٠٢م)

فصلية تصدر عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية في بيروت.

أغلق هذا العدد من المجلة، ودفع به إلى المطبعة مع بداية الهجوم الإسرائيلي على مدن الضفة الغربية لإعادة احتلالها، وتدمير كل ما تم بناؤه من مقومات الكيان الفلسطيني، والغاية من ذلك القضاء على المقاومين والمقاومة وتحطيم الروح المعنوية للشعب الفلسطيني.

وبدأت الدورية بملخص لندوة بعنوان «انتفاضة الأقصى بين رؤية السلطة وتطلعات المعارضة: وجهات نظر»، عقدت في مارس/آذار الماضي، وكان قد دعي إليها كل من الوزير نبيل عمرو، وثلاث شخصيات مستقلة هم: إصلاح جاد، وعزمي الشعيبي، وحمزة غنايم، وممثل عن حركة حماس هو جمال الطويل، ولكن لم يتمكن من الحضور بسبب الحواجز والعراقيل الإسرائيلية سوى الوزير نبيل عمرو، وإصلاح جاد.

وفي العدد لقاء مع الدكتورة حنان عشراوي قالت فيها: «نعيش أحد أحلك مراحل تاريخنا، لكننا نشهد أيضاً انبعاث التصميم الفلسطيني»، وأجرت المقابلة دومينيك روك، وفي باب مقالات كتب طارق البشري موضوعاً بعنوان: من أيام العرب: ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١م أم ٢٨ أيلول/سبتمبر ٢٠٠٠م؟.

وجاءت في الملف موضوعات عن «تأثيرات الانتفاضة والركود العالمي في الاقتصاد الإسرائيلي» ترجمة وإعداد: خالد عايد، و«النشاط العلمي والتكنولوجي في إسرائيل: ملامح أولية» لزهير المخ، وفي باب (في الذاكرة) تناول خالد الناشف سيرة «توفيق كنعان: تقويم جديد»، وقدم سليم تماري موضوعاً بعنوان «بلشفي القدس الغامض: قراءة في مذكرات نجاتي صدقي».

وجاء ملف القدس عامراً بشتى الموضوعات التي منها «تاريخ الاستيطان اليهودي في البلدة القديمة في القدس» لنظمي الجعبة، و«أرشيفات بيت الشرق المنهوبة (افتتاحية)»، و«صور من الماضي: أضواء على أرشيف جمعية الدراسات العربية» لعصام نصار، و«مكتبة المسجد الأقصى في الحرم الشريف» ليوسف النتشة، و«في رحاب الحرم الشريف: إبراهيم دقاق يتذكر».

بالإضافة إلى الأبواب الثابتة: تقارير، وقراءات، ووثائق، وختمت الدورية بإيراد قائمة تضم أسماء ٢١٢ من شهداء انتفاضة الأقصى والاستقلال.

العنوان:

ص.ب: ٧١٦٤ ـ ١١ بيروت، الرمز البريدي: ١١٠٧٢٢٣٠

هاتف: ٨٠٤٩٥٩ ـ ناسوخ: ٨٦٨٣٨٧

قبرص ـ ص.ب: ٢٥٦٥٨ نيقوسيا ـ ناسوخ ٧٥٦٣٢٤



الثقافة العالمية (ع ١١٢، مايو ـ يونيو ٢٠٠٢م)

مجلة ثقافية تترجم الجديد في الثقافة العالمية، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت.

جاء في هذا العدد موضوعات كثيرة مترجمة عن اللغات الأجنبية، فكتب روبرت ويد عن «مجابهة في البنك الدولي» ترجمة: د. حازم صابوني، وتساءل جارتون آش «هل بريطانيا أوربية؟» وترجم الموضوع: بدر الرفاعي.

وجاء ملف العدد عن «جماليات الفن الإفريقي» واشتمل على ثلاث مقالات هي: «اللفظي والبصري في سياق عولمي: الروابط الإفريقية والأوربية كعملية مستمرة» بقلم مينيكي شيبر، ترجمة: د. شهرت العالم، و«اكتشاف القناع الإفريقي» بقلم: دنيس ديوردن، ترجمة: محمد الأسعد، وكتب كل من آلن ف. روبرتس وماري نوتر روبرتس عن «تصاوير كالصلوات: الجانب

الخفي للتصوير على السطح الداخلي للزجاج في السنغال» وترجمتها: سهام عبدالسلام.

وتناول بيتر ت. موكلينسكي موضوع «حقوق الإنسان والشركات المتعددة الجنسيات: هل هناك مشكلة؟»، ترجمة: محمد علي ثابت، وكتب ويلي فان بيير موضوعاً بعنوان «صخب وهمس حول التعددية الثقافية: اعتبارات نظرية ومنهجية» ترجمة: معصومة حبيب، و«الاتجاهات التي تعمل على تغيير العالم الآن: التقنية ومواقع العمل والإدارة والمؤسسات» بقلم مارتن ج. سترون وأوين دايفيز، ترجمة حنان عواد، وختم موضوعات العدد روبرت د. بالارد بمقالة عن: «أسرار البحر الأسود العميق» ترجم المقالة: حازم محمود فرج.

العنوان:

ص.ب: ٢٦٥٨٥ الصفاة ١٣١٢٦ الكويت

تليفون: ٤٨١٧٦٨٩ ـ ناسوخ ٤٨١٢٥١٤

أدماتو (ع ٥، ذو القعدة ١٤٢٣هـ ـ يناير/كانون الثاني)

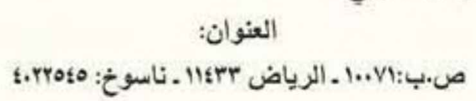
مجلة نصف سنوية محكّمة تعنى بآثار الوطن العربي.

حفل العدد بمجموعة من البحوث والدراسات الآثارية تصدرتها افتتاحية بقلم رئيس التحرير الدكتور عبدالرحمن الطيب الأنصاري، الذي أشار فيها إلى: أن هيئة تحرير الدورية قررت أن تقدم ابتداءً من هذا العدد بحثًا مترجماً عن اللغة الإنجليزية، وجاء بحث هذا العدد بعنوان «رسالة أبي القاسم في صناعة الخزف الإسلامي»، تأليف: جي، دبليو، آلن، ترجمها: الدكتور محمد بن عبدالرحمن الثنيان.

وضم العدد ثمانية أبحاث علمية تناقش قضايا آثارية متنوعة، جاءت خمسة منها باللغة العربية، وهي: بحث بعنوان «مكتشفات متميزة من عصور ما قبل التاريخ في منطقة عفرين بسورية» للباحثين الدكتور سلطان محيسن، وتاكيرو أكازاوا، و«إضافات جديدة في تقسيم العصر الحجري الحديث في صحراء الجزيرة العربية» للدكتور عبدالرزاق راشد المعمري، و«قبيلتان لوبيتان: الجرميون والنسمونيون» للدكتور محمد حسين فنطر، و«زوجات المعينيين الأجنبيات في ضوء نصوص جديدة» للدكتور سعيد بن فايز السعيد، وكانت آخر بحوث اللغة العربية «مسكوكات ممالك الجزيرة العربية قبل الإسلام» للدكتور فرج الله أحمد يوسف.

أما القسم الإنجليزي فقد ضم ثلاثة أبحاث هي: «توزيع المواقع الأثرية في الأردن منذ العصر الحجري القديم ودور تغير المناخ» للدكتور عبدالله العكام الشرمان، و«العصر الحجري القديم الأدنى في جنوب غربي عُمان» لثلاثة باحثين هم: الدكتور نورمان والن، ومورغان زوبورسكي، وكيفين شويرت. والبحث الأخير بعنوان «دراسة آثارية لأبنية صخرية في شمال شرقي مدينة الرياض، المملكة العربية السعودية» للدكتور عبدالله بن محمد الشارخ. بالإضافة إلى الأبواب الثابتة: «مؤتمرات وندوات علمية» والتي جاءت فيها تقارير عن بعض المؤتمرات الآثارية، و«عرض الكتب» والذي قدم عرضاً لبعض الكتب الآثارية التي تناقش قضايا تتعلق بآثار الوطن العربي.

العنوان:



ص.ب:١٠٠٧١ ـ الرياض ١١٤٣٣ ـ ناسوخ: ٤٠٢٢٥٤٥

مجلة الطفولة والتنمية (مج٢، ع٥، ربيع ٢٠٠٢م)

دورية علمية متخصصة محكّمة، يصدرها المجلس العربي للطفولة والتنمية مع الإشراف العلمي لمعهد البحوث والدراسات العربية في مصر.

استهلت الدورية عامها الثاني بعدد زاخر من القضايا التي تمثل إستراتيجية الدورية وأهدافها وهي: العلم والعروبة والطفولة.

ففي باب دراسات وبحوث كتبت الدكتورة ناهد

رمزي عن «حماية صغار الفتيات في سوق العمل في البلدان العربية»، وتناول الدكتور هادي نعمان الهيتي «الاتصال الجماهيري حول ظاهرة الإعاقة بين الأطفال»، وقدم الدكتور إسماعيل عبدالفتاح عبدالكافي بعض المفهومات التي يهتم الآباء بمعرفتها عن «القراءة للأطفال الصغار بواسطة الكبار»، وختم الأستاذ حمزة سعيد بحوث العدد ببحث عن «اضطرابات النطق عند الأطفال».

وجاء ملف الدورية عن صحة الطفل، وفيه تناولت الدكتورة حنان عيسى «الرعاية الصحية المدرسية في المدرسة الابتدائية للبنات»، وناقشت الدكتورة عطيات مصطفى«الأوضاع الصحية للطفل في السودان»، والدكتور مازن خضرة «صحة الطفل في سورية»، وختمت البحوث الدكتورة مها البسيوني ببحث عن «المدرسة والتربية الصحية».

وفي باب مقالات كتب الدكتور حمد عقلا العقلا عن «الفقر وأثره على التنمية للطفولة العربية»، وتناول الدكتور أحمد اليازجي «عمالة الأطفال في فلسطين»، وشرح الأستاذ عبدالرحمن عبدالخالق «دور الأسطورة والحكاية في تنمية مخيلة الطفل وإثرائها»، وختم المقالات الأستاذ عايد سبع السلطاني بمقالة عنوانها «الطفل الأصم واندماجه في المجتمع».

بالإضافة إلى الأبواب الأخرى: تجارب قطرية، وكتب ورسائل جامعية، وندوات ومؤتمرات، وببليوجرافيا.

العنوان:

ص.ب: ١٥ الأورمان - جيزة - مصر

هاتف: ٧٣٥٨٠١١ - ناسوخ: ٨٠١٣-٧٠

المجلة العربية للعلوم الإنسانية (س٢٠، ع ٧٨، ربيع ٢٠٠٢م)

مجلة فصلية محكّمة، تقدم البحوث الأصيلة والدراسات الميدانية والتطبيقية في شتى فروع العلوم الإنسانية والاجتماعية باللغتين العربية والإنجليزية وتصدر من الكويت.



جاء في هذا العدد من الدورية أبحاث متنوعة باللغتين العربية والإنجليزية غطت جوانب كثيرة ومهمة في مجال تخصص المجلة، وفي أول بحوث الدورية تناول فيصل الكندري «نشاط المرأة الكويتية من خلال وثائق الوقف»، وحدد محمد الحيزان «الفروق بين الرجال والنساء في استخدام وسائل الاتصال في المجتمع السعودي»، وأوردت فوزية عبدالله العلي أهم النتائج والاقتراحات بخصوص «عادات وأنماط تعرض الطفل الإماراتي والأمريكي لبرامج التلفزيون»، وختم البحوث إسماعيل أحمد العالم ببحث أدبي تناول فيه «جماليات تشبيه الاستدارة في الشعر الأموي: الغزل بالمرأة نموذجاً».

وجاء في باب ملف ملخصات البحوث المنشورة باللغة الإنجليزية ملخص لبحث بعنوان: «صخب السكون: الأنظمة الدلالية للأم الأخرى في قصة ماري ويلكنز فريمان (ثورة الأم)، وقصة ليلى العثمان (الرحيل)»، قدمه يسر المدني، وبحث آخر لعمر باقبض عن «أدب الرحلات الأمريكي إلى الأرض المقدسة في القرن التاسع عشر»، وقدم عدد من الباحثين وهم: بروس ميري، وبيرس سميث، وجعفر بهبهاني، وفارس غلوب، ولبنى القاضي، ومولي فيي، وميشيل متياس ملخصاً لندوة «الكراهية والتعصب».

وفي باب مراجعات وعروض الكتب، راجع الزواوي بغورة كتاب ميشيل فوكو «يجب الدفاع عن المجتمع»، ومحمد الأسعد كتاب نصر حامد أبو زيد «دوائر الخوف: قراءة في خطاب المرأة»، وأخيراً محمد الكبسي كتاب عبدالله إبراهيم «المركزية الإسلامية».

العنوان:

ص.ب: ٢٦٥٨٥ الصفاة، الرمز البريدي: ١٣١٢٦الكويت.

هاتف: ٤٨١٧٦٨٩

اللغة الكونية

عبدالله حامد حمد
عمان ـ الأردن

مع هبوب رياح الكونية أو العولمة في مطلع التسعينيات من القرن الماضي على أثر التحولات السياسية الدولية التي أسفرت عن إقصاء الاتحاد السوفييتي آنذاك عن موقعه المنافس، وإعلان الرئيس الأمريكي بوش الأب عن بروز النظام العالمي الجديد، انطلق عدد كبير من المفكرين في بلدان مختلفة للحديث عن هذا النظام من عدة زوايا؛ فمنهم من تناول الحديث عنه بوصفه نظامًا قديمًا طرح بثوب جديد ومسمى جديد، وردّه إلى عقود طويلة، وذهب آخرون إلى تسليط الأضواء على الأبعاد الفلسفية والفكرية والعقدية (الأيديولوجية) التي يقوم عليها هذا النظام، وكذلك على آثاره المستقبلية في حياة الشعوب، غير أن الغالبية من هؤلاء المفكرين اتفقوا على البعدين السياسي والاقتصادي لهذا النظام.

أصبح نظام الكونية عند بعض المفكرين مرادفًا لانتصار النظام الديمقراطي الحر (الليبرالي) الذي تمثله الحضارة الغربية كما يزعم فرانسيس فوكوياما صاحب الكتاب الخرافي «نهاية التاريخ».

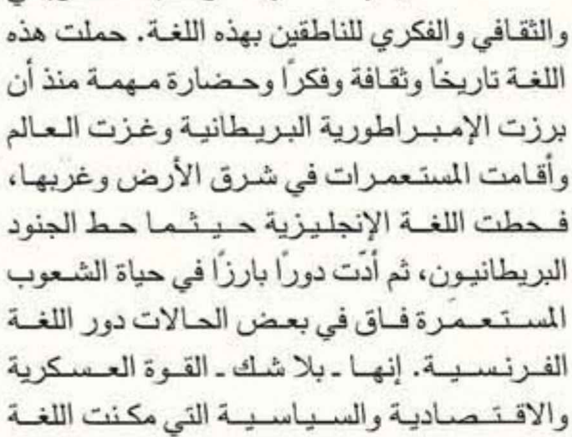

فرانسيس فوكوياما

مستقبل اللغات

لاقت الأبعاد السياسية والثقافية والاجتماعية لهذا النظام اهتمامًا واسعًا بين الكثيرين من المفكرين، وقدمت بهذا الشأن أطروحات شتى، ومن هذه الأطروحات الأطروحة اللغوية التي تتضمن عددًا من الأسئلة حول مستقبل اللغات البشرية، وعن اللغة المرشحة لتبوؤ القيادة اللغوية في عصر الكونية. إنّ تحوّلَ العالم إلى قرية كونية يحتم طرح تنظيمات جديدة، وربما نشوء صراعات لغوية تفضي في النهاية إلى انتصار لغة ما على اللغات البشرية الأخرى. وهناك من يتنبأ بأن ٨٠٪ من لغات العالم وعددها ستة آلاف لغة ستموت في القرن الحادي والعشرين. فثورة المعلومات حملت معها الكثير من الدعم للغة على حساب لغة أخرى، وهذا هو ما يجري حاليًا من انحسار لغات وهيمنة لغة واحدة. ولكن ما تلك اللغة المرشحة للهيمنة على الساحة الكونية؟

رصيد الإنجليزية

يتفق عدد من المفكرين المتخصصين على أن اللغة الإنجليزية هي اللغة التي ستتبوأ هذا المركز في المستقبل القريب، ولكن ليس لأسباب تركيبية لغوية تنفرد بها هذه اللغة دون غيرها من اللغات البشرية الأخرى، فهي مثل بقية اللغات تتشكل من صوت ومعنى، بل لعدة أسباب: أهمها الرصيد التاريخي


والثقافي والفكري للناطقين بهذه اللغة. حملت هذه اللغة تاريخًا وثقافة وفكرًا وحضارة مهمة منذ أن برزت الإمبراطورية البريطانية وغزت العالم وأقامت المستعمرات في شرق الأرض وغربها، فحطت اللغة الإنجليزية حيثما حط الجنود البريطانيون، ثم أدّت دورًا بارزًا في حياة الشعوب المستعمَرة فاق في بعض الحالات دور اللغة الفرنسية. إنها ـ بلا شك ـ القوة العسكرية والاقتصادية والسياسية التي مكنت اللغة

الإنجليـزية من هذا الدور والعـبـور إلى مرحلة الكونية.

يرى ديفيد كريستال، أحد أعلام اللغة البارزين في هذا العصر المهتمين بتاريخ اللغة الإنجليزية، أن للغة الكونية دوراً خاصاً معترفًا به في كل بلد في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وفي مجالات الاتصالات والإعلام والمدارس والجامعات والمكتبات والتقانة (التكنولوجيا).

إن اللغة الإنجليزية قد وصلت الآن هذه المرحلة. لقد أصبحت معرفة اللغة الإنجليزية ضرورة حياتية لا غنى عنها لقطاعات واسعة من شرائح المجتمعات البشرية؛ فطبقًا لما يراه كريستال، فإن الإحصاءات المتوافرة تفيد أن ربع سكان العالم عارفون اللغة الإنجليزية، وأن هذا الرقم ينمو بازدياد حتى بات يراوح بين ٢ر١ ـ ٥ر١ بليون من الناس، في وقت يبلغ عدد الذين يتخذون اللغة الإنجليزية أصلاً كلغة أولى ٣٨٠ مليونًا فقط. ولا توجد لغة في التاريخ تعادل هذا النمو. وحتى اللغة الصينية فإن عدد ناطقيها يصل إلى ١ر١ بليون من الناس. إن واقع اللغة الإنجليزية اليوم هو أنها تستخدم وسيلة لنشر الكونية، وهي ذاتها ستكون نتاج انتشار الكونية.

حالة طوارئ

ها هي ذي اللغة الإنجليزية تنتقل من على أكتاف إمبراطورية شاخت إلى إمبراطورية أخرى شابة هي الولايات المتحدة الأمريكية التي تملك مقومات كبيرة عسكرية واقتصادية وسياسية وتقانية (تكنولوجية) وإعلامية فائقة. هذه القوة دفعت بوزير خارجية فرنسا فيدرين إلى وصف الدولة الأمريكية بدولة «فوق عظمى». إنه حدث تاريخي فريد أن تتمتع لغة بهذه الفرصة. فلم يحصل في التاريخ أن استفادت لغة إنسانية من هذه الميزة أي أن تحملها دولتان عظيمتان في فترتين تاريخيتين متزامنتين مرة ومتعاقبتين مرة أخرى إلى بقاع الدنيا المختلفة، حتى باتت تهدد بعض اللغات. ها هم أولاء الفرنسيون يقلقون على لغتهم العتيدة من الغزو الإنجليزي، فقد استنفرت الأكاديمية اللغوية الفرنسية وأعلنت حالة الطوارئ لمواجهة هذا الغزو بتقديم اقتراحات تعمل على الحد من استخدام اللغة الإنجليزية في الأراضي الفرنسية غير أن اللافت للنظر أنه، على الرغم من هذا التوجه في التفكير حول المستقبل المسطر أعلاه للغة الإنجليزية، وهناك من يرى أن هذه الهيمنة لن تكون مطلقة، وقد تصادف المنافسة في الطريق.

جورج بوش

يرى جاشوا فيشمان، أحد أبرز علماء علم اللغة الاجتماعي، في مقالة حديثة بعنوان «النظام اللغوي الجديد» أن هذا الدور الصاعد للغة الإنجليزية سيضعف قليلاً. فحسبما يرى فيشمان: فإن هناك نسبة معينة لا بأس بها من سكان المعمورة لن يتمكنوا من الحصول على فرصة لتعلم اللغة الإنجليزية واستعمالها، وأن الترجمة الآلية ستؤدي دوراً مهماً وحاسماً في التقليل من دور اللغة الإنجليزية.

أما الأهم من هذا كله، كما يرى فيشمان، فهو أن نظام الكونية سيعطي بشكل أو بآخر فرصة لتعزيز انتشار بعض اللغات المحلية والإقليمية والعالمية مثل العربية والصينية والهندية والسواحلية والإسبانية. أما التعليل الذي يسوقه بهذا الصدد فهو أن الإنسان عندما يواجه تحديات تهدد هويته وكيانه وثقافته فإنه يفعّل الطاقات لمواجهة هذا التحدي، وذلك بتقوية روابطه بجذوره وأرضه. وأخيرًا فإنني أرى أن رؤية فيشمان أكثر واقعية، خصوصاً إذا فسرت في السياق التاريخي للإنسان، وعليه فإن المستقبل ليس كله للغة الإنجليزية.

رحيل الأمير أحمد بن سلمان



انتقل إلى رحمة الله تعالى صاحب السمو الملكي الأمير أحمد بن سلمان بن عبدالعزيز رئيس مجلس إدارة المجموعة السعودية للأبحاث والتسويق، ونجل صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض، وذلك في الثاني عشر من شهر جمادى الأولى (٢٢يوليو/تموز ٢٠٠٢م).

والأمير الراحل من مواليد مدينة الرياض عام ١٩٥٨م، وتخرج في أكاديمية ونتورث العسكرية برتبة ملازم ثان في عام ١٩٨٠م، والتحق في العام نفسه بدورة صاعقة متقدمة في فورت رايلي، ثم التحق بقوات الدفاع الجوي بالقوات المسلحة السعودية برتبة ملازم أول، والتحق في عام ١٩٨١م بجامعة كاليفورنيا في ارفاين وحصل على البكالوريوس في العلوم الاجتماعية تخصص ثقافات مقارنة، وعاد إلى عمله في القوات المسلحة السعودية، وترقى إلى رتبة نقيب.

وفي عام ١٩٨٥م اتجه إلى العمل الخاص، وأنشأ شركة أساس العالمية المتخصصة في المقاولات والصيانة والتشغيل، وتقلد منذ عام ١٩٨٩م منصب رئيس مجلس إدارة المجموعة السعودية للأبحاث والتسويق، وأسس شركة الدليل للاستثمار والتجارة، وهي شركة متخصصه في إدارة الاستثمارات، كما رأس مجلس إدارة شركة الخليج لإنتاج الزيوت والسمن النباتي.

كما اهتم رحمه الله بالعمل الاجتماعي والخيري، فكان أميناً عاماً لجمعية الأمير فهد بن سلمان لرعاية مرضى الفشل الكلوي، وعضو الجمعية العمومية لجمعية الأطفال المعوقين، والرئيس الفخري للجمعية السعودية للطب المخبري، كما كان له اهتمام بالرياضة والفروسية، وعرف عنه حب الخير وتقديم العون للمحتاجين، والعناية بالأيتام على وجه الخصوص، وقد أسهم بدور فاعل وبارز في تطوير أعمال المجموعة السعودية للأبحاث والتسويق التي تصدر دوريات يومية وشهرية وفصلية، ولها نشاط واسع في أعمال النشر والتوزيع، وبوفاته فقدت المملكة العربية السعودية عنصراً فاعلاً ومؤثراً في المجالين الثقافي والاجتماعي.

ببساطة

حلها بخط ثاني !

فقط بـ ٢٠٠ ريال

الآن، يمكنك أن تحل مشاكلك وتلبّي احتياجاتك بمجرّد الحصول على خطّ هاتف ثابت إضافي للمكالمات والفاكس والإنترنت... حلّها ببساطة

لمزيد من المعلومات اتصل على (٩٠٧)



